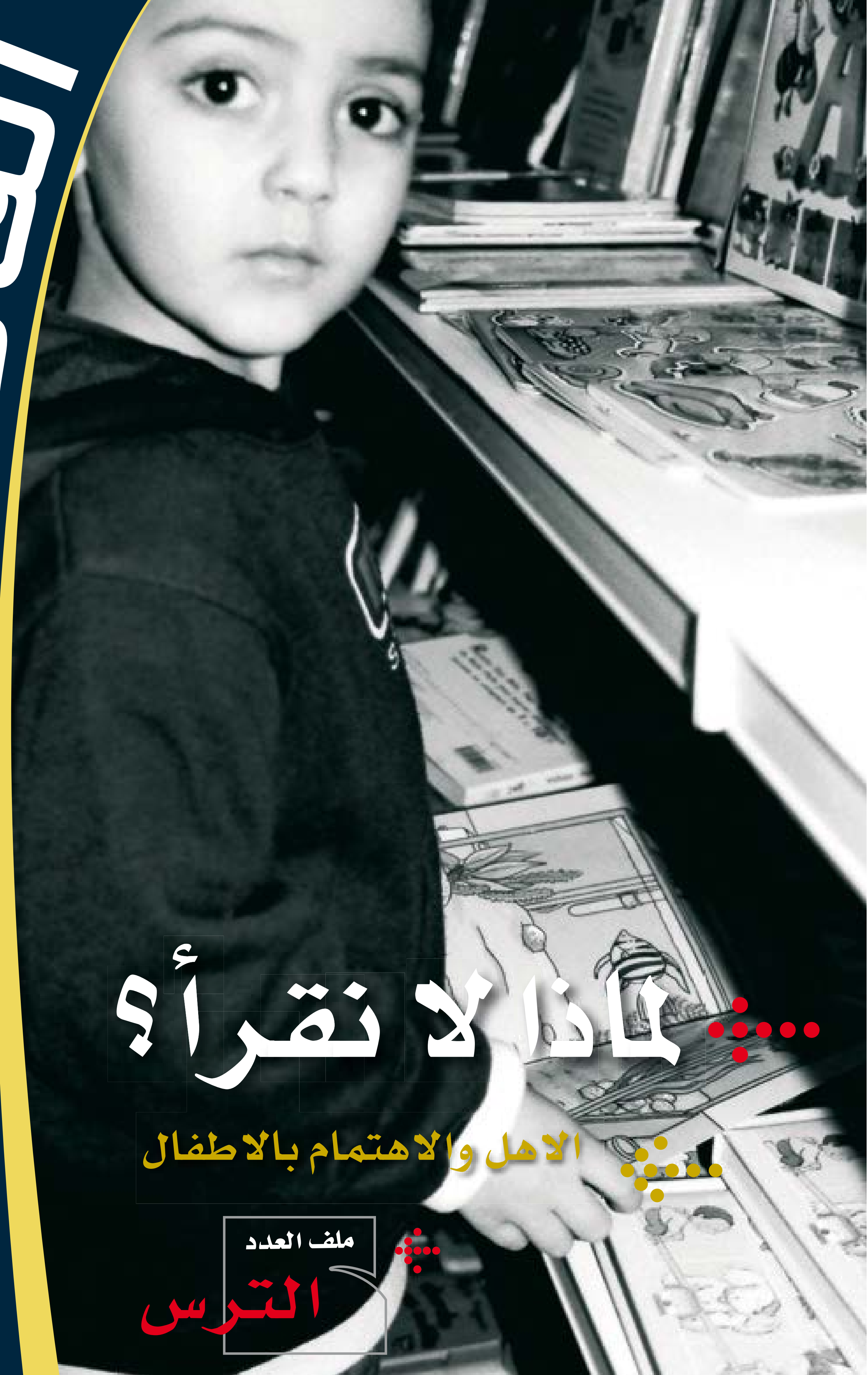
# القافلة

مجلة ثقافية تصدر
كل شهرين • مارس - أبريل 2005

## لماذا لا نقرأ؟

### الاهل والاهتمام بالاطفال

ملف العدد

## الترس


العدد 2
المجلد 54

## معارض ومؤتمرات

### مارس 2005

- المعرض السعودي للبتروكيماويات 2005
الرياض: 6 - 10
esales@recexpo.com
http://www.recexpo.com
- المعرض السعودي للصناعات البلاستيكية 2005
الرياض: 6 - 10
esales@recexpo.com
http://www.recexpo.com
- المعرض السعودي للطباعة 2005
الرياض: 6 - 10
esales@recexpo.com
http://www.recexpo.com
- المعرض الدولي للتصوير الفوتوغرافي
دبي: 15 - 17
channels@emirates.net.ae
http://www.channelsexhibitions.com
- معرض القاهرة الدولي الثامن والثلاثون
القاهرة: 15 - 25
http://www.goief.gov.eg
- معرض الاتصالات العربية 2005
البحرين: 21 - 23
m.schaedel@fairtrade-messe.de
http://www.fairtrade-messe.de

### أبريل 2005

- معرض الطاقة السوري
دمشق: 4 - 7
alliedexpo@mail.sy
http://www.alliedexpo.com
- منتدى المصرفية الإسلامية
بيروت: 13 - 14
info@iktissad.com
http://www.iktissad.com
- المعرض العالمي العاشر للزيت والغاز والبتروكيماويات
طهران: 13 - 16
sanjay@brightway-exhibitions.com
http://www.brightway-exhibitions.com
- المعرض السعودي للبناء والهندسة الداخلية
جدة: 17 - 21
ace@acexpos.com
http://www.acexpos.com
- مؤتمر إدارة مخاطر المشاريع
دبي: 17 - 19
info@iirme.com
http://www.iirme.com

# القافلة




ارامكو السعودية
Saudi Aramco

الناشر
شركة الزيت العربية السعودية
(أرامكو السعودية)، الظهران

رئيس الشركة، كبير إدارييها التنفيذيين
عبدالله بن صالح بن جمعة

نائب الرئيس لشؤون أرامكو السعودية
مصطفى عبدالرحيم جلالي

مدير العلاقات العامة
ناصر بن عبدالرزاق النفيسي

رئيس التحرير
محمد عبدالعزيز العصيمي

مدير التحرير الفني
كميل حوّا

سكرتير التحرير
عبود عطية

فريق التحرير
حبيب آل محمود
محمد أبو المكارم
مأمون محيي الدين
محمد الفوز
رولان قطان (بيروت)
ماجد نعمة (باريس)
رياض ملك (لندن)

تصميم وإنتاج
المحترف السعودي

طباعة
مطابع السروات، جدة

ردمد ISSN 1319-0547


- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير
- ما ينشر في القافلة لا يعبر بالضرورة عن رأيها
- لا يجوز إعادة نشر أي من موضوعات أو صور «القافلة» إلا بإذن خطي من إدارة التحرير
- لا تقبل «القافلة» إلا أصول الموضوعات التي لم يسبق نشرها

## محطات العدد

مارس - أبريل 2005
محرم - صفر 1426



توزع مجاناً للمشتركين


- العنوان: أرامكو السعودية
ص . ب 1389، الظهران 31311 المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: alqafilah@aramco.com.sa
- الهواتف: رئيس التحرير 7321 874 3 966+
فريق التحرير 0607 897 3 966+
الاشتراكات 6948 874 3 966+
فاكس 3336 873 3 966+

# رسالة المحرر

دأبت القافلة منذ صدورها في حلتها الجديدة أن تضيف فكرة أو باباً أو تحسيناً ما إلى أحد مناخاتها الستة. وفيما شهد العدد السابق فتح نافذة جديده إلى جانب باب رسائل القراء في ما أسميناه "أكثر من رسالة وأقل من مقال"، شهد هذا العدد جديداً آخر تمثل في تناول الموضوع الرئيس في مناخ القضايا باعتباره مسألة يتم بحثها بشكل واسع وشامل كقضية بكل معنى الكلمة. ولم يكن هناك من قضيج أجدر من قضية القراءة في الوطن العربي لتكون أولى هذه القضايا؟

**1** طاقة واقتصاد

مناخ الطاقة يُلقي الضوء على المهام الجسيمة التي تتصدى لها مراكز الأبحاث النفطية ومختبراتها من خلال زيارة لأحد هذه المراكز في أرامكو السعودية، ما يكشف للقارئ عن جوانب قد لا يعرفها في موضوع معالجة النفط هذه المادة الحيوية الاستراتيجية التي تؤثر في حياة المجتمعات وتقدمها على أكثر من صعيد. كما يتضمن هذا المناخ تقريراً عن المشروعات المستقبلية لسكة الحديد السعودية، كتبه حسين الخماش، الذي وافته المنية، يرحمه الله، بعد أيام قليلة من تسليمه مادة المقال للقافلة!



**2** قضايا

قضية القراءة التي تولى جمع موادها مكتب القافلة في بيروت وأشرف على إدارة البحث فيها الصحافي عبده وازن، تحولت إلى ما يشبه الملف الذي أسهم فيه كتّاب من مختلف أرجاء الوطن العربي. ورغم ثراء وتنوع المادة التي تقدمها القافلة هنا، إلا أن هذا يمثل مدخلاً لطرح الموضوع، نأمل أن تليه إسهامات إضافية تساعد في تبيان أسباب أزمة القراءة في الحياة العربية وطرق معالجتها.



**3** علوم وبيئة

موضوع آخر سوف يحتاج أيضاً إلى مزيد من التمحيص يتناوله مناخ العلوم حول المفيد والضار من الأغذية. والهدف الأبعد من هذا الطرح هو معرفة سبب هذا التضارب الشديد في نتائج الأبحاث التي تتصدى لمعرفة أثر الأطعمة المختلفة على جسم الإنسان وصحته، والتي تتركنا جميعاً في حيرة من أمرنا!




## الفاصل المصور

أما الفاصل المصور فيقدم سوزان باعقيل من جدة التي امتهنت التصوير منذ سنوات وحققت نجاحات مختلفة وكان لها في شهر فبراير الفائت معرضاً في الكويت.

وبهذا يكون الفاصل المصور قد قدم للقرّاء عشرة مصورين ومصورات من الهواة والمحترفين السعوديين، مجارياً بذلك الإقبال المتزايد على فن التصوير الفوتوغرافي في المملكة، خاصة في صفوف جيل الشباب.

**4** الحياة اليومية

في الشأن الحياتي اليومي، فنتناول ميل المتزوجين من الشباب السعوديين خاصة والعرب عامة، تحت تأثيرات ثقافية وتربوية مختلفة إلى المبالغة في الانشغال بأطفالهم. انشغال يغلب عليه النمط الغربي، إذا جاز التعبير. وموضوع حياتنا يلقي الضوء على ما يحبه الأطفال بالفعل وما يحبه أهلهم لهم.



**5** الثقافة والأدب

ويقدم مناخ الثقافة الأديب السعودي عبدالله الجشي الذي كرّمه المهرجان الوطني للتراث والثقافة في الجنادرية مؤخراً، تتويجاً لمسيرة رائد عرفه الأدب السعودي على امتداد نصف قرن. وفي الدراسة المنشورة عنه في هذا الباب ضوء على المرحلة الثقافية التي تأثر بها الجشي وأثّر فيها، فكان واحداً من أعلامها الكبار.

وفي المناخ ذاته، وبدلاً من مناقشة إحدى الروايات المنشورة وتقديم مقتطفات منها كما جرت العادة، نقدم قصة قصيرة للأديب السوري فاضل السباعي الذي يعرفه قرّاء القافلة منذ سنوات عديدة.



**6** ملف العدد

وفي الختام، تواصل القافلة سعيها لتنويع موضوعات ملفها الرئيس. فبعد ملف "مكة التي لا نعرفها" في العدد الماضي، نتناول هنا "الترس الصناعي" الذي يتساءل البعض عما يجعله يحتل هذه المكانة في شعارات المؤسسات الصناعية الخاصة والعامة. ولم لا وهو المحرك في كل محرك؟

المحرر



## الرحلة معاً

### تجربة المرشح.. ووعي الناخب

# المواطن لم يكن متلقياً

**من المؤكد أن التجربة الانتخابية التي مررنا بها، طيلة الأسابيع الماضية، أسست عدداً من مفردات العمل الديمقراطي، ووضعت إشارات إلى الرغبة الشعبية بالمشاركة وصنع القرار، وفق صيغة حضارية متزنة.**

لقد كانت تجربة ملأى بالحماس والسعي إلى صناعة الفعل الشعبي وممارسته من خلال إحدى المؤسسات التنموية المهمة، حيث تحتلّ البلديات دوراً حيوياً في تنفيذ سياسات التنمية، وتفعيل الخدمات، ورعاية جوانب من الشأن الصحي. ولذلك فإن دخول المجلس البلدي يعني، في الحد الأدنى على الأقل، اقتراب المواطن من مواقع صنع القرار في البلديات، أخذاً باعتبارات الاحتياجات التي تفرضها أولويات كل مدينة وقرية.

وبصرف النظر عن النتائج التي آلت إليها العملية الانتخابية، بين فوز وخسارة، فإنه كون التجربة بكراً وجديدة على المجتمع من شأنه - بلا شك - أن يفرز عدداً من التساؤلات المشروعة حول التفكير الانتخابي الذي جسدته الحملات التي كانت بدورها فعلاً جديداً وشبه مفاجئ لرجل الشارع الذي راحت تصافحه الإعلانات "المهندمة" في الصحف، وفي تقاطعات الطرق، وفي أي اتجاه وقعت عيناه عليه..!

الحملات الانتخابية، نفسها، كانت ظاهرة في ذاتها، ظاهرة احتفالية تخطّت - بما انطوت عليه - جوهر الممارسة الانتخابية، وفاجأت رجل الشارع بنوعٍ من الدعاية المبالغ فيها، وهو أمر يثير التساؤلات حول فهم طبيعة الطريق الذي يؤدي إلى صوت الناخب، ذلك الطريق الذي لا يخلو من عقبات، بل إنه في أبسط تعقيداته أو عقباته يتمثل في معرفة المرشح لنفسه ولإمكاناته.

إن أول تساؤل مشروع إزاء ذلك الضخّ الدعائي هو: هل كان الأداء الانتخابي واعياً لواقع العلاقة بين احتياج المواطن البسيط وبين إمكانات جهاز البلدية التي سيكون المرشح جزءاً من مجلسها الاستشاري في حال فوزه؟

وبصيغة أخرى: هل المرشح على استعداد لتمثيل الناخبين في مطالبات ليس للبلديات فيها لا ناقة ولا جمل، وليس من صميم اختصاصها لا من قريب ولا من بعيد..!

إن ما حدث بالمجمل هو مجازفة بالتعبير عن الطموحات الذاتية، ورسم أحلام أقرب ما تكون إلى إرادات مثالية في نفس المرشح، وهو يعرف أنها وعود يتمنى تحقيقها، إلا أن هناك واقعاً لا بد من مراعاته حين يُطلق أي منا وعداً، أو يتحدث عن طموحات وأحلام. وبالتالي؛ فإن إطلاق وعود من العيار الثقيل؛ لا يعني أنها مجرد "وعود انتخابية" كما تعبر الأدبيات، بل يعني، فيما يعني، المراهنة على أن الناخب ليس أكثر من متلق على درجة غير معقولة من البساطة.

الحكمة العربية تقول: "إذا أردتَ أن تُطاع فأمر بما يُستطاع"، وعلى هذا القياس كان أمام المرشحين أن يقولوا: "إذا أردتَ أن تُصدَّق فعد بما تستطيع". فما يحتاجه كلّ مرشح هو أن يصدّقه ناخبوه، وحتى يصدّقه الناخبون فإنه ملزم بأن يفهم طبيعة موقعه بعد فوزه، وقبل ذلك ملزم بأن يكون مدركاً لطبيعة الطريق الذي يسلكه إلى صوت الناخب، والقدرة على الحصول عليه.

وقد شاهدنا الحقيقة التي يجب أن تكون قاعدة لأية عملية انتخابية؛ فالقدرة على الحصول على صوت الناخب لم تكن في الظهور الإعلاني وبذل مئات الآلاف في الولائم، كما أنها لم تكن في القدرة على اجتذاب المثقفين والمؤثرين اجتماعياً إلى المخيمات وبث الإيحاءات بين الناخبين.

قد تكون تجربتنا جديدة، وغير مصقولة، وتواجهها كثير من الالتباسات، لكنها أثبتت أن المواطن ليس متلقياً ساذجاً وخاضعاً للدعايات الرائجة والسخاء الانتخابي الخاطف. وليس من قبيل المبالغة قولنا: إن التجربة قد أفرزت رغبات ذاتية تمثلت في محاولات البروز الشخصي المدعوم بالأموال والخلفيات الاجتماعية والوجاهات، إلا أن المواطن كان أذكى من هذه التصرفات، وحين وجد الناخب نفسه صاحب القرار في غرفة الانتخاب فإنه اتخذ قراره عن قناعته، وقد يكون تأثر بالدعاية والإعلان على درجة من الدرجات.. إلا أن قراره النهائي كان مبنياً على ما صدّقه واقتنع به..!

رئيس التحرير






## إلى.. رئيس التحرير

ترحِّب القافلة برسائل قرائها وتعقيباتهم على موضوعاتها، وتحتفظ بحق اختصار الرسائل أو إعادة تحريرها إذا تطلب الأمر ذلك.

### إعلان القراءة

أود أن أهنئكم مع فريق العمل على الجهد الرائع الذي تبذلونه في إنتاج القافلة. وفي ما يخص العدد الأخير منها، توجد على الغلاف الداخلي الأخير صورة جميلة حول القراءة ونمو الأولاد. إنها فكرة جميلة يمكنها أن تشجّع الأولاد على القراءة. فهل هذه الصورة هي من ملصقات أرامكو السعودية؟ وكيف يمكن الحصول على نسخة منها؟

سالم الغربي

أرامكو السعودية - الظهران

**القافلة:** الصورة التي أشرتم إليها هي إعلان للتشجيع على القراءة، تم تصميمه خصيصاً لهذه الصفحة من القافلة، وهو غير موجود بأية صيغة أخرى.

### ديوان القهوة

رغم أني حديث عهد بالقافلة، إلا أني ومنذ أن طالعت العدد الخامس من المجلد 53، الذي أرسل إليّ، أحسست بأن هناك وشائج قربى كثيرة تربطني بها. وأقترح عليكم إضافة بعض الصفحات إلى ديوان الأمس وديوان اليوم حتى يتسنى لنا إرسال مقالات ودراسات عن صورة الأشياء في الشّعْر العربي بتوسع. كما أتمنى إيجاد باب يُعنى بالتراث العربي والإسلامي وشخصياته.
وإليكم مقالاً بعنوان "من صور الأشياء في ديوان العرب: القهوة".

صلاح عبدالستار محمد الشامي

طنطا - مصر

**القافلة:** التراث العربي والإسلامي لم يغب يوماً عن القافلة. فهو حاضر في أكثر من مناخ. أما مقالتكم عن القهوة في ديوان العرب، فقد وصلت متأخرة، إذ سبق نشر معظم ما ورد فيها من معلومات وأبيات شعر في ملف كامل من ست عشرة صفحة في العدد الثالث من المجلد 53، بعنوان "القهوة والشاي".

### عمل احترافي

تلقيت بكل الترحاب مجموعة من أعداد مجلتكم القافلة، ورغم اقترابي الحذر من أرامكو حباً في زيتها وخوفاً من اشتعاله! إلا أنني لم أقرأ القافلة بتمعن إلا هذه المرة وذلك لقصور منّي دون شك، وقد وجدت عملاً احترافياً قلّما نجده في مطبوعاتنا. فلكم التهنئة الصادقة على مجهوداتكم في إخراج هذه الزهرة اليانعة الجذابة من بين حقول النفط ومحطات تكريره.

عبدالرحمن بن أحمد المفرح

أمين عام الغرفة التجارية الدولية بالسعودية، جدة

### ملاحظات على الشكل

اطلعت على العدد السادس من مجلة القافلة، وسعدت كثيراً بقراءة الموضوعات التي وردت فيها وهي باقة من المعلومات المهمة في كافة مجالات الحياة، ولي ملاحظات بسيطة وهي:

- الطباعة: الهامش الأيسر من جميع الأعمدة وفي جميع الصفحات غير متناسق، والصواب أن يكون مثل الجانب الأيمن من الأعمدة.
- تصغير حجم المجلة، خاصة وأني قرأت اقتراحاً بذلك في العدد نفسه وأوافقه الرأي.

ولرغبتي الأكيدة في الاطلاع والاحتفاظ بمجلة القافلة لما تحتويه من موضوعات ممتازة، أغدو ممتناً لو تفضلتم بتزويدي بالعدد الخاص لمناسبة العيد الخمسين للمجلة، وإضافة اسمي لقائمة التوزيع لديكم.

أحمد حسين خيري

الخبر

**القافلة:** سيصلك ما طلبت، إن شاء الله. وملاحظتك على حجم المجلة هي وجهة نظر قد تقتنع قريباً بعكسها عندما تعتاد عليه. أما الهامش الأيسر من الأعمدة فإنه قابل لإعادة النظر مع أنه معمول به في عدد من أرقى المجلات العربية والأجنبية.

### عتاب

لا أدري كيف انقطعت عني وعن أبي هذه المجلة التي تربيت على النهل من معينها، أبي ذلك الشيخ الطاعن في السن كان له السبق في العمل في شركتكم العامرة منذ زمن بعيد، وهو الذي عرّفني عليها وعلّقني بمواضيعها. فلو قلبت لكم دفاتري يوم كنت في المرحلة المتوسطة لرأيتم الصور والمواضيع التي اقتبستها من هذه المجلة وهي - حتى اليوم - المجلة التي تزين مكتبتي من دون غيرها.
إذن أنتم أحبابي منذ القديم وما زلتم، فكيف انقطعت القافلة عنّا؟
لقد تفاجأت بعد رجوعي من الدراسة بالخارج أنها لم تعد تصل إلينا. لهذا أرجو التكرم بمعاودة إرسالها.

إبراهيم محمد إبراهيم حمد الحادي

البحرين

**القافلة:** نأسف للانقطاع الذي حصل، وستصلك القافلة مجدداً وبانتظام، إن شاء الله.

## ردود خاصة

إلى الأخوة:

- **الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن محمد الحجيلان، عميد شؤون المكتبات في جامعة القصيم:** وصلتنا رسالتك، ويسرنا أن نرسل لكم ما يلبي حاجة مكتبتكم.
- **جاسم محمد الياقوت، مدير فرع الإعلام الخارجي بالمنطقة الشرقية:** نعتز بما أبديتم من رأي في المجلد الثاني والخمسين من القافلة. أما المجلدات القديمة فللأسف، لم تعد متوافرة لدينا.
- **محمد نجيم، المغرب:** يسرنا مدّ جسور التواصل معكم ومع كل الأخوة المثقفين والقرّاء في المغرب العربي الشقيق. ولكن لا بد من إرسال نماذج من أعمالكم في إطار اهتمامات القافلة وأبوابها، قبل أي التزام آخر.
- **عيسى علي فايع، أبها:** أحلنا طلبك إلى الأرشيف، وسيصلك ما هو متوافر لدينا من الأعداد التي طلبتها.
- **"المتمرد":** القافلة لا تنشر أي شيء تحت اسم مستعار مهما كانت الظروف.
- **عبدالله محمد أحمد أبو فيه، جدة - عبدالله خليفة الثقفي، الطائف - عدنان الطعمة، ألمانيا - عبدالله سعيد آل مفرح، أبها - حبيب ابن علي الثاني، الرياض - هشام إبراهيم السيد الهاشم، الرياض:** وصلتنا التعديلات التي طرأت على عناوينكم، وأحلناها إلى قسم الاشتراكات.

### بالعدل لا بالإرهاب

الـديـنُ يـنـأى عن فواحش عُصْبَةٍ
رعـنـاء تـفـتـك بـالـورى وتـمـثِّـلُ
وتـعـيـث فـي نـخـلٍ وأمـن مـواطـنٍ
وتـبـثُّ ذعـراً فـي الـوئـام وتـقـتـل
وتـروِّع الـبـلـد الـذي يـحـيـى بـه
وبـيـمـنـهِ يـقـتـاتُ مـنـه ويـنـهـل
يـلـغـي الـتـطـرَّفُ بـالإسـاءة فـكـرَهُ
ويـشـلُّ عـقـلاً بـالـتـطـرّف يـعـمـل
بـالـعـدل شـرع الله فـي أفـيـائـه
تحظى الشعوب، وبالسعادة ترفل
شـتَّـان بـيـن تـعـصُّـبٍ وتـسـامـح
يـهـمـي نـدىً فـي مـقـلـتـيـه ويـعـدل
فاقلع بذور الشر من جذع الغوى
والـرب يَـغـفـرُ مـا أثـمـتَ ويـمـهـل
وحـمـاك يـشـرعُ بـابـه وفـؤاده
لـلـتـائـبـيـن بـه تـفـيءُ... وتـنـزل
والـبـرُّ لـلـوطـن الـحـبـيـب مـواقـفٌ
شـمـاء تُـمـهَـرُ بـالـفـخـار تـكـلَّـلُ
ما أنبل الإنسان إن عشق الحمى
وبـه يـلـوذ وفـي هـواه يُـشْـغَـل
فاحمل بكفِّك غصن زيتون الهوى
فـالـمـرء يـرقـى بـالـوداد ويـحـفـل
لا خـيـر فـي مـرءٍ يـجـافـي أهـلـه
والله يـهـمـل عـاصـيـاً لا يـهـمـل

جاك صبري شماس

سوريا

## الأصدقاء الجدد

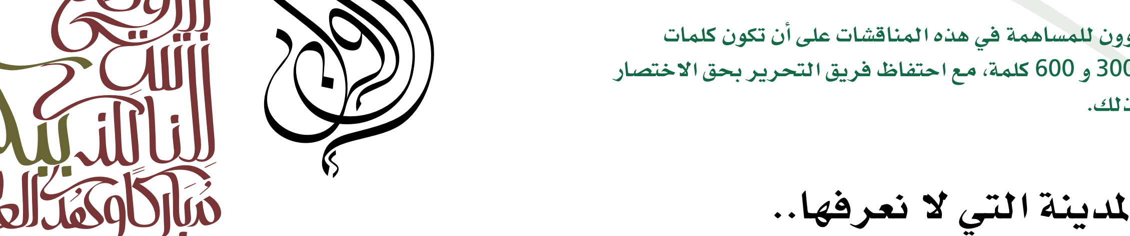
الدكتور حبيب ناصر آل مكي، الجامعة العربية المفتوحة بالأحساء - الدكتور محمد ابن عبدالعزيز النافع، عميد كلية المجتمع بحائل - الدكتور أمين بن يوسف نعمان، جامعة الملك عبدالعزيز بجدة - عبد الباري بن عبدالسلام العتيق، الرياض - حسين طاهر علي النزر، الأحساء - أحمد بن محمد التركي، الأحساء - خالد بن صالح العامر، بريدة - ماجد عبدالله الدواوي، المدينة المنورة - هادي بن يحيى غروي، الرياض - محمد بن عبدالرحمن التاجم، شقراء - حسن بن عبدالله الدبّاس، الرياض - ظافر بن علي شهدان، النمّاص - أحمد العصفور، الأحساء - علي عبدالعزيز السلوم، الرياض - بندر محمد الشعيبي، الأحساء - منصور بن أحمد الوادعي، نجران - راشد بن مبارك المواش، الأفلاج - عقيلة علي العبدالوهاب، الهفوف - خالد محمد الشهيلي، الرياض - علي خليفة السالم، الظهران - عبدالعزيز طاهر البريمان، الظهران - خليفة بن علي الملحم، الأحساء - أظهر أصغر مهدي، نيودلهي - علي عبدالله الخليفة، بريدة - سيف مريع آل ناصر، خميس مشيط - رمزي بن صادق الغلام، الهفوف - خالد بن فهد بن سليمان العقيلي، الرياض - زهير سعيد آل مدن، القطيف - د. عفاف جميل عبدالرحمن خوقير، مكة المكرمة - محمود سليمان، قنا، مصر - علي بن صالح بوجير، جدة - عبدالكريم رمضان عبدالكريم، البحرين - عبدالكريم ناصر جباري، البحرين - علي أحمد الحماده، الأحساء - عدالمجيد بن مكي الشيخ، الجارودية - سعيد أحمد ناصر، البحرين - عبدالله عايض أبو درمان، الدمام - خالد بن غريب المنذري، سلطنة عمان - إبراهيم ابن صالح الهطلاني، بريدة - علي قاسم صالح العوفي، مكة المكرمة.

**القافلة:** نعتز بما حوته رسائلكم من عواطف نبيلة، وقد أحيلت عناوينكم إلى قسم الاشتراكات، وستصلكم أعدادها بانتظام، إن شاء الله.




## نافذة جديدة في بريد القافلة لكتابات تناقش مواضيع طرحت في أعداد المجلة فتكون أكثر من رسالة وأقل من مقال.

قراء القافلة مدعوون للمساهمة في هذه المناقشات على أن تكون كلمات المشاركة ما بين 300 و 600 كلمة، مع احتفاظ فريق التحرير بحق الاختصار إذا دعت الحاجة لذلك.



[redacted]

## حول المدينة التي لا نعرفها..

طالعت في العدد الأخير من مجلة القافلة (يناير - فبراير 2005م) ملف العدد وهو عن مكة التي نعرفها ومكة التي لا نعرفها من إعداد الأستاذ حسين محمد بافقيه. وإذ أشكر اهتمامكم وإبرازكم معلومة وإخراجاً لبعض التفاصيل المهمة عن تاريخ مكة المكرمة أتمنى أن يستمر هذا الجهد المثمر في إبراز تلك الخصائص التاريخية والإنسانية عن بعض المدن في المملكة. إذ لا يخطر ببال كثير من القراء أن تلك الجوانب الحضارية كانت أساساً في سياق الحياة الاجتماعية في بعض مدن الجزيرة العربية، وأبرزها المدينتان المقدستان. فهناك جوانب في الفكر والتراث الإسلامي وبلورته إلى واقع معاش ومضيء في التجربة الإنسانية، لم تُبرز كما يجب.

فثلث المدينة المنورة - على سبيل المثال - وقف وأغلبه على طلاب العلم والمعلمين والمكتبات والمدارس والمشافي، إضافة إلى رعاية الحرم النبوي الشريف. وقد تحولت المدينة المنورة عبر تاريخها العريق من خلال الوقف الإسلامي إلى جامعة مفتوحة. ويذكر إبراهيم رفعت أنه في مطلع القرن الرابع عشر الهجري عام 1309هـ كان بالمدينة المنورة 18 مكتبه و17 مدرسة تدرس فيها العلوم الأولية، ومكتب راقٍ و12 مكتباً للصبيان، وحين تأسست مكتبة المسجد النبوي الشريف عام 1352هـ كانت تضم 1900 كتاب ورسالة مخطوطة أصلية يعود تاريخ بعضها إلى عام 578هـ.

وحين تأسست مكتبة الملك عبدالعزيز، ضُمَّت إليها المكتبات الموقوفة، وهي أربع عشرة مجموعة، من ضمنها المكتبة المحمودية ومكتبة الشيخ عارف حكمت اللتان تأسستا في 1235 و1270هـ. وضمت الأولى 3314 مخطوطاً، بينما وصل عدد المخطوطات من بقية المكتبات المضافة إلى مكتبة الملك عبدالعزيز 6389 مخطوطاً. وليس بغريب أن نعرف أن أوقافاً خصصت للكتب والمكتبات وأخرى للمعلمين وطلاب العلم. وربما كانت أول المنح الدراسية في العالم قائمة على الوقف الإسلامي في جميع فروع العلم وفي مصدر الإشعاع الحضاري في المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

أحمد إبراهيم البوق

الطائف

حول الملف «مكة التي نعرفها.. مكة التي لا نعرفها»، القافلة عدد يناير-فبراير 2005



## حول حصتك من الصين.. أربع قطع ملابس!

لفت نظري في القافلة (العدد 6 المجلد 53) موضوع مشوّق حول رخص البضاعة الصينية. لكني شعرت رغم المعالجة الجيدة للموضوع بأني بحاجة إلى مزيد من البحث. وتبيّن لي أن هناك انطباعات كثيرة تروّج حول أسباب هذا الرخص الذي يفوق التصور بالفعل أحياناً، وأن الكثير من هذه الانطباعات خاطئة وأبعدها عن الحقيقة كما تبين بعض الدراسات والأبحاث التي تفسّر هذا الرخص في الأسعار بتدني أجور اليد العاملة.

ويذهب بعض هذه التفسيرات إلى تصوير الصناعة الصينية وكأنها معسكرات عمل شاق مجاني. ولكن مصادر عديدة تؤكد أن الأجور في الصين اليوم هي في ارتفاع مطرّد، وباتت أعلى منها في دول مجاورة مثل الهند وفيتنام وإندونيسيا وغيرها. كما أن هذه الأجور لا تشكّل في النهاية إلا حوالي 10 في المئة من تكلفة البضاعة. وبالتالي فإن رد الأسعار المتدنية إلى رخص اليد العاملة غير دقيق ولا يجيب عن السؤال المطروح على أي حال.

والرأي الأكثر إقناعاً هو أن ما يميز البضاعة الصينية اليوم ويعطيها هذه القدرة التنافسية هي أمور عديدة، أولها أنها قامت بتحديث مصانعها فجعلتها الأحدث في العالم خاصة في مجالات معروفة مثل الملابس. وثانياً، أنها استطاعت خلال سنوات قليلة أن تنشئ شبكة مواصلات فعّالة وبالتالي غير مكلفة. إضافة إلى الأسباب الأخرى المختلفة..

إن الأداء الصيني يدعو إلى الإعجاب بل والدهشة. وتبيّن الإحصاءات أن الصين تنتج اليوم حوالي 20 مليار قطعة ملابس سنوياً أي ما معدله أربع قطع لكل إنسان يعيش على وجه البسيطة!

يوسف سليم

الإسكندرية

حول موضوع «صُنع في الصين، السؤال كيف؟»، القافلة عدد نوفمبر-ديسمبر 2004



## حول الوجبات السريعة

أفيدكم بأني تسلّمت نسخة من القافلة، وأشكركم شكراً جزيلاً نابعاً من القلب لعنايتكم بطلبي المتواضع. ومما أثار اهتمامي من محتويات العدد الأول من المجلد 54، هو موضوع «عالم الوجبات السريعة».

لقد أصبحت الوجبات السريعة أسلوب حياة في هذا العصر الذي لا يجد فيه الإنسان وقتاً لطهي الطعام، حتى اكتظت الأسواق بمطاعم هذه الوجبات التي تشد أنظار الناس إليها بصورها وألوانها وأشكالها وتنوّع أشكال تعليبها.

ولكن معظم الناس لا يعلمون أن الوجبات السريعة تحتوي على مواد كيماوية كثيرة مثل المواد المضادة للتأكسد، والمواد المضادة للتعفن، أو تلك التي تزيد النكهة أو تُضفي على الطعام لوناً جذاباً. ولكن هذه المواد المغرية للإنسان هي غير ضرورية، لا بل هي مضرّة ومسببة لأمراض قاتلة.

فعندما نلتهم الوجبات السريعة والأطعمة المعلبّة نعرّض أجسامنا للخطر. ولا يكسب أحد شيئاً من رواجها غير أصحاب الشركات والمصانع التي تنتج الحافظات والألوان والمواد الصناعية. والذين يأكلون الأطعمة الجاهزة تحت ضوء خافت في مطاعم الوجبات السريعة، إنما يملأون بطونهم بالسموم ومسببات الأمراض.

وأمام نمو مطاعم الوجبات السريعة مثل الفطر أينما كان في العالم، وانجذاب الناس إليها مثلما ينجذب الفراش إلى ضوء المصباح، علينا أن نسأل أنفسنا: ما الذي يمنعنا من رفضها والعودة إلى أساليب التغذية التقليدية؟

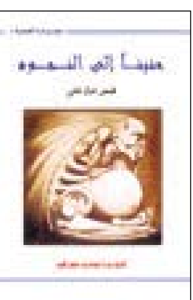
علينا أولاً أن نتحكم بميلنا إلى لذة الطعم والانسياق وراء راحتنا أكثر مما يحق لنا بذلك. فالمعادلة بسيطة وهي بين ربح الوقت الذي يؤمنه تناول الوجبات السريعة، وخسارة الإنسان لصحته الذي تتسبب به هذه الوجبات. وبين الوقت والصحة، تبدو الثانية هي الأهم.

يوسف أبو بكر المدني

كيرلا، الهند

حول موضوع «عالم الوجبات السريعة»، القافلة عدد يناير-فبراير 2005

## وردنا



- **حنيناً إلى النجوم**

مجموعة قصصية هي الثانية للمؤلف أشرف ابن إحسان جعفر فقيه، بعد مجموعته الأولى "صائد الأشباح" التي كانت قد صدرت في عام 1997م تقع هذه المجموعة في 212 صفحة، وتتضمن سبع قصص قصيرة من الخيال العلمي، استوحى فيها المؤلف الحقائق والمكتشفات العلمية؛ لينسج حولها أبطالاً وأحداثاً متخيلة، الأمر الذي يشكّل نموذجاً غير شائع في الأدب العربي الحديث.

- **الفكر التربوي**

كتاب يتناول عوامل التأثير في المؤسسات التعليمية، من تأليف عبدالله بن رشيدان المغامس، ويتضمن خمسة أبواب هي: المفاهيم التقليدية للتربية، المفهوم الإنساني للأمن والفكر بين عناصر التأثير، الإعلام (المدرسة الموازية)، جدليات تربية المستقبل، والتربية للمستقبل.

ومما جاء في المقدمة: "انطلاقاً من قناعة بدور الفكر التربوي في صناعة المناخات الملائمة لصنع القرار، يأتي هذا الكتاب كمساهمة في المثاقفة حول الفكر التربوي وعوامل التأثير في المؤسسات التعليمية. وهو محاولة لربط بعض العناصر المتآلفة، بهدف تشكيل منظومة فكرية تقود إلى الاستبصار في واقع العمل التعليمي بالمدرسة العربية".

- **نماذج من الأعمال التطوعية في التاريخ الإسلامي**

دراسة من منشورات "جمعية البر بالمنطقة الشرقية" بمناسبة اللقاء السنوي الخامس للجهات الخيرية. والدراسة التي أعدّها الأستاذ صالح بن يوسف المقرن، هي من الأبحاث التي قدمت في اللقاء السنوي الرابع عام 1424هـ. ونظراً لما اتسمَت به (وغيرها من الأبحاث التي قدّمت في اللقاءات السابقة)، من أهمية وعمق، وما يمكن أن تؤديه من تأصيل قيم البر والخير في النفوس؛ فقد عملت الجمعية على طباعتها ونشرها. تقع هذه الدراسة في 60 صفحة، وراجعها فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن صالح القاضي.



- **العرب والإعلام الفضائي**

صدر مؤخراً عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت في إطار سلسلة كتب المستقبل العربي. يتضمن الكتاب بحوثاً مختلفة أعدّها اثنان وعشرون مشاركاً، وتتناول أداء الإعلام الفضائي العربي الذي أبصر النور منذ عام 1993م.. التاريخ الذي جاء عنه في التقديم للكتاب أنه دليل في حد ذاته على سرعة الاستجابة العربية للتحدي الإعلامي الجديد، لكن القليل القليل من تلك الفضائيات يشرّف تلك الاستجابة العربية، ويقيم دليلاً على أن الوطن العربي لا يعاني من خصائص في الطاقات والكفاءات العلمية والبشرية.



## في مركز الأبحاث والتطوير..

# المختبرات "تروض" النفط لصالح المستقبل

تنهض مراكز الأبحاث بدور حيوي في استراتيجيات عالم اليوم، وتتعزز أهمية هذا الدور يوماً بعد آخر استناداً إلى ما يقدمه البحث العلمي من حلول تساعد على التحديث المستمر وابتكار حلول لمواجهة التحديات.

في نوفمبر من العام المنصرم أنجزت أرامكو السعودية مشروع توسعة مركز الأبحاث والتطوير؛ ليتوّج خبرة 35 عاماً من العمل البحثي المتواصل في مرافق الشركة.

كان الحدث مهماً على نحو استراتيجي، إذ أنجزته الشركة؛ ليكون واحداً من مرافق صناعة المستقبل في أرامكو السعودية، وهو مستقبل يقوم على ما تقدمه عقول الباحثين والعلماء لأعمال الشركة.

فريق التحرير استطلع المركز، وقابل عدداً من الباحثين فيه، وعاد بهذه الحصيلة..

Saudi Aramco

**في جزء من مُختبر صغير لا تتجاوز مساحته حاجز الستين متراً مربعاً، يقود الكيميائي سعيد الزهراني معركة معملية يومية في مواجهة عنصر كيميائي عنيد اسمه «الكبريت»..!**

أحداث المعركة تدور في عيّنات قليلة من الزيت الخام.. كلّ عينة أقل من نصف لتر. أما الأسلحة فهي عيّنات من مواد كيماوية أخرى. والهدف، من هذه المواجهات المعملية المستمرة، هو السيطرة على مستويات «الكبريت» في الزيت الخام، وتحجيم محتواهُ إلى أقلّ حد ممكن..!

ما يسعى إليه فريق البحث، في المختبر، هو البحث عن طريقة مبتكرة تقوم بهذه المهمة الضرورية لصناعة الزيت وتكريره. والطريقة المبتكرة المطلوبة يمكن أن تكون مادة من المواد أو مركباً من المركبات؛ لتؤدي دور محفّز جديد للمهمة الكيميائية.

## لماذا إزاحة الكبريت..؟

الكبريت هو أحد مكونات الزيت الخام، وتختلف نسبة وجوده من نوع إلى آخر من خامات الزيت. وكلما كانت نسبته عالية في الزيت المستخرج من باطن الأرض؛ تأثرت جودة الزيت، وباتت في حاجة إلى أعمال معالجة أكثر تعقيداً قبل أن يتحوّل إلى وقود، عبر التكرير، في مرحلة لاحقة.

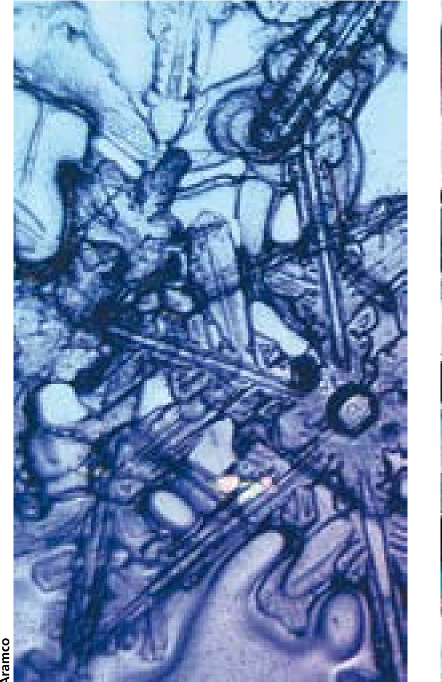
## مشكلة الكبريت، لها وجهان: صناعي وبيئي

الوجه الصناعي يظهر فيما يفعله الكبريت الموجود في الزيت الخام ومشتقاته من تآكل في أنابيب نقل الزيت ومعامل المعالجة، فهذا التآكل يمكن أن يصل، في مرحلة لاحقة، إلى محرك السيارة التي تستخدم البنزين، وإلى أيّ محرك آخر يستخدم وقوداً محتوياً على الكبريت..!

أما الوجه البيئي؛ فيظهر فيما يمكن أن يخلفه احتراق الوقود في المحركات عموماً، إذ يتأكسد الكبريت، ومن ثم يخرج إلى الهواء في شكل غاز له أضراره الصحية والبيئية المتعددة.

لهذه الأسباب وغيرها؛ يستخدم منتجو الزيت ومشتقاته في العالم تقنية تقوم على استخدام غاز الهيدروجين في المعامل لاستخلاص الكبريت، ولكنها تقنية عالية الكلفة إلى حد ما.





Saudi Aramco

الابحاث المجهرية والقدرات التحليلية لخدمة صناعة الزيت




سعيد الزهراني يشترك مع مجموعة من زملائه في البحث عن تقنية جديدة، غير التقنية التي تستهلك الهيدروجين، تكون أقل كلفة وأكثر أمناً وسلامة، وأجدى في وضع حلول لهذه المشكلة التي تواجهها مصافي تكرير الزيت في العالم.

## واحدٌ من مئات..!

الزهراني واحدٌ من بين 340 عالماً وباحثاً ومساعداً، متفرّغين، طيلة الوقت، لأعمال البحث عن تقنيات جديدة لتعزيز موارد الزيت والغاز. هذا التعزيز من شأنه أن ينعكس، بالضرورة، على اقتصاديات المملكة، بالمحافظة على موارد المواد الهيدروكربونية، وتطوير أعمال هذه الصناعة الحيوية.

وفي مركز الأبحاث والتطوير في أرامكو السعودية تتزاحم الأبحاث والدراسات المتواصلة في تشكيل صفٍّ خلفي لعمليات التنقيب، والحفر، واستخراج الزيت، والتوسع في تشييد الآبار، ونقل الزيت، وفصله، وعزل الرواسب المتعلقة بها.. ناهيك عن أعمال التكرير، والنقل والتشغيل، والتسويق.. إلى آخر العمليات الحيوية والمساندة التي تنجزها أرامكو السعودية على مدار الساعة في قارات العالم كافة.

## البترول ليس مدللاً..!

يبدو الأمر، في مركز الأبحاث والتطوير، كما لو كان انشغالاً خالصاً بتعزيز فرص الأبحاث التجارية. وحين تجنّد كُبرى شركات الزيت في العالم، طاقات المئات من موظفيها، وتفرّغهم لأعمال البحث المستمر؛ فإن ذلك يشير، على نحو واضح، إلى التوجه الاستراتيجي في أهداف صناعة الزيت.

بالتأكيد تلك حقيقة، إلا أنها ليست الحقيقة الوحيدة التي تسعى إليها 128 وحدة مختبر في مركز الأبحاث والتطوير. فهناك الأبحاث البيئية التي تُجرى من قبل خبراء إقليميين بارزين. وهؤلاء الباحثون والخُبراء يقومون بأبحاث لدراسة أوضاع ومشكلات المياه الجوفية ومياه البحر، فضلاً عن الحياة البحرية والتربة.

ووجود مثل هذه الدراسات في اهتمام شركة نفطية، بحجم أرامكو السعودية، يعني ـ فيما يعني ـ أن استراتيجيات العمل لا تنحصر في «السلعة» بل تتجاوزها إلى محيط بيئة إنتاج السلعة، ومصير الإنسان على مدىً بعيد.

## نباتاتنا تحمينا

في المركز قسم له اشتغال بالقضايا البيئية، وفيه يعكف فريق من الباحثين على دراسة أنواع من النباتات المحلية، لتقوم بأعمال تنقية التربة عبر امتصاص المواد الكربوهيدروكربونية والمعادن التي يخلفها الزيت..

هذه التقنية سجّلت نجاحات واضحة في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، لكنّ هذا النجاح لا يمكن استيراده، لأن النباتات التي استفيد منها في تلك الدول لا يمكن أن ينجح نموها في مناخ منطقتنا. ولهذا انصب البحث، لدى فريق أرامكو السعودية، على إيجاد نباتات من البيئة لها صفات امتصاص المواد الهيدروكربونية والمعادن.

فريق البحث نجح، فعلياً، في اكتشاف ثلاثة أنواع من النباتات المحلية التي تؤدي هذه الوظيفة البيئية. وحسب الكيميائي صالح الشريدي فإن البحث «وصل إلى مرحلته النهائية، وبات على مقربة من البدء في اتخاذ إجراءات براءة الاختراع».

## بيئة بحث علمية

«أعمال الأبحاث والتطوير ليست جديدة على أرامكو السعودية» هذا ما قاله عبدالله جمعة، رئيس الشركة، في تعليق له على مشروع توسعة المركز في شهر نوفمبر من العام الماضي. وبوصفه واحداً من الشهود على تاريخ العمل البحثي فإن ما رآه جديداً هو أن المشروع

«يوفّر لعلماء الشركة بيئة عمل أفضل تطلق العنان لابتكاراتهم وإبداعاتهم». وبما أن لكل عمل تحدياته؛ فإن أرامكو السعودية على بيّنة من التحديات الراهنة والمستقبلية التي يمكن أن تواجهها. والتحديات ـ والحديث للأستاذ جمعة ـ تتطلب «حلولاً لا يمكن استيرادها من أي مكان آخر في العالم».

وحين يتحدث رأس الهرم الإداري في الشركة عن «حلول لا يمكن استيرادها»؛ فإن ذلك يعني، على نحو ما، أن الشركة أمام تحديات مستقبلية، ولا خيار أمامها إلا توطين التكنولوجيا عبر صناعة «عقول» سعودية قادرة على البحث والتفكير، والتعاطي مع المشكلات التقنية تعاطياً علمياً وعملياً.

وهذا ما يُفسّر التنامي الكمي والنوعي للكوادر البشرية السعودية في المركز من علماءَ وباحثين ومساعدين وإداريين يشغلون ثلاثة أرباع الوظائف، ويتبادلون الخبرات والمهارات البحثية والعلمية، ويوظفونها في مواجهة مشكلات العمل في مرافق الشركة.

## السعوديون يتكاثرون..!

من الممكن جداً قياس هذا التنامي البشري، في المركز، بالتنامي البشري المتحقق في الشركة على نحو عام. ومثلما بدأت السعودة بقاعدة العاملين في الشركة، في الثلاثينيات من القرن الماضي، وأخذت في التنامي حتى وصلت إلى رئاسة الشركة ووظائف الإدارة العليا عبر الأجيال؛ فإن السعودة تحققت على النهج الإداري المتوازن ذاته، في مركز الأبحاث والتطوير. وقد تطلب ذلك، بطبيعة الحال، أعمال بناء متواصلة في قطاع الموارد البشرية، بتعليم العاملين وتدريبهم ورفع مهاراتهم العلمية والبحثية. يقول عبدالله المالكي: «حالياً يستعد تسعة من حملة البكالوريوس والماجستير في المركز للابتعاث لتحضير الماجستير والدكتوراه». وهناك «26 موظفاً متفرغاً للدراسات العليا، نصفهم بمستوى الدكتوراه».

وهذا العدد يُضاف إلى: «41 موظفاً من حملة الدكتوراه»، وخمسين من حملة الماجستير. أما «خريجو البكالوريوس فعددهم 125، ويعمل معهم 120 موظفاً من حملة الدبلومات والثانوية العامة».

Saudi Aramco

عبدالله المالكي يرأس وحدة تقويم الزيت ومشتقاته. وقد تجوّل بفريق «القافلة» في عدد من أقسام المركز، وكانت أطروحة تخرجه، في الماجستير، تبحث في تقنية إزالة الكبريت من الديزل والجازولين من دون استخدام الهيدروجين الذي لا تزال قدرته «محدودة في خفض مستويات الكبريت إلى مستويات قليلة، وهذا يرجع إلى وجود مركبات كبريتية مقاومة لهذه المعالجة».

والحاجة إلى وقود نظيف، وبمحتوىً منخفض من الكبريت أصبحت تحدياً لمعظم مصافي تكرير الزيت في العالم. وقد فرضت المتطلبات البيئية على مشغلي المصافي السعي إلى خفض مستوى الكبريت إلى 10 أجزاء من مليون بحلول عام 2010م، في بعض دول العالم.

ومثلما قدم المالكي نتائج واعدة بتحقيق مستوى نزع للكبريت وصل إلى 92 في المئة؛ فإن فريق عمل آخر، في المركز، نجح، عام 2002م، في ابتكار جهاز لقياس مستوى الكبريت في أنابيب الغاز. وقد أدخلت الشركة ابتكار الدكتور إحسان الطائي والمهندس عبدالعزيز المتحمي والتقني هلال المطيري في ثلاثة معامل لها في شدقم وبقيق، فأدى دوره المطلوب بشكل قياسي.

## تراث أرامكو البحثي

حين نبحث في تاريخ العمل البحثي، في أرامكو السعودية، فإننا نجد جذور هذا التاريخ ممتدّة إلى بدايات نشأة الشركة. لقد تطلبت أعمال التنقيب الأولى وجود أبحاث جيولوجية في مواقع الحفر والاختبار، إذ لا يمكن أن يكون البحث عن الزيت في صحارى المنطقة الشرقية مبنياً على توقع الصدف.

وبعد تدفق الزيت بكميات تجارية، وتطوير أعمال الإنتاج، تطوّرت الحاجة إلى المشروعات البحثية، سواء تلك المعنية بتقنيات الحفر، أو المعنية بالاختبارات الكيماوية للنفط المستخرج من مكامن الزيت في مواقع الشركة التي راحت تتزايد يوماً بعد آخر.

وتسجل الصور الأرشيفية جزءاً مهماً من تراث الشركة البحثي. ففيها يظهر السعوديون إلى جانب غيرهم في

**340 عالماً وباحثاً يتوزعون على 128 وحدة مختبرية لإجراء البحوث المستقبلية**

مختبرات يجرون أبحاثاً على منتجات نفطية، ويدرسون عينات، ويطبّقون ما درسوه نظرياً على واقع العمل الزيتي في الحقول والمرافق.

يقول عبدالله المالكي: «كان العاملون في الحقول والمعامل يتعاملون مع مشكلات التشغيل ويضعون الحلول وهم على رأس العمل. وفي مُختبرات بدائية (قياساً بالحاضر) كانوا يجرون التحاليل البسيطة المطلوبة. أما الأعمال الاختبارية المعقدة فقد كانت تُرسل إلى الخارج وتُستخلص نتائجها في مختبرات أخرى».

ولا يُمكن لاحتياجات شركة، بحجم أرامكو السعودية، أن تعتمد على حلول مؤقتة من مُختبرات متواضعة الإمكانات تقنياً وفنياً، كما لا يمكن لها أن تراهن على الوقت في انتظار حلول تأتي عبر المحيطات. فاتجهت إلى مشروع استراتيجي بتأسيس قطاع بحثي وتطويره، واعتباره واحداً من مرافقها الحيوية.

وحسبما يذكر الدكتور حسين السنيدي، رئيس المركز، فإن نهاية ستينيات القرن الماضي، شهدت تطوّراً ملحوظاً في الأعمال البحثية، مشيراً إلى أن المركز، «يعتمد على 35 سنة من الخبرات المتراكمة لدعم احتياجات الشركة التشغيلية».

## الشركات الدولية.. شُركاء

وفي إحدى مراحل العمل، تشاركت أرامكو السعودية وعدداً من شركات الزيت الدولية في مشروعات أبحاث لدعم احتياجاتها. كما استفادت من الأبحاث والدراسات الأكاديمية المتصلة بصناعة الزيت والغاز، من خلال جامعات ومراكز أبحاث دولية. وانطوت هذه المشروعات على تطوير كوادر بشرية سعودية أيضاً، الأمر الذي انتهى

إلى تشكيل مجموعات عمل بحثي في الشركة، وسرعان ما هيأت هذه المجموعات الظروف لتأسيس مشروع مركز أبحاث عام 1994م، وهو العام الذي برزت فيه فكرة المشروع على سطح اهتمامات أرامكو السعودية، وما إن أطلت الألفية الثالثة حتى كانت المرحلة الأولى منه قد أنجزت فعلاً. وفي شهر نوفمبر 2004م أنجزت الشركة مشروع التوسعة الذي شمل المرحلة الثانية من مركز الأبحاث والتطوير القائم حالياً في مدينة الظهران.

## لسنوات طويلة قادمة

محسن العجمي ممثل إدارة مركز الأبحاث والتطوير يعتبر المشروع ذا مواصفات عالمية و«يتلاءم مع الاحتياجات التقنية المتزايدة لعلماء الشركة» حيث «سيلبي هذه الاحتياجات لسنوات طويلة قادمة».

وبتوسعة المرحلة الثانية من المشروع فإن المركز الآن مجهز ليفي بشكل أفضل بما هو مطلوب منه، ألا وهو المساعدة في الحفاظ على صدارة أرامكو السعودية في صناعة المواد الهيدروكربونية باستخدام الأبحاث التطبيقية الابتكارية لتطوير تقنيات وإجراءات عمل على أحدث مستوى. الأمر الذي رفع من مستوى العمل البحثي، وأظهر ابتكارات علمية تدلّ عليها براءات الاختراع التي حصل عليها الباحثون في المركز، حيث إن ما يقارب ثلث البراءات التي حصلت عليها الشركة يقف علماء مركز الأبحاث والتطوير وراءها.

## التزام طموح

ويعكس اهتمام أرامكو السعودية الكبير بالأبحاث والتطوير التزام الشركة المستمر والطَموح بتلبية الطلب العالمي على الطاقة في المستقبل، وإنشاء مشروعات تجارية تعتمد على التقنية الحديثة وإيجاد مصادر دخل جديدة تسهم في تطوير الاقتصاد المحلي.

ويعمل علماء مركز الأبحاث والتطوير، المتخصصون في مجالات متعددة والذين يتعاونون عادة مع شركاء خارجيين، بشكل حثيث من أجل اقتناص فرص التنمية في الصناعة الهيدروكربونية، وحماية الأسواق المستقبلية للزيت الخام وإيجاد أعمال جديدة.

وينشغل علماء الشركة بمحاولة إيجاد حلول لأسئلة كثيرة ومهمة في الصناعة، منها: كيف يمكن حرق وقود البترول بشكل أكثر كفاءة ونظافة؟ وكيف يمكن الحصول على منتجات خفيفة من الزيت الخام الثقيل؟ وما هي أفضل الطرق لمحاربة التآكل؟ وكيف يمكن استخراج كميات أكبر من الزيت والغاز من المكامن؟

## حلول مختبرية

ودعماً لأعمال الشركة في التنقيب والإنتاج؛ يقوم علماء المركز بتطوير حلول مختبرية وتكييف تقنيات التحويل وتوافر خدمات تقنية متقدمة في مجال البتروفيزياء، والسلوك المرحلي للمواد الهيدركربونية، وسوائل حفر آبار الزيت والغاز، والكيمياء الأرضية، وعمليات تنشيط وتحفيز إنتاج النفط والغاز، وغير ذلك من المجالات. ويدرس الباحثون أيضاً سلوك المكامن الهيدروكربونية ويقومون بإعداد التقويمات الجيوكيميائية للصخور، ويبحثون سبل رفع إنتاجية الآبار.

## ضمان الموثوقية

ضمان الموثوقية والأداء الأفضل لموجودات الشركة يُعتبر هدفاً أساساً، ويمثل برنامج التآكل التابع للمركز ركناً أساساً في هذا الإطار؛ حيث يتضمن دراسة أساليب التحكم ومراقبة الأوضاع وأداء المواد. كما تشتمل الأبحاث على تطوير مواد التغليف، ومبلمرات سوائل الحفر، والمواد غير المعدنية والمركبة لاستخدامها في مناطق الأعمال.

وسيواصل المركز في السنوات القادمة ما ابتدأ به من أبحاث ريادية تتطلع لإيجاد تقنيات جديدة من شأنها تعزيز موارد الزيت والغاز وزيادة ربحية الشركة وتنمية اقتصاد المملكة.

## أهداف أربعة

يسعى المركز إلى إدخال تطويرات تنسجم مع أربعة أهداف بعيدة المدى هي:

- المحافظة على استخدام الزيت في وسائل المواصلات.
- زيادة استخدام الزيت كلقيم في الصناعات الكيميائية.
- الاستفادة من تطبيقات توليد الكهرباء في تشجيع استهلاك الزيت في هذا المجال.
- إيجاد أسواق جديدة للزيت.

وللوصول إلى هذه الأهداف، تشمل مواضيع الأبحاث تحسين استخلاص الزيت وتقييم المكامن، والتوصل إلى تركيبات مستقبلية للوقود النظيف، وإيجاد استخدامات جديدة للزيت.

## دراسات للمستقبل

وقد حقّقت أرامكو السعودية منجزات بحثية وعلمية لافتة، ومنذ عقد مضى كانت إحدى شركات الزيت السباقة في استخدام التصوير الشعاعي الطبقي بالكمبيوتر. هذه التقنية، في الأصل، تقنية تُستخدم في التصوير الطبي، لكن الشركة استخدمتها في تقييم الصخور المنتجة للبترول، ومن تحليل آلاف الأقدام من عينات الصخور المأخوذة من باطن الأرض يحصل الباحثون على تشخيص أفضل للمكامن ورسم صور لعملية تدفق السوائل.

ومن ضمن القدرات التحليلية المتقدمة الأخرى في المركز يأتي كل من: مسحوق انعطاف الأشعة السينية لاختبار التركيب الفيزيائي والكيميائي للمواد الصلبة غير المعروفة، والتحليل الطيفي عن طريق الاستشعاع السيني المشتت للطاقة (EDXRF) في دراسات الحد من التقشر/التآكل والدراسات الأخرى، والتحليل الطيفي للانبعاث البصري للبلازما للتحليل المتعدد العناصر، والتحليل الكروماتوغرافي/التحليل الطيفي للكتلة للغاز لدراسة الجزيئات، والفحص المجهري عن طريق مسح الإلكترونات في العينات الدقيقة في بيئة تشبه بيئتها الطبيعية لأغراض التصوير التكبيري الشديد، والمقياس الطيفي للرنين المغناطيسي النووي لدراسة المركبات العضوية.

وخلال عام 2004م أكمل المركز دراسات تتعلق بمعالجة المياه وتقليل تكلفة التآكل توصلت إلى إمكانية تحقيق وفر كبير عن طريق استخدام تقنيات جديدة كأغشية الترشيح الدقيقة، والمواد المركبة المشتقة من الزيت ومواد التغليف الجديدة عالية الكفاءة. كما تجرى أيضاً دراسات على تركيبات وقود بترولي جديدة، ودراسات رائدة في مجال التركيب الكيميائي لأنواع الوقود التي تناسب أنظمة محركات الدفع الجديدة، ودراسات بعيدة المدى حول الطرق الاقتصادية لاستخدام الزيت في إنتاج الهيدروجين

**كشف الباحثون عن ثلاثة أنواع من النباتات المحلية بإمكانها تنقية التربة من مخلفات الزيت**

لاستخدامه في وسائل المواصلات، ومعامل إنتاج الحرارة والكهرباء.

## مواجهة الكربون

واستمرت الشركة في عام 2004م في العمل في مجال التقنية البيولوجية من أجل البحث عن طرق لاستخدام الكائنات العضوية الدقيقة في معالجة الزيت الخام وتوافر حلول معالجة بيئية منخفضة التكاليف، حيث توافرت أدوات جديدة لدراسة تسلسل الحمض النووي والتعرف بصورة أسرع على الكائنات العضوية الدقيقة، مما أتاح إمكانية دراسة هذه الكائنات بتفصيل أكبر.

وتسعى مشروعات الأبحاث الحالية إلى استغلال تقنية فرز جديدة للتقليل من انبعاثات الكربون في الصناعة وتطوير حلول تكنولوجية تقلل من الانبعاثات الصادرة من المركبات، ومن ضمن ذلك إزالة الكربون من الوقود البترولي، وإزالة واستخلاص الكربون قبل الاحتراق، بالإضافة إلى معالجة الغازات المنبعثة من الاحتراق بالنسبة للمحركات ذات الاحتراق الداخلي.

## لنا.. وللعالم

من جهة أخرى يقوم إداريون متخصصون بإدارة الأصول الفكرية والخبرات التي تفرزها أعمال الأبحاث والتطوير في الشركة، ودراسة سبل الاستغلال التجاري للأبحاث والتقنيات التي تطورها الشركة عن طريق بيع الابتكارات وحقوق الاستخدام المملوكة لها أو تأسيس شركات تقنية مستقلة وشراكات مع أطراف أخرى. ويتم الآن البحث عن فرص أعمال قائمة على التكنولوجيا في صناعة مواد التغليف والطلاء بالراتين الزيتي، ومضافات تحسين أداء حقول الزيت كمضادات التآكل والمواد غير المعدنية عالية الكفاءة.

تشهد شبكة الخطوط الحديدية في المملكة العربية السعودية خلال الأشهر المقبلة تطوراً بالغ الأهمية، يتمثل في طرح مشروع توسعتها على المستثمرين في مزايدة عالمية.
الإعلامي حسين خمّاش يحدثنا هنا عن مشروع التوسعة، الهادف إلى ربط ميناء الدمام في المنطقة الشرقية بميناء جدة الإسلامي على البحر الأحمر، وأيضاً ربط مدن المنطقة الغربية بعضها ببعض (جدة، مكة المكرمة، المدينة المنورة، ينبع).

## مشروع جديد.. من الدمام إلى جدة

# سكة الحديد تربط الساحلين



### مواساة

فيما كانت «القافلة» في مراحل الإخراج النهائية تمهيداً للطباعة؛ فوجئ فريق التحرير بنبأ وفاة الزميل الإعلامي حسين خمّاش الذي أعد هذه المادة للمجلة. وتودّ «القافلة» أن تُعبِّر عن حزنها الشديد لرحيل الزميل الشاب، وتدعو له بالرحمة والمغفرة؛ ولأهله بالصبر والسلوان. كما تتوجه بالمواساة إلى الوسط الإعلامي السعودي الذي فقد واحداً من أنشط كوادره المهنية. إنا لله وإنا إليه راجعون.

**منذ تأسيس الخط الحديدي الذي يربط بين الرياض والدمام قبل نصف قرن لم يطرأ أي توسع في مد هذا الخط ليشمل مناطق أخرى. فقد كان الجهد منصباً على تطوير هذا الخط الحديدي من حيث تحسين البنية التحتية، وإدخال قاطرات وعربات جديدة، وإنشاء خط رديف لنقل الركاب يختصر المدة التي كان يقطعها قطار البضائع على امتداد الخط القديم، وإنشاء ميناء جاف بالرياض يستقبل البضائع والحاويات المتزايدة من ميناء الملك عبدالعزيز بالدمام، إضافة إلى بناء محطات جديدة في كل من الرياض والأحساء والدمام ومراكز لصيانة القاطرات.**

وبمرور السنين، ومع التطور الذي شهدته المملكة في مختلف جوانب الحياة واتساع القاعدة التصنيعية والتجارية، وازدياد أعداد السكان، بدأ التفكير في مد هذه الشبكة الحديدية إلى بعض المناطق في المملكة. ثم جاءت الفرصة بدعوة البنك الدولي إلى المشاركة في تقديم دراسة عن الجدوى الاقتصادية لمد جسر بري يربط ميناء الملك عبدالعزيز بالدمام بميناء جدة الإسلامي؛ فجاءت النتائج مشجعة على البدء بتنفيذ هذا المشروع وفق صيغة البناء والتشغيل وإعادة المشروع إلى الدولة المعروف بـ B.O.T.

كانت تجربة العمل في مثل هذه المشاريع الاقتصادية الدولية غير جديدة على المهندس خالد بن حمد اليحيى، الرئيس العام للمؤسسة العامة للخطوط الحديدية؛ بحكم خبرته في العمل ممثلاً للمملكة في البنك الدولي قبل توليه منصبه الحالي منذ ما يقارب السنوات الخمس؛ ومن خلال اطلاعه على دراسات الجدوى التي سبق إعدادها بشأن مشاريع التوسعة أخذ على عاتقه مهمة تحقيق هذا الحلم، بعد تكليفه من قبل المقام السامي برئاسة اللجنة التوجيهية لبرنامج توسعة الشبكة الحديدية للجسر البري والخطوط الغربية، بعد جمود هذه الشبكة لأكثر من خمسين عاماً.

### التخصيص منطلق

بذلت حكومة خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - جهوداً قوية لدعم التخصيص كخيار مهم؛ يعزز مشاركة القطاع الخاص في تقديم الخدمات التي تقوم بها المؤسسات الحكومية، وقد أقر المجلس الاقتصادي الأعلى في عام 1423هـ استراتيجية التخصيص التي تسعى من خلالها الحكومة إلى تحقيق عدد من الأهداف المهمة، منها: رفع كفاءة الاقتصاد الوطني، والمشاركة الفاعلة للقطاع الخاص، وتشجيع الاستثمار، وزيادة فرص العمل، كما أقر مجلس الوزراء قائمة الأنشطة والمرافق الحكومية المستهدفة بالتخصيص، وشملت عشرين مرفقاً ونشاطاً حكومياً، ومن أبرز تلك الأنشطة المياه

والصرف الصحي، والمطارات، والطرق، والخطوط الحديدية، والخدمات التعليمية والبلدية.

وتنفيذاً لقرار تخصيص قطاع الاتصالات وتحويله إلى شركة مساهمة طُرح 30 في المئة من أسهم شركة الاتصالات السعودية للاكتتاب العام، وسبق ذلك إسناد عمليات التشغيل والصيانة في الموانيء إلى القطاع الخاص، ومنذ عام 1994م بدأت الخطوات الأولى لتخصيص الخطوط الجوية العربية السعودية، كما بدأت خطوات تخصيص مرفق سكة الحديد لمد شبكات السكك الحديدية على امتداد الجزء الرئيس من المساحة الجغرافية الواسعة للمملكة، وتم تحويل المديرية العامة للبريد إلى مؤسسة عامة تمهيداً لتخصيصها.

> تحسين الخدمات وأداء الشبكة الحالية يهدف إلى تحسين مردودها المالي على الدولة عند التخصيص، و"الرحاب" خدمة الرفاهية الجديدة للمسافرين

### مشروع التوسعة

شرعت المؤسسة العامة للخطوط الحديدية في الإعداد لمشروع توسعة شبكة خطوطها عن طريق القطاع الخاص بعد إقراره من المجلس الاقتصادي الأعلى ليشمل:

– المسار الأول: خط الشرق – الغرب، ويربط بين مدينتي الرياض وجدة بطول 950 كيلو متراً تقريباً، وتشكل الحاويات الجزء الأكبر من حركة النقل على هذا الخط، ويشتمل المشروع على وصلة الدمام – الجبيل التي تربط مدينة الجبيل بالشبكة الحالية.

– أما المسار الثاني: فيتضمن إنشاء شبكة المنطقة الغربية (جدة – مكة المكرمة – المدينة المنورة – ينبع)، ويستهدف بالدرجة الأولى توفير خدمة نقل الركاب بواسطة قطارات حديثة ذات تقنية عالية، وسيضيف هذا المشروع خدمة جديدة إلى الخدمات الكبيرة التي تقدمها الدولة للحجاج.

وقد بدأ فعلا بتنفيذ البرنامج والقيام بالعديد من المهام التي تضمنتها المرحلة الأولى، ومن أهمها اختيار المستشار المالي والفني والمستشار القانوني للمشروع، ثم تلا ذلك تكليف المستشار المالي والفني والمستشار القانوني بمهمة إعداد وثائق طرح المشروع على المستثمرين في مزايدة عالمية لتنفيذه من قبل القطاع الخاص بأسلوب B.O.T وذلك في غضون الأشهر الأربعة القادمة. ومن ضمن تلك الوثائق عقد الامتياز وشروطه، والمعايير الفنية، ومعايير السلامة والبيئة، والأسس والقواعد المنظمة لنقل أصول المؤسسة وترتيبات أوضاع موظفي المؤسسة الحاليين الذين يبلغ عددهم 1600 موظف، إضافة إلى النظام الذي ينظم قطاع النقل بالخطوط الحديدية عند انتقاله إلى القطاع الخاص، وهو النظام الذي سيقوم باقتراحه المستشار القانوني إضافة إلى الهيكل الإداري للهيئة التي ستشرف على تطبيقه.

### مؤتمر لندن

ويأتي مؤتمر لندن الذي عقدته المؤسسة العامة للخطوط الحديدية يوم الحادي والثلاثين من يناير 2005م، برئاسة معالي وزير النقل رئيس مجلس إدارة المؤسسة الدكتور جبارة بن عيد الصريصري، ضمن إطار برنامج عمل اللجنة التوجيهية لإطلاع الجهات المهتمة بمشروع الجسر البري، من مستثمرين وشركات متخصصة، على آخر المعلومات المتوافرة عن المشروع، إضافة إلى أن المؤتمر قد أتاح الفرصة للمشاركين للتعارف، وتشكيل ائتلافات تتقدم بطلبات لتأهيلها للمشاركة في المنافسة على امتياز التنفيذ والتشغيل.

## السكك الحديدية في مهدها



في منتصف عقد الستينيات الهجري برزت الحاجة إلى إنشاء ميناء تجاري على سواحل الخليج لنقل البضائع المستوردة عن طريق الميناء إلى الساحل ثم إلى مستودعات شركة أرامكو، فأمر جلالة الملك عبدالعزيز، طيّب الله ثراه، بتنفيذ المشروع كاملاً ليصل إلى مدينة الرياض. وتم بدء التنفيذ في 1366/11/26هـ أكتوبر 1947م. وفي التاسع عشر من شهر محرم عام 1371هـ الموافق 1951/1/19م، احتفل رسمياً بافتتاح الخط في الرياض. وفي عام 1405هـ الموافق 1985م تم إنشاء خط آخر جديد اختصر المسافة وزمن السفر بأربع ساعات بدلاً من سبع ساعات بطول 450 كم.

وبقيت السكة الحديد تعمل بإشراف شركة أرامكو ثم ارتبطت بوزارة المالية وسميت مصلحة سكة الحديد. وفي تاريخ 1368/1/22هـ صدر المرسوم الملكي رقم 3/2 بالموافقة على النظام التأسيسي للمؤسسة وعليه تحولت سكة الحديد إلى مؤسسة عامة يديرها ويرسم سياستها العامة مجلس إدارة وفقاً للأسس التجارية.

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين، حفظه الله، تطورت مشروعات المؤسسة العامة للخطوط الحديدية، حيث تم إنشاء الخط المباشر من الدمام إلى الرياض بطول 499 كم. ومن ثم إنشاء ثلاث محطات ركاب حديثة في الدمام والهفوف والرياض، وأنشئت ورشة الصيانة الرئيسية بالدمام وتم تشغيل الميناء الجاف بالرياض وهو أهم إنجازات المؤسسة التي ساهمت في تطوير خدماتها.

ووفقاً للمعلومات المتوافرة عن مشروع الجسر البري (سمي بهذا المسمى كونه سيربط بين ميناءين بحريين)، فإنه سوف يحقق نقلة نوعية وكمية في قطاع النقل بالخطوط الحديدية في المملكة تضع شبكتها في مصاف الشبكات العالمية ذات الكثافة العالية في حجم نقل الحاويات. كما سيوفر المشروع وسيلة عصرية لنقل الركاب بمستويات عالية من الراحة والسرعة بين المناطق الرئيسة الثلاث في المملكة العربية السعودية.

> الدراسات التي أجريت بمشاركة البنك الدولي أكدت الجدوى الاقتصادية للمشروع، والتنفيذ وفق صيغ البناء والتشغيل وإعادة المشروع إلى الدولة

ومن المتوقع أن يشهد الميناء الجاف بالرياض تضاعفاً في حجم نشاطه حال البدء في تشغيل الجسر البري الذي سيوفر لتجار منطقة الرياض إمكانية تخليص بضائعهم الواردة عبر ميناء جدة الإسلامي في محطة وصولها النهائية، وهي الميزة المتاحة حالياً للبضائع الواردة بالقطار من ميناء الملك عبدالعزيز بالدمام، حيث وقف الميناء الأخير وراء نجاح الميناء الجاف منذ افتتاحه عام 1981م. ومن المعروف أن ميناءي جدة الإسلامي والملك عبدالعزيز بالدمام هما أكبر موانيء المملكة حيث تتم مناولة الحاويات بمعدل 2.4 مليون حاوية في ميناء جدة الإسلامي و750 ألف حاوية في ميناء الملك عبدالعزيز بالدمام.

وحول دور الحكومة في مشروعات التوسعة يشير معالي وزير النقل ورئيس مجلس إدارة المؤسسة العامة للخطوط الحديدية الدكتور جبارة الصريصري إلى أن هذا الدور سيكون محورياً؛ ذلك لأن المؤسسة هي الجهة التي تشرف على البرنامج التنفيذي للمشروع، كما أن المشروع قد يتطلب في مرحلته الأولية دعماً حكومياً مقطوعاً، ويتحدد ذلك طبقا لظروف طرح المزايدة في حينها.

### التحسين قبل التخصيص

وفي خطوات استباقية للمؤسسة العامة للخطوط الحديدية أو تمهيداً لمرحلة التخصيص تبنت المؤسسة منهج التخطيط الاستراتيجي سعياً نحو تحسين أدائها الفني والتشغيلي والمالي، بما يعزز قيمتها عند انتقالها في إطار مشروع التوسعة إلى مستثمري القطاع الخاص، وبالتالي تحقيق أكبر عائد مالي ممكن للدولة. ومن أبرز ملامح تطبيق هذا النهج الإداري:

– الاتفاق على رؤية ورسالة واضحتين ومجموعة من القيم أسهمت في إعدادها شريحة واسعة من منسوبي المؤسسة.



- استخلاص محاور عديدة للأهداف من رسالة ورؤية المؤسسة، تأتي في مقدمتها الأهداف التي تتركز حول تقديم خدمة متميزة للمستفيد.
- تحديد الموارد المادية والبشرية المطلوبة لتحقيق تلك الأهداف.
- وضع الأدلة الإجرائية لعمل إدارات المؤسسة المختلفة.
- وضع مجموعة من المؤشرات لقياس مدى التقدم نحو تحقيق الأهداف.
- إعادة النظر في هيكل المؤسسة التنظيمي بما يساعد على تحقيق الأهداف المتفق عليها بأعلى كفاءة وفاعلية ممكنتين.
- تفويض رؤساء القطاعات بالصلاحيات والمهام التي تساعد في تسيير العمل بكل مرونة لتحقيق الأهداف التي تسعى إليها المؤسسة.
- تمكين الموظف وتفويضه الصلاحيات اللازمة لتحقيق الأهداف.
- ترسيخ مفهوم الجدارة في ذهن الموظف واعتماده أساساً للترقية ونيل المزايا الوظيفية، وتطوير أدوات مبتكرة (على مستوى الأجهزة الحكومية) لتقييم أداء الموظف.
- مراجعة النتائج والتقويم المستمر للأداء.





من أولويات المشروع الجديد تحسين الخدمات وتطويرها

ونتيجة لكل ذلك تحسنت مستويات الأداء للعاملين في المؤسسة، وارتفعت العائدات المالية لعناصر الإيرادات الرئيسة، وتم خفض التكاليف بفعل ترشيد الإنفاق، وتحقيق مبدأ العدالة من خلال وضع ضوابط من شأنها ترشيد المخصصات المالية، وتحسنت خدمة الركاب كماً ونوعاً، حيث كسرت المؤسسة لأول مرة في تاريخها حاجز المليون راكب خلال عام واحد، وكان ذلك خلال العام المالي 1424/1425هـ، إضافة إلى ارتفاع إيرادات هذا النشاط والخاص بنقل الركاب لنفس الفترة إلى أكثر من 34 مليون ريال، بزيادة نسبتها 19 في المئة عن العام المالي 1423/1424هـ.

كذلك تم تصحيح أوضاع استثمار الأراضي، وتنفيذ لائحة جديدة تسهم في الاستفادة من هذه الأصول بما يعزز إيرادات المؤسسة من هذا العنصر، وزيادة نقل البضائع انتقائياً بما يحقق زيادة العوائد. وهنا نشير إلى ما حققته المؤسسة من إيرادات على صعيد نقل البضائع والحاويات خلال العام المالي 1424/1425هـ والذي بلغ أكثر من 134 مليون ريال مقارنة بنحو 108 ملايين ريال خلال العام المالي 1423/1424هـ، وبمجموع أطنان تجاوز مليونين ونصف المليون طن مقارنة بحوالي مليون وثمانمائة ألف طن لنفس الفترة. وقد وصلت إيرادات المؤسسة بوجه عام إلى 235 مليون ريال خلال العام المالي 1424/1425هـ مقارنة بـ 195 مليون ريال إيرادات العام المالي السابق، وهو ما شكل زيادة بلغت نسبتها أكثر من 21 في المئة. أيضاً كان من الانعكاسات الإيجابية لأبرز ملامح تطبيق التخطيط الاستراتيجي بالمؤسسة علاج مشكلات فنية مزمنة كانت تعاني منها المؤسسة، وتأصيل الأساليب العلمية للصيانة ومنها الوقائية لكافة أنواع الأسطول والمعدات، ورفع جاهزية الأسطول وموثوقيته إلى قيم قياسية، واستخدام التقنيات الحديثة حسب الإمكانيات المحددة، واعتماد نظام جديد لتوثيق أعمال الصيانة يعتمد على الحاسب الآلي.

ومن جديد الخدمات التي ستضطلع الخطوط الحديدية إلى تدشينها خلال الفترة القريبة القادمة استحداث درجة الرحاب، التي ستقدم مع تدشين العربات السبع عشرة الجديدة الخاصة بالركاب، حيث سيكون السفر عبر هذه الدرجة أكثر راحة ورفاهية، ومن خلال صالات خاصة للمسافرين على هذه الدرجة. 

## سكة حديد الحجاز

يعتبر خط سكة حديد الحجاز الذي ربط أجزاء الدولة العثمانية لغرض خدمة حجاج بيت الله الحرام، من أهم إنجازات السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وقد استمر العمل فيه ثماني سنوات متواصلة من الجهد الشاق والأعباء العريقة التي اشترك فيها المسلمون بأحلامهم وبالمساعدات التي قدموها للسلطان العثماني في سبيل "خط الحجاز" ولكن التبرعات غطت ثلث تكاليفه إلا أن الحماسة الدينية تفجرت في النفوس فأكملوا متطلبات المشروع بعد ركوده. واكتمل الخط الحديدي الذي بلغ طوله 1320 كم حيث امتزجت الدموع بالدعاء عندما وصل أول قطار يركبه الحجاج وصولاً للمدينة المنورة في 23 أغسطس 1908م. وقد سهّل الخط الحديدي السفر والمشقة التي تكبدوها زمناً طويلاً حيث الخوف يصاحبهم من الغارات واللصوص التي تعترض طريقهم، كما أنهم يستغرقون شهوراً ما بين ذهاب وإياب. وقدّرت تكلفة المشروع بنحو 3.5 مليون ليرة عثمانية والدولة العثمانية -حينها- كانت تمر بأزمة مادية فأراد السلطان العثماني أن ينجز المشروع برأسمال إسلامي دون الاقتراض من بيوت المال الأجنبية التي تتعامل بالربا. فتبرع السلطان بمبلغ 320 ألف ليرة من ماله الخاص وتبرع شاه إيران بخمسين ألفاً وأرسل خديوي مصر عباس حلمي كميات ضخمة من مواد البناء وسائر الأقطار الإسلامية نشرت حملات تبرع واسعة النطاق. كما أصدرت الدولة العثمانية طوابع بريدية وأصدرت أوامر بقطع 10 في المئة من رواتب موظفي الدولة وجمعت جلود الأضاحي وحولت أثمانها إلى المشروع.

وقدّم هذا المشروع خدمات جليلة لحجاج بيت الله الحرام حيث استطاع حجاج الشام والأناضول قطع المسافة من دمشق إلى المدينة المنورة في خمسة أيام بدلاً من أربعين يوماً علماً بأن الوقت الذي كان يستغرقه القطار هو 72 ساعة وبقية الأيام كانت تضيع في وقوف القطار في المحطات وغيرها. وهذا الخط الحديدي أسهم في التطوير التجاري لكافة المدن الواقعة على الخط، فبالإضافة إلى مدن الحجاز هناك مدينة حيفا التي تحولت إلى ميناء مهم و شهدت استقرار بعض القبائل البدوية على جانبي الخط. وعلى إثر نشوء خط الحجاز الحديدي شهدت المدينة المنورة أبراج الكهرباء لأول مرة حيث ابتدأت في الحرم النبوي الشريف يوم افتتاح سكة الحديد. واستمرت سكة حديد الحجاز تعمل ما بين دمشق والمدينة المنورة ما يقارب تسع سنوات ولما نشبت الحرب العالمية الأولى أدرك البريطانيون أهمية الخط الحديدي في دعم القوات العثمانية عامين في جنوب فلسطين وبعدها نشبت الثورة العربية بقيادة الشريف الحسين ابن علي وأشار عليه ضابط الاستخبارات البريطانية لورانس بتخريب وهدم السكة الحديدية التي قوّت جنوده في مواجهة سابقة مع القوات البريطانية في الحرب وقد تم تدميرها. وبعد تغيير الخريطة السياسية للشرق العربي الآسيوي على يد عصبة الأمم بيد القانوني السويسري "أوجين بورل" سنة 1925م ولما أصبح الوطن العربي يتشكل من عدة دول أصبح خط الحجاز يمر بأربع دول هي سوريا وفلسطين والأردن والسعودية فحاولوا إعادة هذا الخط الحديدي. وفيما بعد عقدت ثلاث دول هي السعودية وسوريا والأردن مؤتمر الرياض سنة 1955م ووضعوا خطوات للتنفيذ و لكن بعد 11 عاماً من تأجيل المشروع تم نسيانه، وفي عام 1978م تم الاتفاق بين البلدان الثلاث سوريا والأردن والسعودية على إنشاء خط عريض يربطها ولكن المشروع كان مآله النسيان مرة أخرى وأخيرة.

خريطة لخط سكك حديد الحجاز 1914م

قول في مقال

# خذ حقك من التطوع..!

**حين يراجع أحدنا نفسه ويبحث في جدوله اليومي عن أعمال تطوّعية فلا يجد شيئاً؛ فإن ذلك يشير إلى وجود خلل ما في علاقة الإنسان بنفسه، وعلاقته بمجتمعه.. الدكتور علي العبدالقادر يراجع معنا مفهوم العمل التطوعي وانعكاسه على الذات وعلى البيئة، مروراً بالقيم الدينية والإنسانية التي يتعامل البشر من خلالها..**

أتذكر من أيام التدريس الجامعي موقفاً جديراً بالتأمل؛ فذات يوم شكا إليّ أحد طلابي معاناته من التوتر والقلق اللذين راحا يتزايدان بسبب شكواه من مرض باطني. أخبرني الطالب أن الوصفات الطبية لم تُجدِ معه نفعاً، وأن قلقه قد وصل إلى مستوى لا يُحتمل..!

رحت أحاوره في شكاواه، وأسأله عن بعض الأمور، وتوصلت معه إلى فكرة، هي أن يتشاغل عن قلقه بمساعدة زملائه في دراستهم، وأن يسهم في فعاليات صندوق الطلبة، وأن يشارك في النشاطات الثقافية والرياضية التي تنفذها الجامعة. أتذكره كان قلقاً شاحباً، مرتبكاً غير قادر على التركيز جرّاء ذلك القلق الذي أفسد عليه كثيراً من متع الحياة والتحصيل. وبعد أن اتفقنا على الفكرة، غادر مكتبي.

بعد شهر، أو أكثر قليلاً، زارني الشاب نفسه. ويا سبحان الله.. كأنه حين زارني الزيارة الثانية لم يكن ذلك الشاب القلق المتوتر الذي فقد الثقة حتى بوصفات الأطباء قبل شهر من الزمان فقط.

دخل عليّ المكتب بروح عالية، بشوشة، نشطة، وحين ناقشته في أوضاعه سرد عليّ قائمة طويلة بما أنجزه منذ غادر مكتبي.

نظم برنامجاً لتدريب زملائه على الحاسب الآلي والبحث العلمي دون مقابل. واقتطع من وقته جزءاً للرياضة، والأنشطة الثقافية، ووضع تنظيماً دقيقاً لواجباته الدراسية وأعماله التطوعية. فكانت النتيجة أن قلقه وتوتره أخذ في التلاشي يوماً بعد يوم، حتى أن شكواه المرضية لم يعد لها وجود تقريباً.

### للعلاج وللرضا عن النفس

قصة أخرى أتذكرها أيضاً. فقد شكا لي أحدهم ارتفاع ضغط الدم الذي لم يكن يشكو منه قبل تقاعده. فقام بعلاج نفسه من خلال سلوك يومي يمارسه هو زيارة المرضى في المستشفيات ومحاولة إدخال السرور عليهم والدعاء لهم. وبعد مرور فترة من الزمن، لاحظ زوال ما يشكو منه، لأنه بعد زيارتهم كان يشعر بسرور وسعادة، ويمارس نشاطاً اجتماعياً خيرياً، يبعده عن التوتر وضيق الخاطر والخمول في المنزل.

وحين كنت طالباً في الولايات المتحدة الأمريكية، عرفت قصة لسيدة تعدت السبعين من العمر واقفة على رصيف شارع، تحمل في يدها أداة فسفورية خضراء اللون، توقف بها السيارات حين يتوجه التلاميذ إلى المدرسة وحين يخرجون منها، وترافقهم لتعبر بهم الشارع من الرصيف إلى الرصيف، لمدة ساعة صباحاً وساعة مساءً. وكانت تحرص على الحضور قبل وصولهم وقبل خروجهم، وهي مبتسمة في هدوء وسعادة برؤية التلاميذ ورعايتها لهم. وعرفت أنها تمارس هذا السلوك لأكثر من عشر سنوات، كانت مكتفية بالرضا ونبل الهدف..!

والحقيقة هي أنني لا أريد أن أضع العمل التطوعي والعصا السحرية في موقع واحد، ولكنني حين أتأمل هذه القصص وكثيراً من القصص المماثلة فإنني أصل إلى نتيجة يقرها العلم، هي أن خدمة الناس والسعي إلى نفعهم والتعايش معهم وتفهم احتياجاتهم ومحاولة تلبيتها.. كل ذلك من شأنه أن يترك آثاراً إيجابية كثيرة في النفس البشرية، فتنعكس هذه الآثار في شكل راحة بال وهدوء ضمير واستقرار نفسي وشعور طيب لما يعود على الآخرين من الأعمال.

وتتميز الأعمال التطوعية الخيرية بالمردود الإيجابي العظيم على الذات وعلى المجتمع على حد سواء، إنها أعمال تنبثق من نفس مشبعة بالخير والحب والجمال، ويحركها ضمير حي مفعم بالقيم والمثل الدينية والإنسانية، وتصدر عن قلب متوهج بالإيمان، متجرد من الأنانية والشح.

وسواء أكانت الأعمال التطوعية مادية أو معنوية، قولاً أو فعلاً أو فكراً أو علماً، فهي سلوك بشري تحتاجه المجتمعات في مختلف الثقافات، لتنمية برامجها وخدماتها الاجتماعية أو التعليمية أو الصحية. ذلك أن التبرع بتقديم الخدمة أو المال أو بذل الجهد يصل إلى درجة الإحسان التي تفوق درجة الإتقان.

ومن شأن هذه الأعمال التطوعية أن تعود على المجتمع بتحقيق مبادئ سامية من أهمها التكافل الاجتماعي الذي نادى به الدين الإسلامي واعتبرها هدفاً استراتيجياً، وإطاراً كبيراً للأعمال الخيرية، التي تحقق الرخاء لأفراد المجتمع، وتوثق العلاقات الطيبة بينهم، وتحد من الطبقية وسلبياتها، وتقلل من تأثير حالات الفقر والعوز في المجتمع، وتطفئ مشاعر الحسد والغيرة والحقد بين الناس.

### العمل التطوعي.. دينياً

وإذا كانت الزكاة واجبة في التشريع الإسلامي؛ فإن هذا الدين العظيم قد حثّ وشجع مبادرات البذل التطوعية أيضاً، ووضع أولويات العطاء الملائمة للطبيعة البشرية، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾. (البقرة: 215).

هذه الآية الكريمة توضح أن الأعمال التطوعية الهادفة لخير المجتمع هي صدقة، وهي باب واسع مفتوح أمام الجميع من أفراد المجتمع أغنياء وفقراء رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً لتقديمها للصالح العام.

وتأتي الآية الكريمة : ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد: 18)، لتؤكد أن كل أفراد المجتمع المسلم يمكنهم تقديم هذه الأعمال، واكتساب رضا الله وثوابه.

وفي هذا المعنى يوضح الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) بعض أعمال الخير غير المالية التي تعتبر صدقة في قوله: (كل سلامى من الناس عليها صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة) متفق عليه. (سلامى: إحدى مفاصل إصبع اليد الثلاث، فلكل منها صدقة).

هذه الأعمال التطوعية وغيرها صدقة لها عند الله منزلة كبيرة يجزي بها، صغرت هذه الأعمال أم عظمت. وجاء في الحديث أيضاً: (تبسمك في وجه اخيك صدقة).. أنه ابتسامة.. عمل بسيط، لكنه يشرح الصدر ويوثق المودة بين الناس. فكيف إذا كان العمل التطوعي عظيماً في ذاته وأهدافه؟ ولم يقترن بالمن والأذى، كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ﴾. (البقرة: 264).

### في ندوة القافلة

جالت مثل هذه الأفكار في خاطري وأنا أصغي إلى محاضرة الدكتور عبدالله بن حسين القاضي (العمل التطوعي.. مفهومه وممارسته) التي نظمتها «القافلة» قبل أسابيع. فقد استعرض الدكتور القاضي مشروعات تطوعية تنفذها مؤسسات خيرية في هذا الوطن ويسهم فيها متطوعون من أبنائه، ومنها على سبيل المثال: مشروع الاسكان الخيري، ومشروع تيسير الزواج، ومراكز الأحياء، ومركز التطوع بمدينة الجبيل، فضلا عن برامجها الإيوائية والإغاثية والتربوية المستمرة، ناهيك عن الدعم الشهري للأسر المحتاجة بمحافظات المنطقة الشرقية، وجائزة الأمير محمد بن فهد لأعمال البر التي حققت أهدافاً نبيلة في تشجيع القادرين على الإسهام في الأعمال الخيرية. وكل ذلك يؤكد المردود الإيجابي الكبير لهذه الأعمال على المجتمع.

أما المردود الإيجابي على الذات فإنه متعدد الجوانب، وقد بحثت في هذا الشأن الإنساني، فوجدت أن العمل الخيري يعين المرء على التخلص من متاعبه النفسية والعصبية والجسدية، ويشبع الحاجات الأساسية للإنسان، كحب الله وحب الناس له، وكتحقيق الذات، وتقدير الآخرين وثنائهم عليه. وهذه الأمور تحقق رضا الإنسان عن نفسه وتمنحه شعوراً بالسعادة التي تغمره بفيض من رضا الله سبحانه وثوابه، فضلاً عن تنمية طاقات الشخص وصقل مواهبه وقدراته العقلية الكامنة التي ربما ليس لها مجال للتفتح والانطلاق والإبداع سوى هذه الأعمال الجليلة حينما يقوم بها في مؤسسته أو يسهم بها في مشروعات البر وبرامجه العديدة في المجتمع، فتنقله من التقوقع على الذات إلى المجتمع الإنساني الرحب، وتعمق فيه المشاعر النبيلة، وتقتحم ظلمات النفس فتنيرها، وتزيل عنها غشاوة الأنانية ، وتزرع فيها قيم الحب والبر والجمال التي تشعره بإنسانيته وكرامته، وتذكره بأفضال الله عليه ، فيرافقه شعور فياض بالسعادة والغبطة طيلة حياته، ويتخلص من القلق والتوتر والاكتئاب ، فيحمد الله على نعمه التي لاتحصى.

## من زوايا جغرافية متعددة..

# لماذا لا نقرأ؟

**دأبت منظمة اليونسكو العالمية على إحياء "اليوم العالمي للكتاب" في السابع عشر من نيسان (أبريل) من كل عام، ساعية إلى تشجيع الشعوب على القراءة ومحرضة إياها على جعل الكتاب "رمزاً للأمل والحياة" كما قال المدير العام للمنظمة. الأرقام التي تطالعنا بها بعض الإحصاءات تؤكد أن الوطن العربي هو من الأقل إقبالاً على القراءة وعلى الكتاب. ويفيد إحصاءٌ أجرته منظمة اليونسكو (2001م) أن الإنتاج العام للكتب في الدول العربية مجتمعة أقل مما تنتجه منفردة أصغر دولة في أوروبا وهي بلجيكا. وتؤكد أرقام منظمة اليونسكو دوماً أن صناعة الكتاب العربي تتراجع على مستوى النشر مثلما تتراجع على مستوى القرّاء. هذا الملف الذي أعددناه يحاول إلقاء الضوء على ما يُسمى أزمة الكتاب والقراءة في العالم العربي ويسعى إلى البحث في عناصر هذه الأزمة وإلى رسم صورة للقارئ العربي، انطلاقاً من تحقيقات ميدانية وآراء لعدد من الكتّاب والناشرين والمثقفين من المملكة العربية السعودية إلى المغرب مروراً بدمشق وبيروت والقاهرة.**




## 1 معارض الكتب وأحوال النشر في الوطن العربي

### أية مشكلات تواجه الكتاب العربي؟

بيروت: عبده وازن

كان على الكتّاب والناشرين العرب أن ينتظروا "معرض فرانكفورت للكتاب" الذي استضاف العالم العربي في دورته الأخيرة، كي يتبيّنوا واقع النشر العربي إزاء أحوال النشر في الدول الغربية، الأوروبية والأمريكية والآسيوية.

وليس من المستغرب أن تُجمع الصحافة العربية على أنّ جامعة الدول العربية فوّتت فرصة كان من الممكن أن يستفيد منها الناشرون والكتّاب على السواء. فالمشاركة العربية لم تجنِ الثمار التي كان من المفترض أن تجنيها، ولم يستطع الناشرون العرب أن يأتوا بعقود مبرمة لترجمة بعض الكتب العربية إلى لغات عالمية وبعض الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية، وهذه أصلاً تتم "قرصنتها" في الكثير من العواصم العربية، ويمكن القول إن الناشرين العرب فشلوا في تقديم الكتاب العربي إلى الزائرين الألمان والعالميين، فبدت الكتب معروضة في طريقة عشوائية، وقد اختلطت عبرها العناوين والأنواع حتى بات من الصعب على الزائر أن يتابع الكتب المعروضة. أما المعرض فكان معرضاً عربياً عادياً احتلت مصر واجهته. والبيع كان خفيفاً جداً، وبدا الناشرون العرب في حالٍ من السأم، جالسين في أجنحتهم بانتظار جمهور يجهلونه تماماً.

قد يكون الكلام عن المشاركة العربية في معرض فرانكفورت خير مدخل إلى الكلام عن أحوال النشر في العالم العربي، وعن أحوال الكتاب العربي فيه. فاللافت أن معارض الكتب في العالم العربي تشهد نوعاً من الازدهار رغم الكلام الدائم الذي يتبادله الناشرون والموزّعون والكتّاب حول أزمة الكتاب المتعدّدة الوجوه. فما إن ينتهي معرض بيروت حتى يبدأ معرض جدّة ويليه معرض القاهرة – وهو الأضخم – ثم معرض الشارقة فدمشق والدار البيضاء والرياض والكويت والأردن وأبو ظبي. وهكذا دواليك. وسيعود هذه السنة (2005م) معرض بغداد للكتاب بعد انقطاع دام سنوات طوالاً. والمفاجئ في هذه المعارض أنها لم تعد محلية الطابع، بل أصبحت عربية بامتياز، في معنى أنها تضم معظم الدور المهمة في العالم العربي، ناهيك عن بعض الدور "المهاجرة" في الغرب. وقد يظن الزائر المتجوّل على هذه المعارض ما بين دولة وأخرى أنه يشاهد معرضاً واحداً تمتد أجنحته من عاصمة إلى أخرى. فالدور الرئيسة هي نفسها وكذلك العناوين والكتب.

تجدر هنا الإشارة إلى أن بعض الكتب التي تمنع في معرض، يسمح بها في معرض آخر، تبعاً لمزاج الرقيب أو لسياسة الرقابة التي قد تكون صارمة في بعض الأحيان. أما ما يختلف في المعارض هذه، فهو الجوّ، إذ إن كل معرض يتميّز بمناخه الخاص. ويجب عدم نسيان البرنامج الثقافي الذي بات تقليداً يرافق المعرض بأنشطته المختلفة. وقد تطغى الأنشطة الأدبية في أحيان على جوّ المعرض حتى يصبح أشبه بالموعد الثقافي الذي تقام خلاله الندوات والأمسيات وحفلات التوقيع. لكن السؤال الذي يظلّ مطروحاً هو: هل يعني ازدهار حركة المعارض العربية ازدهاراً للكتاب العربي نفسه؟ قد تصعب الإجابة عن مثل هذا السؤال نظراً إلى طبيعة الأزمة التي يعانيها الكتاب، وهي أزمة نشر وتوزيع وتسويق وقراءة.. وكلّ وجه من هذه "الأزمة" المتعددة ينفتح على وجوه عدّة.

**معارض الكتب العربية تشهد ازدهاراً ولكن ذلك لا يعني ازدهار الكتاب العربي نفسه**

قد تكون أزمة القراءة هي الأولى وأمّ الأزمات كما يقال. فالقارئ العربي اليوم قد يكون الأشد تضاؤلاً واختفاءً كما تفيد التقارير التي ترفع حيناً تلو آخر، وهي، في أي حال، عرضة للشك، تبعاً لالتباس مصادرها. فمن يستطيع أن يلمّ بأحوال الكتاب العربي في الدول العربية كافة؟ وما هي المناهج المعتمدة في إجراء الإحصاءات؟ وهنا لا بدّ من العودة مثلاً إلى "تقرير التنمية الإنسانية العربي لعام 2003م" الذي أثار الكثير من السجال في الصحافة العربية. فهو يورد إحصاءً عن حركة الترجمة في العالم العربي، معتبراً أن عام 2003م شهد ترجمة 330 كتاباً موزّعة على الأقطار العربية. ويبيّن التقرير أن هذا العدد لا يتجاوز خُمْس ما يترجم في دولة مثل اليونان وحدها. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الإجمال التراكمي للكتب المترجمة إلى العربية منذ عصر المأمون حتى العصر الراهن يبلغ نحو عشرة آلاف كتاب، وهذا رقم يوازي ما تترجمه دولة مثل إسبانيا وحدها في عام واحد. ويبرز التفاوت عندما نعلم أن متوسط الكتب المترجمة في النصف الأول من الثمانينيات من القرن المنصرم، كان نحو أربعة كتب لكل مليون مواطن عربي، فيما بلغ 519 كتاباً في دولة المجر و920 كتاباً في إسبانيا لكل مليون مواطن.

قد تدلّ هذه الإحصاءات بوضوح تام على "حال" القراءة في العالم العربي، وأزمة القراءة هي التي تنعكس على "صناعة" الكتاب في شكل مباشر. أما ظاهرة هذه الأزمة فترجع إلى أسباب عدّة وفي طليعتها ما يُسمّى "عدم التربية على القراءة". ويلاحظ الباحثون في "علم الاجتماع" أن المناهج التربوية في العالم العربي لا تحضّ الطفل على القراءة مثلما يحصل في العالم الغربي. فالقراءة في الطفولة عادة غير رائجة عربياً، لكنها تختلف طبعاً بين بلد عربي وآخر. ويشير بعض علماء التربية إلى أن الأهل نادراً ما يهدون أبناءهم كتباً في الأعياد، وهذا ما يؤثر في ثقافة الأبناء لاحقاً وفي ذائقتهم. وما يجدر الالتفات إليه أنّ الأطفال في العالم العربي دخلوا عالم "التكنولوجيا"، وبات "الشاشات" الصغيرة على اختلافها تختطف معظم أوقاتهم ولا سيما ألعاب الفيديو والبرامج التلفزيونية، مما يضيّق "مساحة" الكتاب في حياتهم.

ومن وجوه "أزمة" "الكتاب" هناك الرقابات التي تعوق نشر الكتب وتسويقها. وشكوى الناشرين من عدم القدرة على تسلّم أموالهم من سوق الكتاب العربي وخصوصاً من الجهات الرسمية التي تخضع لنظم بيروقراطية تقليدية. وعلاوة على ذلك، تبرز أيضاً مشكلة نوعية الكتاب وطبيعة مادته وقدرته على مرافقة الأحداث السياسية والاجتماعية، عطفاً على تراجع الكتب الموسوعية ووقوعها في السطحية وكأن غايتها هي الاتجار بالمادة العلمية وليس التوجه إلى القارئ في طريقة علمية صحيحة. ولا غرابة أن تشهد سوق الكتاب موجات من الرواج: ففي بعض المراحل يروّج الكتاب السياسي، وفي مراحل أخرى يروّج الكتاب الديني، وفي فترات يصعد "نجم" الكتب العامة، العلمية والاجتماعية وسواها. واللافت أن "سوق" الكتاب لا يخضع لمعيار واضح أو ثابت، بل إن المعيار يتبدّل من فترة إلى أخرى ومعه تتبدل حركة الكتاب، تأليفاً ونشراً.

## 2 "كتاب في جريدة" يتعثر و"كتاب مع جريدة" ينجح

ويستكمل عبده وازن عرضه لواقع النشر في الوطن العربي بتناول تجربتين متشابهتين، اتخذت كل منهما مساراً مختلفاً، وهما "كتاب في جريدة" الذي أطلقته منظمة اليونيسكو، و"كتاب مع جريدة" الذي انطلق من دار المدى في دمشق.

### "كتاب في جريدة"... في كل بيت

عندما انطلق "كتاب في جريدة" برعاية منظمة اليونيسكو في العام 1995م بدا من أهم المبادرات الثقافية التي يشهدها العالم العربي قاطبة. فقد استطاع هذا الكتاب خلال فترة قصيرة أن يكسر جدار "الأزمة" التي طالما عاناها الكتاب العربي، نشراً وتوزيعاً، ونجح أيضاً في أن يوصل "الكتاب" إلى المنازل في طريقة بسيطة جداً: كتاب في شكل "ملحق" تحمله الصحيفة إلى قارئها هدية شهرية. نجحت التجربة ولقيت صدى طيباً على الفور وحظي الأدباء الذين اختيرت لهم كتب ضمن المشروع بشهرة لافتة في بلدانهم وفي معظم الدول العربية.

**البلدان العربية مجتمعة ترجمت 330 كتاباً في عام 2004م وهو خُمس ما يترجم في دولة واحدة مثل اليونان!**

الشاعر العراقي شوقي عبدالأمير المشرف على المشروع في مرحلتيه يقول في هذا الصدد: "تأسس "كتاب في جريدة" ليحمل روائع الأدب العربي مصورة بريشة كبار الفنانين العرب خالطاً على طريقته التشكيل الفني بالنص الأدبي، متوجهاً إلى السواد الأعظم من الناس، ليقدم لهم أداة جديدة متطورة لنقل المعرفة والفن التشكيلي لا تشبه الكتاب بشكله التقليدي". ويضيف: "من هنا ابتكرت اليونيسكو الصيغة الأولى لـ"الكتاب – الجريدة" لتجربها في أمريكا اللاتينية تحت عنوان "Periolibros" أي "الكتاب الدوري". وبعد نجاح هذه التجربة في جميع الدول الناطقة بالإسبانية، انتقلت التجربة إلى وطننا العربي، ليولد "كتاب في جريدة" وليكون الصيغة الأمثل للوصول إلى "قارئين" يعدّون بالملايين من أبناء هذه الأمة، وأنا أميّز بين القرّاء و"القارئين"، لأن مصطلح القرّاء موجود وهم طبقة خاصة بالمثقفين والمعنيين مباشرة بهموم الكتابة والقراءة، أما "القارئون" فهم كل من يعرف القراءة ويعزُف عنها، وهم هدف "كتاب في جريدة" الأول، لأن اليونيسكو ليس في أولوياتها تثقيف المثقفين إنما تسعى إلى إيصال المعرفة لكل من يطلبها كحق إنساني حضاري".

ملايين من الكتب وزعت مجاناً بمعدل ثلاثة ملايين نسخة لكل كتاب من روائع النصوص الإبداعية العربية، ترافقها رسوم لكبار الفنانين العرب. وهذه خصوصية أخرى لـ"كتاب في جريدة"، إذ يلتقي على صفحاته كل عدد أديب وفنان عربي. والغريب في الأمر أن هذه النقطة قلّما لفتت أنظار النقاد والصحافيين الذين واكبوا مسيرتنا منذ سنوات فتركزت الأسئلة والانتقادات والمتابعات على الكتاب الأدبي وعلى المؤلفين فقط. جاء "كتاب في جريدة" ليعبر حاجز الرقابة والانكفاء على الذات، تحمله كل الأيدي بخاصة تلك التي تتعود ملامسة الكتب وتصفحها أو قراءتها. جاء كتاباً عربياً موحد الشكل والمضمون يوزع في اليوم نفسه، وتلك فرادة وحضور يحمل الكثير من الدلالات الثقافية والوحدوية العربية،




كتاب في جريدة

كتاب مع جريدة

التي طالما حلمنا بها. جاء هدية تقدمها الصحف العربية إلى قرّائها مؤسسة بذلك لتقليد حضاري متميز ليكون بكل بساطة تمريناً وحدوياً عربياً مهماً في حاضرتنا الثقافية.

إلا أن "كتاب في جريدة" ما لبث أن واجه أزمة بعد سبع سنوات على انطلاقته، فتوقف فترة زمنية ليعود إلى الصدور في الحلة نفسها ولكن برعاية مؤسسة "MBI FOUNDATION"، وبتوقيع اتفاق شامل مع منظمة اليونيسكو. وتحوّل هذا "الكتاب" مؤسسة ثقافية مستقلة. أما الصحف التي تعمل على نشره فهي: الرياض (الرياض)، النهار (بيروت)، تشرين (دمشق)، الأيام (رام الله)، الدستور والرأي (عمّان)، الأهرام (القاهرة)، العربي (الكويت)، الأيام (المنامة)، الراية (الدوحة)، الخليج (أبو ظبي)، الوطن (مسقط)، الثورة (صنعاء)، الأنباء (الخرطوم)، العرب (تونس)، الشعب (الجزائر)، الصباح (الرباط)، العرب (طرابلس الغرب)، صحف عدة في بغداد و"القدس" في لندن.

### "كتاب مع جريدة" من دمشق إلى أينما كان

أما "كتاب مع جريدة" أو "القراءة للجميع" فهو مشروع لافت بادرت به دار "المدى" التي يملكها الناشر العراقي فخري كريم، وهو يختلف عن مشروع "كتاب في جريدة" من حيث حفاظه على الشكل الكلاسيكي للكتاب الذي يوزع مع عدد من الصحف العربية. إلا أن بعض الصحف توزعه فقط على المشتركين فيما توزعه صحف أخرى مع أعدادها. والكتاب هذا شهري، تشرف على اختياره "دار المدى" في دمشق بالاتفاق مع رؤساء تحرير الصحف المعنية بالمشروع. أما الصحف فهي: السفير (لبنان)، الحياة (السعودية)، القبس (الكويت) الثورة (سورية)، الأيام (البحرين)، البيان (الإمارات)، القاهرة (مصر)، المدى والاتحاد (العراق).

الشاعر السوري بندر عبد الحميد المشرف على الكتاب الشهري يقول للقافلة: "نجح المشروع، واستطاع أن يجذب قرّاء الصحف في عدد من البلدان العربية. وهو مشروع لا يتوخى الربح لا من الدار ولا من الصحف نفسها. فكل شيء مجاني والدار متفقة مع الصحف والمصادر التي تستقي منها الكتب، على عدم دفع أي حقوق لأن الكتاب يوزع مجاناً وبالسعر نفسه الذي تباع به الجريدة. حتى الكتب المترجمة لا تدفع حقوقها ومعظمها أصلاً من الترجمات القديمة والمهمة التي قام بها أساتذة كبار في الترجمة. أما الكتب العادية فآثرنا أن تكون متنوعة بين الأدب والتراث والعلم وسواها". وعن طبيعة التعاون بين الدار والصحف أردف قائلاً: "نختار الكتاب بالاتفاق مع رؤساء التحرير ثم نجهزه تنضيداً، ونصمم الغلاف ليكون موحداً ونرسله عبر أسطوانة إلكترونية. ثم تتولى كل صحيفة الطباعة على نفقتها. وهكذا يصل الكتاب مجاناً إلى قرّاء الصحف".

وعن الرقابة والتخوف من تدخلها يقول: "نتحاشى طبع الكتب التي تثير حفيظة الرقابة العربية. فهمنا أن يصل الكتاب إلى الناس، ولكن على أن يكون الكتاب جيداً ومفيداً. ويجب ألا ننسى أن الكتاب هذا سيدخل المنزل وستقرأه العائلة كلها ربما. وأحياناً نصطدم ببعض الاقتراحات ونعيد النظر فيها. مهمتنا في هذا المشروع هي أن نسهم في نشر القراءة وفي جعل قارئ الجريدة يهتم بالكتاب وأن يعتاد عليه شهرياً. وقد لقي المشروع نجاحاً وهذا ما تفيد به الصحف نفسها".

سلاسل الكتب المجانية والطبعات الشعبية وزعت ملايين النسخ.. ولكن هل قُرأت؟







## 3 مصر.. الكتاب جليس مكلف و"مكتبة الأسرة" محاولة للعلاج

القاهرة — أمينة خيري

المعلمون في المدارس المصرية يلقنون طلابهم الصغار أن "الكتاب خير جليس". لكن واقع الحال يشير إلى غير ذلك. فقد تقلص دور الكتاب، وتضاءلت مساحة الاطلاع، واختفت أو كادت القراءة من بين هوايات الأطفال والشباب. أما الكبار، فقد تحوّل الكتاب لديهم إلى مكتبة ورثوها عن الآباء، أو مسألة غير واردة من الأصل بسبب الأمية. والكتب المدرسية التي ينوء بحملها طلاب المدارس هي نفسها متهمة بالتواطؤ على دفع الطفل والمراهق المصري بعيداً من عالم القراءة. فهذه الكتب المتخمة بكم لا حصر له من المعلومات والعلوم المعتمدة على أسلوبي الحشو والصم تنهك عقول الصغار، وتتركهم في عطلتي نصف العام وآخره وقد طبعت في عقولهم وقلوبهم رغبة عارمة في الابتعاد عن كل أشكال المطبوعات الورقية، بما في ذلك الجرائد والمجلات. أما المعلم، والذي كان قبل زمن ليس ببعيد نموذجاً يحتذى في القراءة وتنمية معارفه ومداركه، فقد نبذ الكتاب هو الآخر تحت الضغوط المادية التي أجبرت الغالبية العظمى على اقتطاع كل وقت ممكن في إعطاء الدروس الخصوصية. والأمر لا يختلف كثيراً بين طلاب الجامعات، بل يزداد سوءاً في ظل ارتفاع أسعار الكتب الجامعية المقررة عليهم، وهو ما يدفع كثيرين إلى الاستعاضة عنها بالملخصات والملاحق التي يجهزها الأساتذة ويبيعونها للطلاب بأسعار زهيدة بالنسبة إلى الكتاب، لكنها تحقق للأستاذ ربحاً لا بأس به.

وعلى الرغم من أن البعض من أولئك الشباب الجامعي "يفكر" أحياناً في القراءة باعتبارها مصدراً للمعلومات الحياتية، واستثماراً إيجابياً للوقت، ووسيلة للتثقيف الآتي بعيداً من أطر التثقيف الرسمي الجامدة، إلا أن عقبة ارتفاع سعر الكتاب تقف حجر عثرة أمام الكثيرين. وتلك مشكلة ضخمة لم تصب هواية القراءة فقط في مقتل، لكنها أغلقت أبواب حوالي 750 مطبعة، فالرسوم الجمركية والضرائب الباهظة المفروضة على مستلزمات النشر وضعت الناشرين في موقع لا يحسدون عليه. وكانت النتيجة أن ارتفع سعر الكتاب في الداخل، وبالتالي كلفة تصديره إلى الخارج في آن واحد.

وتزامنت هذه العراقيل مع ازدهار شبكة الإنترنت وانتشارها في شكل ملحوظ بين الفئات المتعلمة وتلك الملتحقة بالتعليم بين أبناء الشعب المصري، ويقدر عدد مستخدمي الشبكة في مصر بنحو أربعة ملايين مستخدم، وهم في زيادة مستمرة في ظل سياسة الدولة الهادفة إلى نشر تكنولوجيا المعلومات. فها هي حكومة رئيس الوزراء أحمد نظيف - الملقب بـ "رجل التكنولوجيا الأول في مصر" - تتبنى مبادرات عدة لتوفير كومبيوتر لكل بيت مصري. ولكن الواقع الحالي يشير إلى أن عدد مستخدمي الإنترنت والمتمكنين من الوصول إلى جهاز الكومبيوتر أصلاً ما زال محدوداً، ما يعني أن ما لحق بالكتاب والقراءة في مصر لا يمكن تعليقه كلية على شماعة الكومبيوتر والإنترنت.

ولعل المكان الأمثل لمعرفة مصير القراءة بمفهومها "الكلاسيكي" هو الموقع الجديد لـ "سور الأزبكية" حيث العشرات من أكشاك بيع الكتب الجديدة والمستعملة، حيث يقول أحد التجار: "سنوات كثيرة تفصلنا عن العصر الذهبي لـ "سور الأزبكية" في زمن كان تلامذة الابتدائي يزاحمون الكبار لينفقوا قروشهم القليلة في شراء بضعة كتب بتشجيع من الأهل وتعضيد من المعلم. وكان الشباب يأتون للبيع والشراء. كانوا يقرأون في السياسة، والخيال العلمي، والرواية. حتى الموظفون كانوا يأتون إلى هنا ويتبادلون الكتب. أما هذه الأيام، فالأمر يقتصر على أعداد قليلة ممن لا يزالون يتعلقون بحبال القراءة التي بدأت تتمزق، إضافة إلى الزوار من بلاد عربية".

ولكن "مكتبة الأسرة" التي أطلقت فكرتها ودعمتها السيدة سوزان مبارك، وبدأت أنشطتها عام 1994م، قامت بمهمة ضخمة في محاولة إعادة نشر عادة القراءة. فهي تهدف إلى تشجيع المصريين على اقتناء الكتب مقابل ثمن زهيد، وبعث الروح الوطنية والاعتزاز بالثقافة المصرية، ونشر التراث الإسلامي، وأحدث الإنجازات العلمية. وتتلخص الفكرة في طبع كتب ذات عناوين مهمة في طبعات شعبية




من إصدارات مشروع "مكتبة الأسرة" في مصر

بأسعار تكون في متناول الجميع. وقد طبع في هذا الإطار حتى اليوم ما يزيد على 30 مليون نسخة لآلاف من العناوين.

ملايين العناوين الأخرى ولكن في طبعات مختلفة الفئات والأنواع يحتضنها معرض الكتاب في كل عام. وفي يناير من هذا العام أقيم في القاهرة المعرض السابع والثلاثون للكتاب. وقد بلغ عدد الناشرين المصريين والعرب والأجانب 3150 ناشراً مثّلوا 97 دولة على مساحة 180 ألف متر مربع. ورغم الأهمية المحلية والعربية لهذا المعرض الرائد، ورغم زواره الملايين، تحوّل التركيز إلى الأنشطة الثقافية المصاحبة له من ندوات لكبار الكتاب والأدباء والفنانين والمفكرين، وجانبٌ آخر منه تحوّل إلى يوم للتنزه. ساعد على ذلك الانتشار المخيف لأكشاك الوجبات السريعة، والمثلجات والآيس كريم. واكتفى الكثيرون بالذهاب إلى المعرض لشراء شرائط الكاسيت الحديثة، وقضم ساندوتش هامبورغر اكتفاءً بغذاء البطون، فهو أقل سعراً وأسهل على الهضم.

## 4 واقع القراءة في المغرب

### مؤلفون ناشرون ومكتباتٌ مرتجعات ودعم... بلا فاعلية

**الرباط: ياسين عدنان**

حينما رفض القاص المغربي أحمد بوزفور العام الفائت جائزة المغرب للكتاب التي حصل عليها، دخلت الساحة الثقافية المغربية في سجال لا نهاية له بخصوص موقف بوزفور، خلفياته ومبرراته. لكن لا أحد توقف عند المبرر الأبسط والأقسى الذي ساقه صاحب "النظر في الوجه العزيز" في ختام بيانه حين قال: "أخجل أن أقبض جائزة على كتاب طبعتُ منه ألف نسخة، لم أوزع منها في أسواق شعب من ثلاثين مليون نسمة إلا خمسمائة نسخة، وهي لا تزال معروضة لم تنفد بعد، على رغم مرور أكثر من عامين".

قبل أيام فقط سأل أستاذ طلبته في إحدى الثانويات المغربية عن فيلم محمد عبدالرحمن التازي الأخير "جارات أبي موسى". تباينت آراء التلاميذ حول العمل، لكنهم جميعاً كانوا شاهدوه إما في قاعات السينما أو على شاشة التلفزيون. لكن حينما سألهم عن الرواية التي اقتبس منها التازي عمله السينمائي لم يرفع أحد إصبعه. لا أحد منهم قرأ الرواية، ولا أحد يعرف أن "جارات أبي موسى" هي أولى روايات أحمد التوفيق المعروف لدى الطلبة باعتباره وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في الحكومة الحالية، لكنه المجهول تماماً كأديب وروائي.

بعد أن حاصرتها شكاوى الأدباء واتهاماتهم، بادرت دار نشر مغربية نشيطة إلى فتح سجلاتها الخاصة في وجه هؤلاء، فكانت النتيجة صاعقة. كاتب معروف وفرت له الدار توزيعاً جيداً اكتشف أن تحفته الأدبية التي كان ينتظر منها أن تهز الساحة الثقافية المغربية لم يُبع منها سوى سبع نسخ على مدار ستة أشهر كاملة.

في الواقع لا تمكن مقاربة وضع القراءة وواقع الكتاب والنشر في المغرب إلا عبر أمثلة من هذا النوع. فهي وحدها القادرة على أن تفسر لنا المعطيات والأرقام، ووحدها قادرة على أن تشرح لنا سبب إحجام أكثر من نصف الأدباء المغاربة عن العودة إلى سوق النشر بعد تجاربهم الأولى اليتيمة. فأكثر من 50 في المئة من الكتّاب المغاربة ليس في رصيدهم سوى كتاب واحد، على رغم أن معظمهم ما زالوا يمارسون نشاطهم الأدبي والإبداعي على صفحات الملاحق والمجلات الثقافية المغربية والعربية.

طبعاً، حاولت وزارة الثقافة المغربية في السنوات الأخيرة أن تقوم بالكثير من المبادرات التي تهدف إلى تنشيط واقع النشر والقراءة في البلد. لكن غالبية هذه المبادرات لم تحظ بالمتابعة اللازمة لتحقق أهدافها. بادرت الوزارة مثلاً إلى إحداث سلسلة "الكتاب الأول" في إطار دعمها للأدباء الشباب. لكن المشكلة بقيت في التوزيع، حتى أن "المركز الثقافي العربي" الموزع الذي تعاقدت معه الوزارة لا يعرض نماذج من إصداراتها في مكتبته الخاصة بالدار البيضاء.

ويبدو أن انسداد الآفاق أمام الأدباء المغاربة الذين ما عادوا يعولون كثيراً على مشاريع وزارة الثقافة، ولا يُستقبلون بالأحضان من طرف الناشرين الذين زهدوا تماماً في نشر الأعمال الأدبية "الفاشلة" كلها بمنطق السوق، هو ما جعل المغامرين منهم ممن يجازفون بتجاوز عتبة الكتاب الأول يطبعون أعمالهم على نفقتهم الخاصة. فنصف الكتب الحاصلة سنوياً على رقم الإيداع القانوني ينشرها مؤلفون مستقلون على نفقتهم الخاصة. وأسهمت هذه الظاهرة في تدهور مؤسسة الناشر الذي تراجعت سلطته الرمزية. بل حتى أسطورة الكتاب سقطت بعدما فتحت هذه الظاهرة الجديدة الباب على مصراعيه لصنف عجيب من المؤلفين صاروا يمطرون الساحة بإصدارات غريبة ليست لها أية قيمة تُذكر، وغالباً ما يتعامل أصحابها مع إصداراتهم باعتبارها "بطاقات زيارة"، لهم فيها مآرب عدة أخرى...

وإذا كان الناشر المغربي لا يجسر على طبع أكثر من ألف نسخة من العمل الأدبي، فإن تجارب مثل "كتاب الجيب" و"المعرفة للجميع"، ثم "سلسلة منشورات الزمن" جعلت عدد النسخ المطبوعة من إصدارات هذه السلاسل الشهرية لا يقل عن عشرة آلاف نسخة، وقد يتجاوز أحياناً عتبة الـ40 ألف نسخة. نجاح هذه التجارب حفّز المفكر المغربي محمد عابد الجابري على ارتيادها، وهكذا صار له هو الآخر موعد شهري مع القارئ المغربي من خلال سلسلة "مواقف" التي يواظب على إصدارها منذ أكثر من سنتين. أما سبب انتشار هذه السلاسل فيعود في الأساس إلى ثمنها الذي لا يتجاوز العشرة دراهم (أي ما يعادل دولاراً واحداً). ويبدو أن ثمن الكتاب يعني الكثير بالنسبة إلى المغاربة الذين يعانون في شكل واضح من ضعف القدرة الشرائية. لذا فالكثير من العناوين التي يحكم ناشروها عليها بالفشل كثيراً ما تنفد عن آخرها من المكتبات المختصة في بيع المرتجعات بأثمان يجدها الطلبة خصوصاً ومعهم عموم القراء في متناولهم.

ويبدو أن الناشرين المغاربة الذين استفادوا من دعم وزارة الثقافة لم يُخفضوا من سعر بيع إصداراتهم للعموم، كما أنهم عموماً لا يؤدون ما التزموا به من حقوق المؤلفين. ويمكن طبعاً أخذ العبرة من مكتبات المرتجعات هذه. فحينما يصير الكتاب أرخص يقبل القرّاء عليه أكثر ويتحقق الترويج للقراءة الذي تنادي به الوزارة. فما يجب أن تتنبه إليه الوزارة هو أن دعمها الناشرين على أهميته لن يحقق أهدافه ما لم يستفد منه القارئ في شكل ملموس من خلال أثمان معقولة على أغلفة الإصدارات الجديدة.





**لا يجرؤ ناشر مغربي على طبع أكثر من ألف نسخة، ونصف المؤلفين توقفوا بعد الكتاب الأول**

**سورية تنتج 1000 عنوان سنوياً، والطبعة في وزارة الثقافة هي 1500 نسخة، وفي غيرها 500، ونحو 300 فقط للشعر!**





## 5 واقع النشر والقراءة في سورية

**دمشق: خليل صويلح**

شهدت ساحة النشر في سورية، منذ العقد المنصرم وإلى اليوم تحولات جذرية في توجهاتها، أبرزها تراجع عدد النسخ المطبوعة من الكتاب كنتيجة مباشرة للأزمات الاقتصادية التي عصفت بالفرد، ففي الوقت الذي ازداد فيه عدد السكان، تراجع طردياً عدد القرّاء.

ويعيد البعض ندرة القرّاء إلى انتشار الفضائيات التي عمّمت ثقافة بصرية بديلة، أغلقت الباب أمام الكتاب لمصلحة ثقافة سريعة ومسلية، تتناسب مع متطلبات جيل لا يجد في الكتاب مبتغاه، وهذا ما يفسر انحسار عدد المكتبات في دمشق، وتحول بعضها إلى مقاه للإنترنت أو محلات لبيع أجهزة الخلوي. ومع ذلك، تنتج سورية سنوياً حوالي 1000 عنوان نصفها على الأقل مترجم عن لغات أخرى، إذ تنشر مطابع وزارة الثقافة نحو 125 كتاباً في السنة، ضمن سلسلة تشمل التراث والروايات العالمية والفكر والفنون، فيما تنتج مطابع اتحاد الكتاب العرب نحو 100 عنوان، أما بقية العناوين فتتوزعها دور النشر الخاصة التي تتجاوز في عددها 100 دار، بينها نحو خمس دور مهمة، أما البقية فتهتم بطباعة الكتب التراثية والدينية.

وتحت وطأة الكلفة المرتفعة لصناعة الكتاب؛ لجأت معظم دور النشر إلى طباعة "الريزو" وبذلك استغنت عن الطباعة الآلية للتحكم بعدد النسخ المطبوعة، والبعض منها يقوم بعمليات قرصنة مكشوفة كنتيجة لسهولة تقليد الكتاب الأصلي بتصويره وتوزيعه محلياً عبر نسخ محدودة، بحسب الطلب (أثناء مصادرة رواية حيدر حيدر" وليمة لأعشاب البحر" قامت دار نشر محلية بطباعة الرواية سبع طبعات متتالية). وكأفضل مثل على تراجع أهمية الكتاب وتداوله، نذكر أن وزارة الثقافة التي كانت تطبع من الكتاب نحو 3000 نسخة قبل خمس سنوات، لم تعد تطبع اليوم 1500 نسخة. وبخصوص دور النشر الخاصة، فإن معظمها يكتفي بطباعة 500 نسخة من الكتاب الرائج، ونحو 300 نسخة من كتب الشعر مثلاً، التي تطبع غالباً على حساب المؤلف.

وإذا كانت الجامعة مقياساً للقراءة كفضاء ثقافي مفتوح، فإن طلاب الجامعة اليوم، صاروا خارج معادلة القراءة تماماً، وبالكاد يتابعون قراءة الكتب المقررة في المنهج الدراسي. ففي استطلاع أجرته إحدى الصحف المحلية حول طقس القراءة، تبين أن نسبة كبيرة من الطلاب لا يقرأون على الإطلاق. وتشير بعض الإجابات إلى جهل مخيف لأسماء المبدعين، إذ كتب أحدهم أن محمد الماغوط "بطل ملاكمة" وأن حنّا مينة "موسيقي" وأن نزيه أبو عفش "شاعر مصري"! وفي اختبار القبول لطلاب المعهد العالي للفنون المسرحية، تبين أن المتقدمين يعرفون المطرب علي الديك أكثر مما يعرفون سعد الله ونّوس. ويؤكد صاحب مكتبة مرموقة وسط دمشق، أن أكثر الكتب رواجاً هي التي يباع منها سنوياً بحدود 100 نسخة لا أكثر. ويستدرك قائلاً: إن قارئ اليوم يهتم بالكتب السياسية وكتب المذكرات والكتب التراثية، فيما تحتل الكتب الأدبية أسفل القائمة.

ويعلق نجيب نصير (كاتب سيناريو تلفزيوني) بقوله: "لا شك في أن الدراما التلفزيونية السورية سحبت البساط لمصلحتها، لكن هذه الدراما تستقطب في الأساس جمهوراً عشوائياً، معظمه ينتمي إلى شرائح متدنية ثقافياً، لم يكن الكتاب في قائمة اهتماماتها"، ويشير إلى أن القارئ السوري هو "قارئ موسمي" يتبع الموضة والفضيحة والكتاب المقروء أو الإشكالي، وهكذا فهناك موسم لقراءة حيدر حيدر، وآخر لقراءة أمين معلوف أو أحلام مستغانمي، وثالث لقراءة نصر حامد أبو زيد أو صادق جلال العظم، تبعاً للفضيحة، سواء كانت فضيحة مصادرة أو تكفير، ويضيف: "أعتقد أن محاولة اغتيال نجيب محفوظ، أسهمت بقراءة أعماله من جديد، أكثر من حصوله على جائزة نوبل، وأن قراءة نزار قباني ازدادت بعدما غنى كاظم الساهر معظم قصائده".

ويوضح عدنان سالم، رئيس اتحاد الناشرين السوريين "إن مشكلة الكتاب العربي تتمحور في اتجاه المعرفة، والترجمة من الغرب إلى الشرق وليس بالعكس، وهذا ما يجعل الكتاب العربي متقوقعاً على نفسه"، وبناء على هذا الواقع قامت "دار الفكر" التي يديرها عدنان سالم بجملة مقترحات منها إعلان جائزة "أفضل قارئ" وإصدار نشرة دورية مجانية بعنوان "مرآة الفكر والثقافة" بقصد ترويج الكتاب السوري ومناقشة مشكلاته بين أكبر عدد من القرّاء. والحض على القراءة.

## 6 أزمة الكتاب والقراءة في المملكة

**الخبر: محمد الفوز**

عندما تدخل أية مكتبة عامة في السعودية ستقرأ "وخير جليس في الأنام كتابُ"، ولكن لا أحد يتمثلها كحافز مفترض ودافع لممارسة القراءة الجادة التي يعرّفها ألبرتو مانغويل في كتاب "تاريخ القراءة" أنها عملية بصرية مصحوبة بالتأمل. فالكتاب موجود والقارئ مفقود. انحسرت القراءة ولم ينحسر الكتاب. والمطابع ودور النشر تضخ أعداداً ضخمة من الإصدارات الحديثة التي يتم تداولها في نطاق ضيق من خلال تسويقها في معارض الكتاب أو في المكتبات العامة والمكتبات المدرسية. كما أن الكتّاب والمؤلفين أصبحوا يتبادلون إصداراتهم كهدايا على صعيد نخبوي خاص. وهنا آراء عدد من الكتّاب والنقّاد السعوديين:

### • عبد العزيز السبيل:
### المدرسة ... وتهميش الوعي

يقول الناقد عبد العزيز السبيل (رئيس تحرير مجلة "نوافذ" ومجلة "جذور"): "إن المدرسة تلعب دوراً سلبياً في مسألة القراءة ليس لأنها لا تشجع الطالب على القراءة، بل لأنها تكون أحياناً عامل حدٍّ لمزيد من القراءة بالنسبة إلى من يرغب الدخول إلى عوالم معرفية متشعبة. فبالنسبة إلى مادة المطالعة يفترض أن تكون نافذة يدخل من خلالها الطالب إلى عوامل قرائية مختلفة بحيث يكون أمامه عشرات الكتب يختار منها ما يناسبه ليقوم بقراءتها وتلخيصها وتقديمها لمعلمه وزملائه. لكن ما يحصل هو أن هذه المادة تتحول إلى قراءة كتاب واحد وكأن المطالعة أو القراءة لا يجوز أن تتعدد وتكثر وتكبر. فالطالب حينما يصل إلى المستوى الجامعي يكون قد توجه سلبياً نحو القراءة وأصبح لديه موقف غير إيجابي أمام مسائل البحث والرغبة في الاطلاع. ولا يبدو أن الجامعة تنجح في تحويله طالباً إيجابياً في تعامله مع الكتب المتعددة. كان هذا الأمر قديماً، وفي الوقت الحاضر أضيفت إليه عوامل الاتصال الحديثة التي صرفت ليس الطالب فقط وإنما الإنسان عموماً عن عوامل القراءة التقليدية للكتاب إلى عوامل القراءة البصرية. ويمكن تفعيل القراءة لدى المجتمع السعودي بشكل عام من خلال إيجاد برامج ثقافية جادة على مستوى المدارس في مختلف مراحلها ومن خلال الأندية الأدبية والجمعيات الثقافية. كما أن وسائل الإعلام يجب أن تؤدي دوراً محورياً في هذا المجال. وأتمنى أن تكون مادة المطالعة حرة، فمن المهم ألا تكون هذه الكتب إعادة صياغة لمادة من المواد التي يدرسها الطالب، ومن المهم أن تكون النظرة أكثر انفتاحاً على الواقع الثقافي، وألا تكون الكتب ذات قيمة وعظية نفعية مباشرة، بقدر ما تكمن قيمتها في جعل الفكر أكثر اتساعاً والرؤية إلى الحياة أكثر رحابة".

**جيل الآباء والمعلمين يتحول عن الكتاب إلى الهم المعيشي والأبناء يتجهون إلى القراءة الإلكترونية قليلاً.. وللتسلية أكثر**

### • عبد العزيز الصعقبي:
### مناخات صعبة ... وقارئ لا يأتي

ويقول عبد العزيز الصعقبي (متخصّص في علم المكتبات) عن أزمة القراءة في السعودية: "ضعف الاهتمام بالقراءة يرجع إلى أسباب عدّة؛ أولها "المدرسة" فالنظام التعليمي لا يشجع على القراءة مطلقاً، والمناهج تعتمد التلقين المباشر ولا تفتح مناخات للطالب أو طرقاً للاتجاه إلى المكتبة والبحث. والسبب الثاني سوء صناعة النشر والتوزيع في السعودية. فالكثير من الكتب التي تصدر تخرج في شكل لا يحفز مطلقاً على القراءة وبأسعار باهظة لا تشجع على اقتنائها، إضافة إلى عدم وجود الطبعات الشعبية لكثير من الكتب ولا سيما الإبداعية منها.

### • ناصر الجاسم:
### طغيان الصورة على النص

وإلى ذلك يضيف القاص والروائي ناصر الجاسم (يحضّر دكتوراة في القصة القصيرة): "إن أول سبب لضعف القراءة هو الابتعاد عن تنفيذ الأمر الرباني الوارد في "سورة العلق" وهو قوله سبحانه وتعالى "اقرأ باسم ربك الذي خلق". وفي ما يتعلق بالمجتمع السعودي نلحظ عدم وجود مدارس أو معاهد متخصصة في تعليم مهارات القراءة، إذ إن للقراءة وحدها مهارات مثل سرعة القراءة مع سرعة الاستيعاب. وهذه المهارة من الصعب الحصول عليها في مدارس التعليم العام أو في البيوت عن طريق الأسرة، إذ إنها في حاجة إلى أساتذة متخصصين وإلى "محترفات" لغوية. وحينما نعود إلى ثقافة المجتمع السعودي، نجد أن هناك إرثاً يعيق غرس فضيلة القراءة لدى الأبناء ولدى الأحفاد. أما أطفال اليوم فقد انصرفوا كلياً إلى ثقافة الصورة التي تقدمها الفضائيات فانبهروا بها انبهاراً عالياً طغى على الكتب وأضعف الإقبال عليها".

### • خالد اليوسف:
### صمت المكتبة ... رحيل القارئ

أما الروائي خالد اليوسف (رئيس نادي القصة السعودي – سابقاً – باحث في القصة العربية) فيقول: "تصيبني الدهشة كثيراً حينما أسمع أو أقرأ عن موضوع القراءة المفقودة في حياتنا نحن العرب بشكل خاص، وكأن هذه أصبحت سمة نتميز بها عن الآخرين. ما أراه هو أن التعليم

سبب رئيس لفقدنا حاسة القراءة وحب الاطلاع والبحث والمتابعة. فكل شيء جاهز أمام الطالب منذ المرحلة التمهيدية ولا يحتاج إلى تفكير أو خروج عن النص. وإذا كنا الآن نتلمسُ الأسباب ونبحث عن الوسائل لمعالجة هذا التدهور، أرى أن نركز على خطوة واحدة وهي أن يعرف الطالب المطلوب منه بطريقته وليس بطريقة المعلم".

**• فهد علي العليان:**
**كتاب الطفل ... مشروع يحتضر**

ويقول فهد علي العليان ( أستاذ جامعي ورئيس الفريق العلمي للمشروع الوطني لتوثيق الصلة بالكتاب) "يجب أن ننطلق بالطفل في عالم القراءة منذ البدايات، ففي أمريكا على سبيل المثال يأخذ الآباء والأمهات أطفالهم إلى المكتبات العامة وهم صغار من أجل التعرف إلى الكتاب ورؤية الصور. وعلى رغم وجود المكتبات الخاصة في منازلنا إلاّ أنَّ الأهل لا يعتنون بها ولا يعرفون أهميتها، ولا يوجد لدينا اهتمام بالكتب التي تتناسب مع الأعمار. ونجد أن بعض المثقفين يمنع أطفاله من الدخول إلى مكتبته الخاصة خوفاً من تمزيق الكتب، وهذا حرمان مبكر من الدخول إلى عالم المعرفة.. وأشير إلى جانب مضيء في مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض حيث يوجد "نادي كتاب الطفل" وهو نادٍ للقرّاء الصغار يسعى إلى توافر الكتاب المناسب لكل طفل مشارك من عمر 3 إلى 12 سنة، مقابل رسم اشتراك رمزي هو عبارة عن 300 ريال، ويتولى النادي إرسال كتاب أو أكثر بالبريد شهرياً يتناسب مع عمر المشارك في مطلع كل شهر هجري.

**• محمد العبيكان:**
**وسائل الإعلام لا تعرِّف بالكتاب**

ومن عالم النشر تحدث إلينا محمد العبيكان (نائب اتحاد الناشرين العرب ومدير عام مكتبة "العبيكان") فقال: "لا شك في أن الكتاب يتراجع إلى الوراء بسبب عوامل عديدة، ومنافسة الكتاب ظهرت عبر النشر الإلكتروني وثورة المعلومات في الإنترنت ووسائل الاتصالات الأخرى؛ حيث أصبح القارئ في حيرة أين يذهب وماذا يختار. في السابق كان الكتاب هو الوحيد أما الآن فهناك منافسة شديدة. ونحن كناشرين في بحر متلاطم من التحديات، ما زلنا نحافظ على جمهور الكتّاب والمثقفين والعلماء المهتمين بالنشر الورقي والمتمثل في الكتاب. فدورنا كناشرين أن ننتقي الكتاب الجيد والهادف لنعرضه أمام الناس. ويظل التعريف بالكتاب المشكلة الوحيدة التي تواجهنا، فوسائل الإعلام لا تعرِّف بالكتاب ولا تسهم في نشره، لأنها تتعامل معه كسلعة مثل المواد الغذائية والاستهلاكية الأخرى كتجارة، وهذا أدى إلى تدهور الكتاب وضعف القارئ".

**• حسن النعمي:**
**تأهيل النخبة ... هجرة الشعبي**

ويتحدث الكاتب حسن النعمي (أستاذ مساعد في جامعة الملك عبدالعزيز، عضو جماعة "حوار" في نادي جدة) عن مساهمة الأندية الأدبية في تشجيع القارئ السعودي: "القراءة عادة اجتماعية تنشأ مع الطفل في البيت والمدرسة، الركيزتين الأساسيتين لتعليم الطفل العادات النبيلة. بمعنى أن القراءة ليست فعلاً منفصلاً عن السياق الاجتماعي، فإذا وجد الطفل رعاية وتوجيهاً من البيت بخصوص القراءة وكذلك من المدرسة، فلا يوجد أي شيء يعيق الطفل في الوصول إلى ما يريد. إذاً المشكلة ليست مشكلة مؤسسات ثقافية وإنما في تنمية واكتشاف قدرات مبكرة للطفل. والدور المنوط بالمؤسسات الثقافية كالأندية الأدبية هو تهيئة المناخ المناسب مثل وجود مكتبات متنوّعة للأطفال والشباب والكبار، بالإضافة إلى تنويع النشر بما يخدم كافة الشرائح الاجتماعية.

**• سليمان العقيلان:**
**الكتاب السعودي أصبح مميزاً ومطلوباً**

الباحث سليمان العقيلان (عميد شؤون المكتبات في جامعة الملك سعود ومدير "معرض الرياض" الدولي للكتاب) يملك خبرة في مجال الكتب والقراءة، ويقول: "بالنسبة إلى الإقبال على معارض الكتاب وخصوصاً "معرض الرياض" فهو كبير جداً، والتقنيات الحديثة لم تؤثر في إقبال القرّاء على معارض الكتاب. وصناعة النشر في السعودية تفوقت – خصوصاً – في السنوات الخمس الأخيرة حتى أصبحت تنافس الدول العربية الأخرى، فهي متفوقة في الإخراج على ما يطبع في لبنان. وأسهمت المؤسسات الحكومية إضافة إلى القطاع الأهلي الخاص في إنتاج الكتاب السعودي المميز حتى أصبح مطلوباً في معارض الكتب العربية. وفي السنتين الأخيرتين زاد الإقبال على معارض الكتاب في السعودية من الرجال والنساء بنسبة 30 في المئة. وتأتي الكتب الدينية والتراثية في المرتبة الأولى، تليها الكتب الأدبية والسياسية ثم تأتي كتب الطبخ والمرأة والطفل. ومثلت مشاركة السعودية في معرض فرانكفورت حدثاً جديراً بالذكر، حيث كان جناح السعودية من الأجنحة الكبيرة في المعرض وحاز ثناء المثقفين الألمانيين والمستشرقين. ولذلك أرى أن معارض الكتاب في السعودية جادة وفي طريقها إلى التميّز أكثر فأكثر".

**• حمد القاضي:**
**القرّاء ازدادوا ولم ينقصوا**

الأديب حمد القاضي (عضو مجلس الشورى ورئيس تحرير المجلة العربية) يقول: "لم يتناقص إقبال القارئ على الصحف والمجلات إلا في شكل محدود؛ لأن القارئ تعود على الصحيفة والمجلة فضلاً عن سهولة قراءة الصحيفة والمجلة في أي مكان وبأي وضع وكون بعض القرّاء أصبحوا يقرأون المجلة والصحيفة عبر الإنترنت، فهذه قراءة ثانية ولكن بوسيلة أخرى، وأنا أرى أن القرّاء ازدادوا ولم ينقصوا. ولكن بالنسبة إلى القراءة الجادة فهي قليلة منذ زمن قديم، فالقرّاء يميلون إلى المواد الخفيفة، وهناك فئة من القرّاء إلى قراءة الأحداث. فبحكم مغريات هذا العصر أصبحت تجذب القرّاء الكتب ذات الطابع الخفيف والمباشر". ويتحدّث عن تجربة إصدار "كتيب" المجلة العربية وهو من القطع الصغير في حدود 33 صفحة: "بدأناه منذ عام 1416هـ، وقد حقق شيئاً من النجاح وقد زادت مبيعات المجلة بشكل ملحوظ بعد صدوره. وهناك ردود فعل تأتينا على الإصدار الخاص في شكل متوالٍ، ولدينا نحو 15 كتيباً جاهزاً للطبع".







**الناشرون السعوديون يؤكدون أن الكتاب موجود والقارئ مفقود ويلقون باللوم الأكبر على التربية في الصغر بين البيت والمدرسة**

## 7 وماذا عن الكتاب العربي في الغرب؟ فرنسا أنموذجاً

**باريس: ماجد نعمة**

الأزمة العامة التي يشهدها الكتاب، في شكله التقليدي المطبوع في فرنسا لم تنعكس على سوق الكتاب العربي فيها ولا على القرّاء الذين زاد عددهم في المطلق وإن كان تناقص نسبياً. ومرد ذلك أن العقود الثلاثة الأخيرة شهدت ارتفاعاً كبيراً في عدد المهاجرين العرب المتعلمين إضافة إلى أن أعداداً متزايدة من أبناء المهاجرين الأوائل بدأوا يعيدون اكتشاف اللغة العربية من خلال رحلة البحث عن الذات وعن الهوية. علاوة على ذلك فإن تكنولوجيا المعلومات والتواصل المذهل بين الدول العربية والمهاجرين العرب في أوروبا أسهما في الازدهار النسبي للكتاب العربي واستطراداً للكتاب الفرنسي الذي يتناول القضايا العربية بشكل أو بآخر.

### دور الدولة

ترى الدولة أن نشر الثقافة العربية العصرية في الداخل وفي الخارج يعزز من جهة اندماج المواطنين الفرنسيين ذوي الجذور العربية بالمجتمع الفرنسي، ويدعم من جهة ثانية العلاقات الاستراتيجية مع العالم العربي. من هنا يمكن فهم تأسيس "معهد العالم العربي" في باريس الذي يولي، إلى جانب أنشطته الكبرى، أهمية بارزة للكتاب العربي في فرنسا، إذ ينظم كل عامين معرضاً دولياً للكتاب العربي. ثم إن مكتبة المعهد المتخصصة بالكتب الأجنبية التي تدور حول القضايا العربية أو بالكتب العربية المستوردة، تتيح للقارئ العربي والفرنسي وسيلة ثمينة للتعمق في الحضارة العربية. وهذه المكتبة تكمل نسبياً المكتبة الوطنية الفرنسية وما تتضمنه من ذخائر المخطوطات النادرة والكتب القديمة والحديثة الصادرة في مشرق الوطن العربي ومغربه، وتكمل أيضاً وظيفة مكتب اللغات الشرقية والذي يضم مئات الآلاف من الكتب والمخطوطات ناهيك عن المجلات والصحف والوثائق العربية. وإلى ذلك وضع المعهد في خدمة القارئ العربي في فرنسا مكتبة لبيع هذا الكتاب يشرف عليها الكاتب والباحث السوري الدكتور بدر الدين عرودكي. وتعتبر هذه المكتبة من أغنى المكتبات العربية في باريس رغم محدودية خياراتها وفرضها نوعاً من الرقابة الذاتية على العناوين التي تعرضها للبيع تجنباً لإثارة غضب هذه الدولة العربية أو تلك.

### المراكز الثقافية ودور النشر

وإضافة الى مكتبة معهد العالم العربي، هناك مراكز عربية ثقافية تضع مكتباتها في تصرف المنتسبين إليها،

**هل وجود مليون قارئ ظرفي أو دائم للكتاب العربي في فرنسا يعني أن حاله في الخارج أفضل مما هو عليه عندنا؟**

وأشهرها: المركز الثقافي الجزائري، المركز الثقافي السوري والمركز المصري... أما المكتبات العربية الخاصة فيتجاوز عددها الخمسين. عشرون منها في العاصمة الفرنسية وثلاثون في المدن الأخرى. ومن أشهر المكتبات العربية في باريس وأقدمها: مكتبة ابن سينا ومكتبة المتوسط وهما تقعان في الحي اللاتيني، وتقدمان للقارئ أحدث إصدارات بيروت والقاهرة ودول المغرب، وتنظمان باستمرار حفلات للتوقيع على الإصدارات الجديدة بحضور مؤلفيها.

أما بالنسبة إلى دور النشر العربية في فرنسا فلا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة وهي جميعها دينية التوجه وأبرزها: التوحيد، اقرأ، الشرق... وهذه الدور تكتفي إجمالاً بإعادة تصوير أو طبع كتب رائجة. ولحسن الحظ، فإن الدور الفرنسية الكبرى تولي الثقافة العربية عناية خاصة، سواء من حيث المضمون أو الشكل، وبعضها يهتم بإصدار طبعات ثنائية اللغة (فرنسي - عربي) تشمل الكتب المؤلفة حديثاً أو التراثية أو المخصصة للأطفال. ويلقى هذا النوع من الكتب رواجاً كبيراً سواء لدى القرّاء الفرنسيين الذين تجذبهم الثقافة العربية أو الناشئة من أبناء الجالية العربية. ويبدو أن هذا النوع من الكتب سيتصدر تدريجاً قائمة المنشورات المخصصة للعالم العربي بين الناشرين الفرنسيين، إضافة إلى الكتب التعليمية البحتة والمخصصة لتعليم اللغة العربية وقواعدها.

أما الكتب الصادرة بالفرنسية والتي تتمحور حول العالم العربي والاسلامي وقضاياه فتبلغ نحو خمسمائة عنوان جديد سنوياً وهو رقم لا بأس به إذا ما عرفنا أن مجمل عدد الكتب الصادرة سنوياً في فرنسا لا يتجاوز الثلاثين ألف عنوان ثلثها من الكتب المعاد طبعها. وأبرز دار نشر فرنسية تعطي الثقافة العربية حيزاً أساساً هي دار "أعمال الجنوب" (ACTES SUD) والتي يشرف على منشوراتها العربية الكاتب السوري فاروق مردم بك. وبلغ عدد الكتب التي نشرتها هذه الدار منذ نشأتها أكثر من 600 عنوان. وتستحق باريس بجدارة لقب عاصمة الثقافة العربية بسبب كثرة مراكز الأبحاث التابعة للجامعات والتي تصدر دراسات كثيرة عن العالم العربي في جوانبه كافة. ولعل أبرز هذه المراكز يقع في مدينة "إيكس أن بروفانس" وتعتبر منشوراتها مرجعاً في كل ما يتعلق بالمغرب العربي. ورغم أن "موسوعة الإسلام" (Studia Islamica) تصدر في هولندا، فإن القسم الأكبر من محرريها يعمل في باريس.

## سهولة الحصول على الكتاب

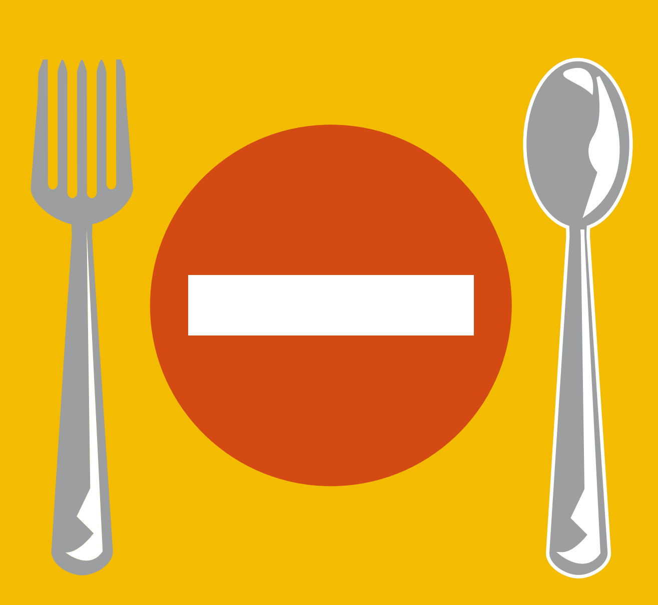
يجد قرّاء العربية في فرنسا سهولة كبيرة في الحصول على كل ما يريدونه من الكتب العربية أو عن العالم العربي. فثلث المكتبات العامة والبلدية (وعددها بالآلاف) تخصص قسماً لهذه الكتب، كما أن اللغة العربية أصبحت مادة اختيارية في الكثير من الثانويات والمعاهد التكميلية، وطلاب الآداب العربية يزداد عددهم باطراد. ويبلغ هذا العام عدد المنتسبين إلى الأقسام الجامعية الخاصة بالحضارة العربية أكثر من عشرة آلاف دارس. وقد بدأت المؤسسات الحكومية والخاصة، وكذلك المدارس العليا التي تتخرج فيها النخب الفرنسية القائدة في المجتمع والدولة، بتشجيع موظفيها وطلابها على دراسة اللغة العربية. ففي وزارة الخارجية الفرنسية، على سبيل المثال، بلغ عدد الديبلوماسيين الكبار الذين يتكلمون بلغة الضاد 40 سفيراً. لكنّ الأهم من كل ذلك هو ازدهار نوعين من الكتب: كتب الأدب والكتب الفنية الراقية التي لم تترك جانباً من الحضارة العربية والإسلامية إلا وغطته بامتياز. والى هذا وذلك، فإن وزارة الثقافة الفرنسية تسهم في تمويل الكتاب العربي المترجم إلى الفرنسية تماماً كما تسهم في تمويل الكتب الفرنسية المترجمة إلى العربية... كل هذه المعطيات تؤمِّن لطالب الثقافة العربية ولقارئ الكتاب العربي مناخاً جيداً لممارسة هوايته. وآخر التقديرات تقول إن عدد القرّاء العرب في فرنسا اليوم يتجاوز الآن مليون قارئ، ظرفي أو دائم.



## وسط تضارب الدراسات في ما نأكل بين:

# المفيد والضار





أصبحت الأخبار العلمية التي تتناول المواد الغذائية وفوائدها ومضارها من الكثرة، بحيث صارت تحتل أبواباً ثابتة في المطبوعات الدورية. ولكن المشكلة لا تكمن فقط في أن هذه الأخبار غالباً ما تردنا بالمفرق، بل أيضاً في تضارب الاستنتاجات المتعلقة بالمادة الغذائية الواحدة. **الدكتور إسماعيل سكرية***  يعرض هنا ما هو مفيد وضار في ما نأكل، معرجاً على بعض العوامل المؤثرة في تضارب ما يردنا من معلومات عن المواد الغذائية.

* رئيس الهيئة الوطنية الصحية في لبنان

**لا عجب في أن يتزايد الاهتمام ويتوسع في ما يختص بعلم الغذاء عاماً بعد عام، ويوماً بعد يوم، وتتمدد ثقافته على صفحات الإعلام (العلمي منهً والاجتماعي وحًتى السياسي)، فالغذاء هو وقود الجسم ومصدر طاقته على الحركة والاستمرار. كما أن التطور الهائل الذي حصل في مجال الغذاء حتى أضحى علماً حقيقياً، ومغريات أرباحه المادية الكبيرة، وسرعة وسهولة تسويقه، أدت إلى رفع وتيرة ومستوى الاهتمام بالغذاء، وهذا بدوره فتح الباب أمام نظريات متناقضة أحياناً تعتمد أسلوب الإثارة و"الفلاشات" الإعلامية لفتاً للأنظار، وحصداً سريعاً للمكاسب المالية....!**

ولكن وبالرغم من ضجيج النظريات، والإرباكات الناتجة عن الخلاف في ما هو نافع وما هو ضار، فقد بقيت "ثوابت العلم" هي المشترك الأساس. وبقيت صحة جسم الإنسان الناطق الأصدق، والمقياس الأدق في تمييز النافع من المضّر.

منذ انطلاقة البشرية، وعلى مر العصور، عرف الإنسان كيف يؤمن لنفسه الغذاء "الأنسب والأسلم" بدافع شهية الحاجة وحب البقاء، متأثراً بالجغرافيا والطبيعة، وما تقدمه له من غذاء. فكان للصحراء غذاؤها، وعماده التمر والحليب، بينما تنوعت الأطعمة والخضار والفواكه في المناطق الزراعية، فيما طغت لحوم الصيد في الغابات، وفرضت المناطق الباردة لحوم الحيوانات البرية والمائية الأكثر "دهوناً وشحماً" لما توفره من سعرات حرارية يتطلبها الجسم البارد.

## غذاء جديد في عالم جديد

مع تطور الحياة ومتغيراتها، ونتيجة للانفتاح والتواصل الذي وصل عصر "العولمة" بفلسفتها القائمة على "ثقافة السوق" وما تفرضه من "شراسة المنافسة" وسرعة الاستهلاك والتسويق؛ اشتعلت حمّى الاهتمام بالغذاء الصحي على كافة المستويات العلمية والتجارية والإعلامية والشعبية؛ مما أدى إلى واقع يتميز بإغراق الأسواق بآلاف الأصناف الغذائية ومستحضراتها.... بما فاق كثيراً قدرة المستهلك









على الاستيعاب والتمييز، وبموازاة هذا الإغراق، وبسبب تحكم سلطان المال بالسوق وحركته، ارتفعت واتسعت نسبة التحايل في المنافسة التجارية (تزويراً وتهريباً وتقليداً) وأصبح هناك مافيات تتصارع، وتمتلك بواخر تجوب أعالي البحار، متخصصة بتغيير الشكل، وتمديد الصلاحية والتلاعب بالماركات، مخترقة معظم الأسواق العالمية ، وخاصة أسواق الدول النامية التي استقالت (بمعظمها) من دورها الذاتي في تأمين الغذاء، إلى دور المستهلك للغذاء المستورد.

أما أخطر ما في هذه الثقافة "السوقية" القائمة على "أكبر ربح في أسرع وقت" وبأي أسلوب كان، فهو يكمن في ما يحمله من مخاطر على صحة الإنسان وسلامة المجتمع، بفعل استعمال كل ما يؤمِّن "أضخم إنتاج في أسرع وقت" من مواد سامة (toxic)، ومسرطنة (carcinogenic)، ومحورة وراثياً.. نكتفي منها بما يأتي:

**جسم الإنسان المعقد بتركيبته الفيسيولوجية ووظائف أعضائه ما زال يختزن مساحة من الاحتمالات القابلة للنقاش**

1. **الكيماويات (chemicals):** تستعمل سماداً زراعياً، وبشكل عشوائي في كثير من الأحيان، والأمر ناتج عن جهل أو طمع في محصول أكبر وأسرع.. مخاطرها الصحية كثيرة وأهمها ما ينتج عن سوء استعمال مادة النيترات nitrates التي تتحول في معدة الإنسان إلى nitrosamine القادرة على تغيير شكل الخلايا metaplasia مما يرفع نسبة الإصابة بالسرطان في المعدة والقولون والمثانة عند الرجل.
2. **المبيدات (pesticides) الزراعية:** سامة عند تجاوز العيارات المطلوبة، وتسبب العديد من أمراض الجهاز العصبي والهضمي.
3. **المنميات (anabolics):** تستعمل في تسريع نمو الدواجن وفي الأعلاف، وبعضها يحتوي على مواد مسرطنة carcinogenic إذا ما استعملت أكثر من المدة المحددة، هذا عدا استعمال "الكورتيزون" بكثرة، لزيادة وزن الطير المدّجن، ومخاطر الكورتيزون تطال كافة أعضاء الجسم.
4. **المواد الحافظة (conservatives):** تستعمل في حفظ الأغذية في المعلبات والتجفيف والتخزين، تحتوي على سموم ومواد مسرطنة.
5. **المواد المضافة (additives):** تستعمل في تحسين طعم الغذاء، وشكله ورائحته. وتتضمن مواد سامة بمعايير مختلفة، لها تأثير تراكمي على صحة المستهلك.
6. **المواد الملوّنة:** المستعملة لتلوين الخضار والفواكه والألبان والأجبان وغيرها، تحمل مخاطر صحية "سمّية" التأثير.وأكثر أعضاء الجسم تأثراً بالموادالثلاث الأخيرة هو الكبد (hepatotoxicity).
7. **الأغذية المحورة وراثياً (genetically altered):** حيث تنقل جينات من كائن حيّ إلى آخر (من نبات إلى نبات، ومن حيوان إلى نبات). وتهدف إلى المساعدة في تصنيع الغذاء، بكلفة أقل وبكم أكبر، وبقيمة غذائية أفضل، وخفض الحاجة للكيماويات والأسمدة.

وتحمل الأغذية المعدلة وراثياً، العديد من المخاطر على صحة الإنسان، نذكر من أهمها:

- الحساسية وتفاعلاتها، ومنها أنواع جديدة يصعب تحديدها أو التعرف إليها.
- سموم ،كمثل مادة الـ tryptophan. والذي سبب عشرات حالات الوفيات في الولايات المتحدة الأمريكية
- تقليل القيمة الغذائية لبعض الأطعمة، بسبب حدوث تغيرات كيموحيوية في النباتات.
- الكيماويات السامة، من نواتج الكائنات المحورة وراثياً، مثل إضافة جين (metalothienen) إلى النباتات، والذي وجد في أورام سرطان الثدي والخصيتين.
- كما تحتوي الأطعمة المهندسة وراثياً على جينات من البكتيريا مقاومة للمضادات الحيوية.

أدى كل ذلك إلى تحميل جسم الإنسان الكثير من المخاطر الصحية، المعروف منها والمجهول... وأحدث خللاً وإرباكاً في قدرة الجسم على مقاومة بعض الأمراض المستعصية، وفي مقدمها مرض السرطان وأمراض ضعف المناعة وأهمها "الإيدز".

## الدقة العلمية والضجيج الإعلامي

من هنا، فإن الحديث عن غذاء صحي وآخر غير صحي، وعن مسموح وممنوع، يجب أن يقترن بالدقة العلمية، والصدق في طرح المعلومات، ووضع قيمة الإنسان وصحته هدفاً أساساً فوق الاعتبارات المادية.... وهو ما لا نشهده دائماً وللأسف... فالضجيج الإعلامي الغذائي الذي استوطن الإعلام والمحلات التجارية "مفخخ" بالكثير من الأكاذيب والتضخيم والإغراء وكافة أساليب الشطارة المستخدمة في حلبة صراع العولمة الذي لا يرحم ...! حتى مراكز البحث العلمي، لم يسلم بعضها من تأثير "سلطان الشركات الغذائية" القادرة مالياً، فاستسلم لسياسات غذائية موجهة باتجاه ما يناسب "صراع السوق"...! مما يؤكد ضرورة حضور رعاية الدولة وإشرافها "التوعوي والرقابي" دائماً وأبداً.

من جهة أخرى، وفيما يختص بالتعارض الظاهر أحياناً في الأبحاث العلمية، لا بد من التذكير بأن جسم الإنسان المعقد بتركيبته الفيسيولوجية وبوظائف أعضائه وخلاياه، ونظامه الهرموني الدقيق، ما زال يختزن مساحة من "الاحتمالات"

والحقائق القابلة للنقاش العلمي أو للتعديل أو التطوير. خاصة أن العلم مفتوح على تطور دائم، يغوص أكثر وأكثر في جسم الإنسان وأسراره، مما يؤدي إلى تعارض نسبي. أما التعارض المطلق فيعود إما إلى تباين في المنطلق والنهج العلمي لهذا المركز أو ذاك، وإما إلى خلفية تجارية – مادية. وللتوضيح أكثر، نذكر مثالاً على تأثير التطور العلمي وأسلوب تعاطي المدارس العلمية إزاءه، "الحليب والقرحة". فبعد قرون من شعبية الحليب في مداواة قرحة المعدة من خلال تحييد مفعول "الأسيد"، سقطت هذه النظرية بعد أن تبين أن مادة الكالسيوم الموجودة في الحليب ترفع من نسبة إفراز هورمون "Gastrin" في الإثني عشري، الذي يرفع بدوره نسبة حوامض المعدة. وأود التشديد هنا على ألاَّ علاقة لهذا بالقيمة الغذائية الكبيرة للحليب.

**الخلفية التجارية تتصاعد يوماً بعد يوم واستطاعت أن تدخل العديد من مواقع البحث العلمي**

أما الخلفية المادية – التجارية، فهي تتصاعد يوماً بعد يوم، وقد استطاعت أن تدخل العديد من مواقع البحث العلمي في صراع قوى المال وشركاتها الهائلة، والأمثلة أكثر من أن تعد وتحصى.. من نصدّق؟، إنه سؤال كبير.. ولكن، تبقى مؤسسات البحث العلمي التي ترعاها الدولة مثل FDA في الولايات المتحدة الأمريكية و Health & Nutrition في إنجلترا، ومنظمة الصحة العالمية أكثر صدقية من غيرها.

فالضجة التي أثيرت حول الـ "صويا"، وما ذكر عن تسببها بخفض كمية المنويات عند الرجل، فهي تتعلّق بالكمية المستعملة، لا بمادة الصويا بحد ذاتها. والكمية المطلوبة لتحقيق ذلك (وفي حالات نادرة لم تشكل بعد "حالة" يتبناها العلم) التي يفترض استهلاكها يومياً، هي أضعاف ما هو موجود في لحمة الصويا التي يستعملها النباتيون، وفي حليب الصويا الذي يستعمله المتحسسون من مادة LACTASE الموجودة في الحليب.

### المعادلة السليمة

إن الغوص في فوائد كل غذاء على حدة يشكل موضوعاً لا يمكن اختصاره حتى في كتاب. ولكن المبادئ الأساس في الغذاء الصحي، التي يؤكدها العلم وحقائق تركيبة الجسم وحاجاته تسمح لنا بالقول إن المعادلة الغذائية الصحية التي أصبحت معروفة لدى الجميع، مركّبة على تغليب عنصر الخضار والفواكه في غذائنا، على اللحوم والدهنيات والحلويات، ورسمت على شكل هرمي... والوجه المتمم لهذه المعادلة، يكمن في ممارسة الرياضة (مشياً سريعاً، أو سباحة أو أي شكل من أشكال الحركة المتكررة التي تخرجنا من ترهل القعود المكتبي اليومي الطويل). وإذا أردنا الكلام عن المثال، فالغذاء المثالي هو ما أنتجت عناصره الأرض الطبيعية الخالية من كل ما ذكرنا من كيماويات ومواد أخرى.. والمستفيد من دفء الشمس، وهو ما أصبح أقرب إلى الترف لقلته. من ناحية أخرى أثبتت الأبحاث العلمية أن العديد من أمراض العصر الأكثر انتشاراً كالسرطان والزهايمر والسكتة القلبية والذبحة الصدرية والسكري والتهاب المفاصل وغيرها من الأمراض التي لا تسببها الجراثيم، مرتبطة بنقص في المغذيات المضادة للأكسدة (anti-oxidants)، المتوافرة بكثرة في الأغذية النباتية ومعظم الأعشاب الطبية... وهذه النظرية قائمة على (جذور

## لا علمية للتناول الصحفي

**يتحمل بعض "المحررين العلميين" في وسائل الإعلام، جزءاً من المسؤولية عن ضبابية المعلومات الشائعة حول فوائد الأغذية ومضار بعضها. فلو أخذنا المواد الغذائية التي قرأنا أنها تقي من السرطان لوجدنا أن لائحتها تطول لتضم أكثر من نصف الأطعمة التي نتناولها يومياً. ولو كانت هذه الأخبار صحيحة لكان يفترض بالسرطان أن يختفي من عالمنا. فأين المشكلة إذن؟**

**غالباً ما توزع مراكز الأبحاث والمعاهد العلمية ملخصات عن نشاطاتها وأبحاثها، ومنها بشكل خاص ما هو قائم على الإحصاءات. فتتناول دراسة معينة نحو 10 آلاف شخص، وتنتهي إلى الملاحظة بأن الذين يتناولون المادة الغذائية الفلانية أكثر من غيرهم، يصابون بالمرض الفلاني أقل من غيرهم. وبمجرد وقوع الخبر في يد محرر علمي مضطر إلى أن يضع عنواناً من كلمات قليلة لخبر من مئة كلمة، يصبح العنوان "المادة الفلانية للوقاية من المرض الفلاني". أما الحقيقة العلمية فهي في مكان آخر. فالدراسات القائمة على الإحصاءات وعينات، مهما كبرت، من الناس، تبقى مصدراً لإطلاق فرضية. وعلى الفرضية أن تمر بالمختبرات، وتخضع لتجارب إذا نجحت وتكرر نجاحها كل مرة، تسمح بإطلاق حكم علمي.**

**ولمزيد من الإيضاح، يمكن لأي شخص أن يقوم بدراسة إحصائية تنتهي إلى القول بأن الكافيار محسّن لبشرة الوجه. فمن ضمن عشرة آلاف شخص يتناولون الكافيار بانتظام هناك 99 في المئة على الأقل ممن يتمتعون ببشرة ملساء خالية من البثور. ولكن الواقع هو أن الذين يتناولون الكافيار بانتظام هم عادة من الأثرياء الذين يمتلكون المال والوقت اللازم للعناية بمظهرهم وببشرتهم. وبالتالي لا علاقة للكافيار ومحتواه من البروتينات ببشرة الوجه أكبر من علاقة اليخت والطائرة الخاصة والمجوهرات.**

**وعليه، يفترض بالإعلام العلمي أن يتوخى دقة أكبر في تعاطيه مع ما يرده من الوكالات حول الأبحاث الغذائية، وعليه مقاومة الرغبة الدائمة في لفت انتباه القارئ من خلال العنوان الجازم والمثير. وإذا رفض المحرر العلمي ذلك أو عجز عنه، فعلى القارئ أن يتولى هذه المهمة.**





الأكسجين الحرّة)، التي تهاجم خلايا الجسم وتفقدها طبيعتها ومناعتها، وتسببها عوامل كثيرة أهمها (عمليات الاشتعال ومن ضمنها التدخين، الإشعاعات، المبيدات الحشرية، قلي أو شوي الطعام، القلق النفسي، الخ..).

إن مضادات التأكسد هي مجموعة من العناصر والمركبات الموجودة بصورة طبيعية في جميع الخضراوات والفاكهة ومعظم الأعشاب الطبيعية... وهي قادرة على مقاومة تأثير الجذور الحرّة، علماً بأن أجسامنا دائمة الصنع لمضادات التأكسد الخاصة بها، ولكننا عند تناولنا للغذاء الصحيح نساعدها في القيام بعملها الطبيعي. وقد أظهرت الدراسات وجود علاقة عكسية مباشرة ما بين استهلاك الخضروات والفاكهة والإصابة بأمراض السرطان، خاصة سرطان الجهاز الهضمي بدءاً من المريء ونزولاً حتى القولون، حيث تبرز أهمية "الألياف" الموجودة في الخضار والفواكه والحبوب في تحريك سير فضلات الطعام وخاصة في القولون، ومنع تراكم مترسبات هذه الفضلات، مما يرفع احتمالات الإصابة بالسرطان. ومن الأمثلة على ذلك:

**علينا عدم اللهاث وراء كل ما يورده الإعلام، وتجنب الوقوع في "الهوس" حيث لا ينفع معه أي غذاء مهما تميز**

- الخضراوات الورقية: تحتوي على مركبات كاروتينية carotenes تعمل كمانعة للتأكسد ولها القدرة على تحييد الجذور الحرة، وغنية أيضاً بحامض الفوليك folic acid وهو حامض ضروري لتصنيع الأحماض النووية والمادة الوراثية للخلية.
- الخضراوات والفواكه الصفراء: مثل الجزر والبطاطا والقرع واليقطين والمانغا والشمام. وهي تحتوي على كميات وفيرة من مادة "البيتاكاروتين betacarotene" التي تعمل كمضاد للتأكسد وتحمي خلايا الجسم من التأثير الضار الذي تحدثه الجذور الحرّة. كما أن قابلية "البيتاكاروتين" للتحول إلى فيتامين (أ) أكسبها قدرة إضافية على مقاومة النمو السرطاني.
- الحمضيات: تتميز باحتوائها على كميات كبيرة من حامض أسكوربيك فيتامين ج (vitamin c) الذي يحمي جدار الخلايا والمادة الوراثية فيها من عمليات التأكسد الضارة نظراً لطبيعة الحامض المضادة للتأكسد. ويعتقد أن فيتامين ج، يقلل احتمالات السرطان من خلال تقليل فرصة تحويل "النيترات" إلى "نيتروزمين" المسرطن.

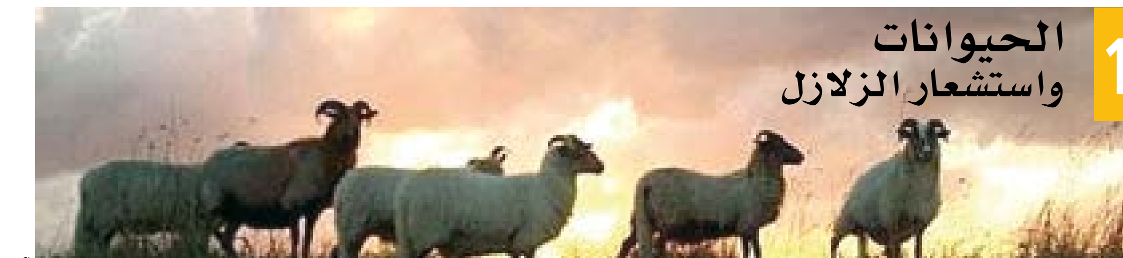
كذلك فإن الخضراوات والفواكه تتضمن مواد أخرى مثل "سيلينيوم" و"الفلافونويدات" الموجودة في الشاي الأخضر وتساعد في تنظيم ضغط الدم، وعمل عضلات القلب. كما ثبتت العلاقة بين مرض "الزهايمر" وهبوط مستوى فيتامين "أ" و"هـ" في الجسم. وعلى الرغم من هذه الفوائد، يجب عدم الإفراط في تناول الخضراوات والفاكهة على حساب البروتينات ومصادر الطاقة وبعض المعدنيات مثل الحديد والكالسيوم وغيره. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن تشكيك بعض التقارير "بالحليب" الغني بمادة الكالسيوم، غير صحيح، وأن أية مشكلات ناتجة عن تناول الحليب تعود أسبابها إلى سلامة التحضير (تجميعاً ونقلاً وتعقيماً ونظافة عمال، الخ...) وليس إلى مادة الحليب بذاتها (ما عدا التحسس المحدود الانتشار من مادة lactase. وبعض حالات التحسس من البروتينات).

ولتصويب الموضوع باتجاه أكثر عملانية، نسلط ضوءاً سريعاً على فوائد عينة من الأصناف الغذائية التالية:

- الطماطم: تحتوي على مادة lycopene، وهي أقوى مضاد للأكسدة في فصيلة "الكاروتينيات". وهي مصدر هام للفيتامين ج.
- السبانخ: متخم بالحديد وفيتامين ب ومادة folate الضرورية لجهاز الأعصاب والمضادة للأكسدة.
- العنب: تحتوي قشور العنب على polyphenols المضادة للأكسدة والمقوية للكوليسترول الجيد HDL.
- المكسرات: وخاصة الجوز واللوز، ترفع نسبة الكوليسترول الجيد HDL وتخفض مستوى الكوليسترول السيء LDL. كما تحتوي على فيتامين E المضاد للأكسدة، والمحسن للوظائف الجنسية. ولكن يجب تناولها بملء اليد الواحدة لا بملء الاثنتين.
- البروكلي: مضاد للأكسدة ومساعد في منع تكوين الخلايا السرطانية. غني بفيتامين ج وبالألياف المفيدة للجهاز الهضمي.
- الشوفان: تناوله اليومي يخفض الكوليسترول في الدم، ويمنع تراكم الفضلات في القولون.
- سمك السلامون: يحتوي على نوع خاص من الدهنيات هو "Omega-3" المقوي لعضلات القلب، والمانع لالتصاق الصفائح بجدار الشرايين. ويخفض الدهنيات في الدم والكوليستيرول السيء LDL.
- الثوم: مخفض للكوليسترول وإلى حد ما ضغط الدم. طهيه بقوة يخفف من فوائده.
- الشاي الأخضر: متخم بـ polyphenols وبقوة مضادة للأكسدة (مائة ضعف الفيتامين ج).

وخلاصة لكل ما ذكرنا، فإن "الاعتدال والاتزان" يجب أن يحكما نهج حياتنا، وخاصة في ما يتعلق بما يدخل جسمنا من غذاء. كما يجب عدم اللهث المكثّف وراء كل ما يورده الإعلام، تجنباً للوقوع في دائرة "الهوس" Obsession والتي لا ينفع معها أي غذاء مهما تميز. وليكن شعارنا في الغذاء الصحي قائم على التحالف التالي: (خضار + فواكه + أسماك + طيور وقليل من اللحم + رياضة يومياً) مضاف إليه ما أمكن من "راحة البال" والأمان النفسي... والثقة بالنفس.

## 1 الحيوانات واستشعار الزلازل



pBase

كارثة المد الزلزالي الذي ضرب دول المحيط الهندي في ديسمبر الماضي أعادت إلى الأضواء مسألة الإحساس المسبق عند الحيوانات بقرب وقوع الزلازل. وعلى الرغم من أن هذه المسألة ليست جديدة بل تظهر أينما كان في العالم عقب وقوع أي زلزال، فإنها في كارثة التسونامي اتخذت أبعاداً لافتة للنظر جعلت بعض العلماء يتجهون إلى التفرغ لدراستها وتفسيرها.

يقول مدير الحياة البرية في سريلانكا هـ. د. راتنايكي إن الموجات المدية الهائلة التي وصلت حتى الميلين داخل اليابسة في بلاده، "ضربت مواطن حيوانات برية عديدة كالفيلة والغزلان والتماسيح وغيرها. غير أن فرق الإنقاذ التي انتشلت جثث آلاف البشر لم تعثر على أي فيل ميت، ولا حتى على أرنب مين واحد"!.

إلى ذلك، لم تظهر الصور الجوية لا للمحيط ولا اليابسة التي غمرتها المياه أي حيوان ميت. وروى العديد من الناجين أنهم شاهدوا الفيلة تركض إلى مواقع جغرافية مرتفعة قبل وصول الأمواج بحوالي الساعة، كما أن الكلاب رفضت الخروج، وغادرت الطيور أعشاشها القريبة من الشواطئ. ويضيف بام رنكويست من إحدى الجمعيات المحلية أن فرق المتطوعين لم تعثر حتى على حيوانات جريحة، لكنهم وجدوا الكثير من الحيوانات السالمة التي كانت تحتضر جوعاً بعدما غادرت المناطق التي تقتات فيها من فضلات المطاعم والشاليهات.

وبينما ينكر بعض العلماء وجود حاسة سادسة عند الحيوانات، يصر البعض الآخر على التذكير أن تصرف الحيوانات أنقذ في عام 1975م الآلاف من سكان مدينة هاي شينغ في الصين، عندما أمرت السلطات المحلية السكان بإخلاء المدينة فور ملاحظة تصرفات غريبة على الحيوانات في المدينة قبيل وقوع زلزال عنيف ومدمر. الأستاذ المتخصص في هذا الشأن، لاري مايرز، من جامعة "أوبورن"، يقول: إنه ليس بالإمكان الجزم بوجود حاسة سادسة عند الحيوانات، أو قدرة خارقة على تحسس الزلازل. ولكن المؤكد أن بعض الأسماك مثلاً يتفاعل بسرعة مع الحقول المغناطيسية، وبعض الطيور أيضاً.. أما الفيلة فيمكنها أن تشعر بالارتجاجات دون الصوتية داخل الأرض من خلال أقدامها.

ومن أغرب ما ينكبّ على دراسته العلماء حالياً هو نجاة القبائل البدائية التي تعيش في جزر انكوبار واندامان التابعة للهند، ويبدو أنها بسبب التصاقها بالطبيعة تمكنت من التنبه إلى بعض الإنذارات البيولوجية مثل التغير في أصوات العصافير وسلوك الحيوانات البرية والبحرية. فلم تقع أية ضحية في صفوف هذه القبائل، بينما قضى آلاف السياح الوافدين إليها!

## 2 تبادل العوادم



com Stock

منذ إعلان الأمم المتحدة لاتفاقية التغيير المناخي في قمة ريو دي جانيرو عام 1992م، والدول الصناعية في شد وجذب لموازنة مصالحها الاقتصادية مع الالتزامات التي تنص عليها الاتفاقية، والتي تتلخص في تحديد انبعاثات غازات الدفيئة لمواجهة الاحتباس الحراري، وقد التزمت معظم دول العالم الصناعي بآليات تخفيض حجم انبعاثات غازات الدفينة الناتجة عن أنشطتها الصناعية عبر بروتوكول كيوتو الذي وُقع في عام 1997م. وأصبحت بنود هذا البروتوكول ملزمة قانوناً بدءاً من 18 فبراير 2005م. وهي تنص على خفض الدول المتقدمة لنسبة 5.2 في المئة من عوادمها الغازية عمّا كانت عليه عام 1990م، وأن يستكمل هذا التخفيض بحلول عام 2012م. ومعروف أن الولايات المتحدة الأمريكية المنتجة لحوالي 25 في المئة من العوادم الغازية في العالم انسحبت من الاتفاقية لحماية مصالحها الاقتصادية، وتبعتها أستراليا. لكن الدول الأوروبية الموقعة أنشأت ما يسمى بالسوق الأوروبية المشتركة لتبادل العوادم الغازية. وهي سوق جديدة تبيع فيها الدول فائض إنتاجها من عوادم الغازات للدول الأقل إنتاجاً داخل السوق الأوروبية، في خطوة تهدف إلى تبادل المنافع وتعزيز اقتصادياتها المحلية. أما البيئة فتبقى وحدها من دون منفعة ولا نصير.

## 3 استكشاف هرم الشمس

على بعد حوالي الساعة بالسيارة من العاصمة المكسيكية يقع هرم الشمس الذي فشلت كل أساليب الاستكشاف الأثرية التقليدية والحديثة في معرفة ما يحتويه من آثار. فهذا الهرم هو الثالث في العالم من ناحية الحجم. إذ يبلغ طول كل ضلع في قاعدته نحو 200 متر، وتم بناؤه قبل حوالي 2000 سنة.

ومؤخراً، انبرى علماء فيزياء الجزيئات لحل هذه المعضلة. وأحضر اثنان منهما يعملان في جامعة مكسيكو مختبراً لتجميع جزيئات "الميون" (Muons) التي تهطل على الأرض من الفضاء الخارجي بمعدل 12000 وحدة في المتر المربع / دقيقة. وهذه الجزيئات تخترق كل شيء بما فيها أجساد البشر.

ولكن عملية الاختراق هذه تتغير بتغير كثافة الحاجز المخترق. الأمر الذي يعني أن الفجوات تمتص من هذه الجزيئات أقل مما يمتص غيرها، الأمر الذي يمكّن العلماء من رسم خارطة للهرم كله، إذا ما تم وضع هذا المختبر في نفق تحته. وهذا بالفعل ما حصل مؤخراً. لكن النتيجة لا تزال تتطلب بعض الوقت. فمن انتظر 2000 سنة يمكنه أن ينتظر بضعة أشهر إضافية.

pBase

## 4 التلوث الجيني

لا يزال الجدال الواسع قائماً حول الأنواع المعدلة جينياً من المزروعات والفواكه والحبوب والأعشاب ومن ضمنه موضوع "التلوث الجيني". فقد ادّعى المناهضون للتعديل الجيني أن هذه الجينات المعدّلة بإمكانها أن تنتقل إلى النباتات أو الأشجار التي يقربها وتعدلها بدورها. وهذا يشكل خطراً كبيراً على الحياة. ونشرت في هذا الشأن الكثير من الدراسات المؤيدة والمعارضة للتعديل الجيني. آخر هذه الأبحاث جاء في المجلة الموثوقة الصادرة عن أكاديمية العلوم في أمريكا، وتبين أن بعض الأعشاب المعدّلة يمكنها أن تلوّث ما عداها إلى مسافة 21 كيلومتراً. وقد أثبتت بعض الدراسات قبلاً أن جينات من دوار الشمس المعدل يمكنها أن تنتقل إلى حوالي كيلومتر واحد. وجاء في نتيجة أبحاث أجرتها المؤسسة الأمريكية لحماية البيئة أن بعض أعشاب المرج المعدّلة جينياً لمقاومة الأمراض، قد نقلت لقاحاتها إلى أعشاب أخرى حتى مسافة 21 كيلومتراً. وقد وجد فريق باحثين آخرين من المؤسسة نفسها أن التلوث الجيني قد انتشر في بقعة مساحتها 310 كيلومترات مربعة من أعشاب المرج في مدينة مادراس في ولاية أوريغون الأمريكية.



pBase

## قصة ابتكار

# الأسنان الصناعية

المدهش في ابتكار الأسنان الصناعية أنه بلغ شأناً كبيراً عند الشعب الأتروري في إيطاليا في القرن السابع قبل الميلاد؛ فصنع هؤلاء أسناناً من العاج أو العظم، وثبتوها في الفم بواسطة جسور من ذهب. غير أن صناعة الأسنان كبَتْ، ولم تعد إلى هذا المستوى من التطور إلا في القرن التاسع عشر الميلادي.

فخلال القرون الوسطى، كان طب الأسنان يقتصر عموماً على خلع السن المتسوسة. وكان من المألوف جداً أن تكون هناك فراغات بين الأسنان حتى في صفوف الأثرياء. حتى أن الملكة إليزابيث الأولى (1533 - 1603م) كانت تملأ الفراغات بين أسنانها بقطع من القماش الأبيض؛ لتحسين مظهرها في حياتها العامة. ويقال إن جورج واشنطن عانى من متاعب رهيبة من أسنانه حتى وفاته عام 1799م.

أما محاولات صناعة أسنان بديلة، فقد كانت قليلة وتعتمد على عاج الفيلة أو وحيد القرن أو الذهب والعقيق أو حتى على أسنان الموتى من الناس، أو أسنان يشتريها الأثرياء من الفقراء. وكانت هذه تُربط بالأسنان السليمة بخيطان من الحرير، وكان يتوجب نزعها قبل تناول الطعام.

في عام 1774م، قام الصيدلاني الفرنسي دوشاتو بالتعاون مع طبيب الأسنان دوبوا دو شامان بتصميم أول طقم أسنان مصنوع من البورسلين. وسجل هذا الأخير الاختراع باسمه في عام 1789م.

أمّا أول سن منفردة من البورسلين المثبت في اللثة بواسطة مسمار من البلاتين فقد صممه الإيطالي فونزي لنفسه عام 1808م، اشمئزازاً من استعمال سن منتزعة من جثة ميت.

وفي عام 1839م، اكتشف الأمريكي شارلز غوديير نوعاً من المطاط المرن؛ لاستخدامه في جمع أسنان طقم كامل. وفي الفترة نفسها ابتكر هوراس ويلز مخدراً لنزع الأسنان من دون ألم. فارتفع الطلب على الأسنان الصناعية، وراجت صناعتها أينما كان، وتطورت حتى صارت تصنع من نواة معدنية صلبة من البلاتين والزئبق، تُكسى بالبورسلين الأبيض المشابه جداً للأسنان الطبيعية.

## قصة مبتكر

# أنطوان لوميار

### الابتكار مسألة عائلية





ولد أنطوان لوميار في 13 مارس من عام 1840م في أورموا بفرنسا، وأصبح يتيم الأبوين وهو في الرابعة عشرة من عمره. عمل حرَفياً في صناعة المفروشات، وراح يغرف في الوقت نفسه من الكتب العلمية التي كانت رائجة آنذاك. ثم جمع إلى ثقافته الحرفية والعلمية دراسة فن الرسم عند الأستاذ أوغست غوستانتان، وبعدما أنهى خدمته العسكرية، درس التصوير الفوتوغرافي عند المصور المعروف نادار..

تزوج في عام 1861م، وأنجب ولدين هما أوغست ولويس، وأنشأ محترفاً صغيراً للتصوير في مدينة بيزانسون، ثم انتقل إلى مدينة ليون حيث أنجب ابناً ثالثاً وعدداً من البنات، وأنشأ مصنعاً لشرائح التصوير.

واجه المصنع صعوبات هائلة في سنواته الأُوَلْ، وبقي شبح الإفلاس يتهدده رغم المساندة من ابنه لويس وشقيقة صغرى في العمل من الخامسة صباحاً حتى الحادية عشرة ليلاً. ولكن عندما عاد الابن الأكبر أوغست من الخدمة العسكرية، أوعز إليه والده بابتكار طريقة لمكننة إنتاج شرائح التصوير، الأمر الذي حصل بالفعل، وبحلول عام 1884م، كان مصنع العائلة يضم نحو 12 عاملاً.

في خريف عام 1894م، ابتكر أنطوان بمساعدة ولديه أول آلة عرض للصور الفوتوغرافية المتتالية على جدار. واستأجر القبو في مقهى "غران كافيه" في باريس؛ لإقامة أول "عرض للصور الحية". ولما كان صاحب المقهى غير واثق من المشروع الجديد؛ فقد رفض حصة من الأرباح، وطلب 20 فرنكاً يومياً. وفي يوم العرض الأول حيث قام أنطوان بنفسه بجمع التذاكر من الوافدين، بلغت المداخيل 30 فرنكاً. وكان ذلك في ديسمبر 1895م، اليوم الذي صار رسمياً تاريخ ميلاد السينما. بعد ذلك بثلاثة أسابيع وصلت المداخيل إلى 2000 فرنك يومياً.. الأمر الذي بشّر منذ آنذاك بضخامة مستقبل صناعة السينما.

نمت أعمال العائلة صناعياً، وأصبح معظمها في عهدة الابنين أوغيت ولويس. أما أنطوان، فقد تحول لاحقاً إلى عبء على الشركة بسبب حياة البذخ التي عاشها، وكرمه الأسطوري في رعاية الفنانين والموهوبين، حتى وفاته في 16 أبريل 1914م.

ولأنه حتى الابتكار في فرنسا يبدو مسألة عائلية؛ فقد لمع نجم ابني أنطوان في مجال الابتكارات والعلوم؛ فناقشا رسمياً وسجّلا نحو 500 براءة اختراع في مجالات التصوير والكيمياء والأجهزة الصوتية والسيارات، والصيدلة والزراعة والصناعة الغذائية.. ومن جملة هذه البراءات نذكر على سبيل المثال: البطارية الكهربائية، تعليب أطعمة من الحبوب، الصابون المعقم، طلاء مقاوم لأشعة إكس، وسدادة زجاجة عدادة للقطرات..

## اطلب العلم

تتجه العلاقة ما بين صناعتي أجهزة الكومبيوتر من جهة، والأجهزة الموسيقية الإلكترونية من جهة أخرى إلى مزيد من التوتر. حتى بات بعض المعنيين يتحدث عن حرب قائمة بينهما.

فبعد دراسة إحصائية أجرتها شركة هولندية لحوالي 22000 بيت أوروبي، تبين أن 32 في المئة منها يحتوي على أجهزة كومبيوتر يزيد عمرها على سنوات خمس، وأن حوالي 15 في المئة فقط تعود إلى عام 2003م وما بعده. وهذا ما أقلق كثيراً شركات الكومبيوتر.

# حرب بين صناعتين

أمين نجيب

ولتخطي هذه المشكلة، اتجهت هذه الشركات نحو أدوات التسلية والترفيه والاستيلاء على أنظمة الـ Hi - Fi والتلفزيون والفيديو وغيرها وجعلها جميعاً في جهاز واحد هو الـ PC لزيادة مبيعاتها. وقد بدأت شركات الكومبيوتر العملاقة بالفعل بإطلاق بعض الدعايات حول هذه المنتجات. والجهاز المنوي إنتاجه يستطيع تسجيل وإعادة العمل على TV، DVDs، CDs، MP3s، راديو على شاشة LCD كبيرة وباستطاعة المستهلك الحصول على ألعاب على الشبكة Online gaming والقدرة على تسجيل الصوت والفيديو من أي مكان على الشبكة. وبذلك يتخلص المرء من رفوف الـ Hi - Fi والـ CDs والفيديو وغيرها.

ويقول إريك ستيب مدير المبيعات في شركة (إنتل) "مَنْ مِنَ المستهلكين لا يريد صورة شبيهة بصورة السينما وموسيقى وألعاب جميعها في جهاز واحد"... "أنا لا أريد أكواماً من الأسطوانات في غرفتي".

لكن مجلة New Scientist تقول "إن لكل ذلك مساوئه، فالجهاز الذي سيأتينا بكل هذه الإيجابيات سيجلب معه كل مساوئ وسلبيات الـ PC" فهمها تم تحسينه سيبقى بطيئاً ومعرضاً للعطب وعلى المستهلك أحياناً كثيرة طلب مساعدة أخصائيين لترتيب وتبويب وتصنيف المعلومات الجديدة. وإذا هاجم فيروس واحداً من محتوياته كالـ DVD مثلاً فسيُعدي باقي الأجهزة أيضاً. ويقول معلقون من شركات الأجهزة الموسيقية وغيرها إن المستهلكين لأجهزة الكومبيوتر الجديدة سيتعرضون لخيبات أمل كبيرة.

والحال أن مايكروسوفت وإنتل أنتجتا السنة الماضية ما يكاد يشبع طموحاتهما. فشركة مايكروسوفت أنتجت جزءاً من برامجها XP وسمّته Windows Media Center لتسجيل وسماع الموسيقى والفيديو من خلال الكومبيوتر الشخصي كما يمكنه الاتصال ببطاقات الراديو والتلفزيون. وأصبح ذلك ممكناً بواسطة ما أنتجته إنتل من رقاقات سمّتها "Express Chipset" لتعمل مع برامج مايكروسوفت، والتعامل مع شركات الموسيقى مثل "itunes" الجديدة على الشبكة، ولكن السلبية هي في أن إعادة تشغيل الموسيقى والفيديو من الـ Hard disk بعد تسجيلها من الإنترنت يبقى بطيئاً ويأخذ وقتاً طويلاً كما يجب ترك الجهاز مفتوحاً لتسهيل هذه العملية مما يزيد من مخاطر تعرض الكومبيوتر لهجمات الفيروس. ويقول بعضهم إن الأفضل هو شراء جهاز خاص بالتسلية. وهذا ما تفعله شركات الفيديو والـ "Hi - Fi" من خلال إدخال الكومبيوتر إلى منتوجاتها، محاولة بذلك منافسة الشركات الأخرى العملاقة رغم عدم وجود توازن في عملية التنافس هذه.





### سوزان با عقيل

سوزان با عقيل، مصورة سعودية محترفه تعمل في جدة منذ سنوات. من أبرز مجالات تصويرها البورترية. درست التصوير في الولايات المتحدة. عضو في عدد كبير من جمعيات التصوير السعودية والعربية والعالمية. أقيمت لأعمالها معارض عديدة في المملكة والخارج، ونالت جوائز عالمية منها جائزة المركز الثاني في مسابقة الأمم المتحدة عام 1993م.

**اليد على الزهرة،**
**والزهرة على اليد.**
**اللون يجمع ما**
**يفرقه الشكل.**
**واللون عبد النور.**
**والصورة منه.**



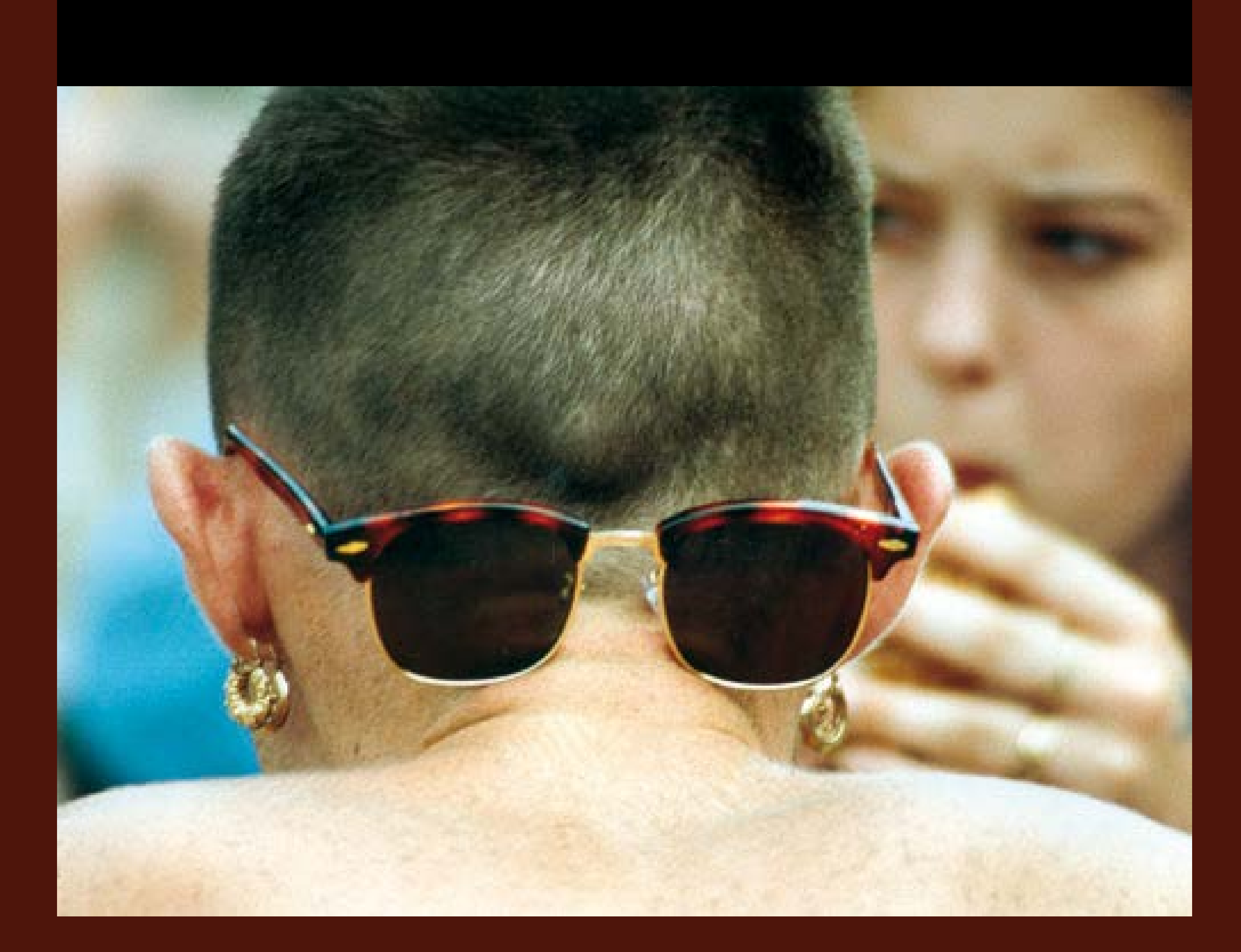





ليس خلف كل نظارة
عيون، وليس خلف كل
عدسة مصور.

والفتاة رأت وشاهدت
كل شيء من ثقب
بالجدار وضحكت!







السعف أو الحديد يحملانك
إلى رحاب السماء، سيان.
..والجسر الخشبي للعبور لا للجلوس
وأنتم الأطفال من تعبرون.



# التنكر بملابس الكرام..

قيل في البدء إن اعتماد الأسماء الأجنبية للمحلات التجارية والشركات يأتي من باب تشجيع السياحة وتسهيل الأمور أمام السياح الأجانب.

ظهر هذا "المنطق" في لبنان قبل خمسة أو ستة عقود من الزمن. وكان من الممكن تفنيد صحته بسهولة من خلال الإشارة إلى أن بلداً مثل اليونان يستقبل سياحاً أكثر مما تستقبل الدول العربية مجتمعة، وحروف لغته الوطنية خاصة به لوحده، ومع ذلك فمن النادر جداً أن يجد الزائر اسم متجر أو شركة في العاصمة اليونانية مكتوب بلغة أوروبية أخرى. ومع ذلك لم يتم تفنيد هذا "المنطق"، بل راح يحقق الانتصار تلو الآخر على حساب شخصية المدينة العربية.

اختفت "البقالة" ليحل محلها "السوبرماركت" و"الميني ماركت"، وتكاثرت الأسماء بالفرنسية والإنجليزية.. ومؤخراً بالإيطالية، وحتى الإسبانية بعدما شاعت الأسماء بتلك اللغات، ولم تعد تشبع رغبات الساعين إلى الاختلاف والظهور بمظهر "المتطور" اللافت للنظر في "تقدمه" على الآخرين..!؟

حاولت القوانين أن تسعى إلى الحد من تفشي هذا الوباء.. فنجحت جزئياً هنا أو هناك. إذ، ما العمل عندما تكون الشركة أو المؤسسة التجارية أو المطعم مجرد فرع لشركة أجنبية؟ ثم هل يمكن للقانون أن يمنع صاحب متجر أن يستوحي اسم متجره من اسم مسلسل مكسيكي مبتذل؟ أو أن يحصر استخدام لازمة "كو" ببعض الشركات دون غيرها فيحول دون تحوّل "دكان سيّد" إلى "سيّدكو" و"إبراهيم" إلى "إبراهيمكو"؟

كان يفترض في "الثقافة" دون غيرها أن تتولى دعم القانون في هذا المجال. ومع ذلك...

ها هي معظم أسماء المطاعم بالإنجليزية من المحيط إلى الخليج، ومتاجر الملابس بالإيطالية والفرنسية، ناهيك عن فروع الشركات الصناعية التي لا ناقة لنا فيها ولا جمل ولا حيلة في معالجة أسمائها. حتى إن الاسم العربي "انقرض" تماماً في بعض أسواق بيروت مثلاً، وهو على طريق الانقراض في شوارع أخرى وعواصم عربية أخرى. وبصيص الأمل بإنقاذه يتضاءل يوماً بعد يوم. ففي بعض المدن العربية المتمسكة بقوة بهويتها والأقل "انفلاشاً" في انفتاحها على الثقافات الغربية والاستهلاكية مثل دمشق، نجد أن الاسم العربي لا يزال حاضراً بقوة، ولكن الأسماء الأجنبية بدأت تطلّ برأسها هناك. صحيح أن هذه الإطلالة لا تزال خجولة (وربما في بدايتها)، ولكنها تكفي للتساؤل: "حتى دمشق؟".

فبعد سقوط "المنطق السياحي"، تطل علينا اليوم "العولمة" كشعار يبرر للمحللين تفشي هذه الظاهرة الوبائية، ويساعدهم على إعطاء صبغة ثقافية لتفسيرها.. ولكن الواقع هو غير ذلك تماماً. الواقع هو أن الأمر لا يتعدى كونه انسحاقاً ثقافياً ناجماً عن عُقد النقص والتنكر بملابس "الكِرام" سعياً إلى التشبه بهم.. والأمر ليس فضيلة، إنه مثير للنفور.. ولشيء من الشفقة.

عبود عطية

تحفل علاقة الأهل بأطفالهم بشتّى أنواع الأسئلة. وعلى الرغم من أن هذه الأسئلة تظهر في سياق الأمنية الواحدة التي يمكن اختصارها بتوافر "الأفضل" للطفل، فإن الإجابات عنها تتعدد وتتضارب بدءاً بحجم الانشغال اللازم بالأطفال وصولاً إلى أهمية الدمى التي تقدم لهم. فماذا يحب الأطفال، وما هو المستوى السليم لانشغال أهلهم بهم؟
القافلة تعرض هنا لأربع وجهات نظر مختلفة من جدة وبيروت ولندن.

# الأطفال..
## بين ما يحبونه وما يحبه الأهل



**أيهما أهم في حياتك: الحقيقة، أم الجمال؟ سؤالٌ قد يبهت الكثير منا قبل أن يجيب عنه بتفصيل يليق بعمقه، ولكن جون دافيز لا يعترف بصعوبته؛ ولهذا يطرحه في هذه السنة كسؤال لكل أطفال العالم، ضمن مسابقة فلسفة الأطفال الأمريكية (Kids Philosophy Slam) التي ابتدأها منذ العام 1998م. في موقع المسابقة على شبكة الإنترنت، تكشف الأعمال الفائزة في السنوات السابقة عن نسيج متنوع من التفكير، يجمعه فقط الاختلاف، وكأنما كانت أرضية المسابقة الافتراضية ممثلة عن قيم الحضارة التي تقبل الاختلاف بين ثقافاتٍ متعددة، كوسيلة للوصول إلى التناغم بين أجزائها.**

إذن، ماذا لو تقدمنا بهذا السؤال، إلى معلم من معلمي الصفوف الابتدائية، وسألناه عما إن كان ملّائماً كي يطرحه على تلامذته؟

غالباً، سيكون الرد بالسلب، ولربما تطوع أحدهم وشرح لك بأنه وهو البالغ الراشد لا يستطيع الإجابة عن سؤال فلسفي كهذا بمثل هذه السهولة، فماذا عن طفل من الجيل الحالي، الذي لا ينشغل إلا بالبي بليد، وأبطال الديجيتال، والألعاب الإلكترونية.

ولكن، لن يتطوع أحد، كي يدافع عن الطفولة الغائبة بتفاصيل جمالها، والحاضرة بزخم اهتمامنا بها.

فلماذا نحصر أطفالنا في زاوية ضيقة، ولماذا نفسر عدم قدرتهم على الإبداع، ببساطتهم، ونصرٌ على تنميطهم، ونقدم لهم وجبات ثقافية جاهزة لنرغمهم على البقاء في صفوف متشابهة لا اختلاف فيها، ثم نعود لننعى على شبابنا عدم القدرة على الإبداع، وكأنما هذه القدرة وظيفة تنشأ من العدم حال مغادرة المرء لطفولته؟

لو تأملنا أكثر في حال الطفل العربي اليوم، وتركنا جانباً النظريات العامة لندخل في التفاصيل الحميمة لنشأته التي يكمّل بعضها بعضاً ليكون شاب الغد، لوجدنا في متن النصوص الأربعة الآتية إجابات تدهشنا في توافقها على رفض أكثر السلوكيات شيوعاً في علاقات الأهل بأطفالهم، وإضاءة على أسئلة غالباً ما يتم تلافيها بالهروب إلى النمطية والقوالب الجاهزة والرائجة لإدارة مثل هذه العلاقات.



## 1 افتراضات المجتمع لما يحبه الأطفال

**فالي مرهج**

**قبل سنوات خمس، كنت تستطيع شراء كتب في أمريكا بعناوين مثل: "كيف يكون طفلي موهوباً؟" أو "علّم طفلك المهارات ليصبح موهوباً" رغم أن كل الآباء يعتقدون بأن أطفالهم حديثي الولادة هم الأجمل والأذكى.**

إذن، ما دام طفلك هو الأذكى، لم عليه أن يتعلم كيف يصبح موهوباً؟

عندما ينمو الطفل، يبدأ والداه في إدراك أن طفليهما لم يكن أعجوبة، ويكتفيان بعدها بالتمني أن ينمو طفلهما بصورة طبيعية. لا بل أذكر ذلك الأب الذي يعمل أستاذاً في جامعة وقال ذات مرة: "كل ما أتمناه هو ألا يصبح طفل من أطفالي مجرماً".

> منذ أواخر القرن العشرين بدأنا بمحاولة حثّ الأطفال على التعلّم المبكر، ولكن رغباتنا تخطّت حدود المعقول وبدأنا في المبالغة

قبل قرونٍ مضت، لم يكن أحد يعتقد بأن الأطفال في سنواتهم المبكرة الأولى التي تسبق دخولهم المدرسة، قد يستجيبون لمؤثرات تحثهم على التعلم. وكان بيستالوزي أول عالم سلوكي يثبت قدرة الصغار في هذه المرحلة على ذلك.

وفي نهاية القرن العشرين، بدأنا بمحاولة حث الأطفال على التعلم المبكر. ولكن رغبتنا في أن يتعلم الصغار تخطت حدود المعقول، وبدأنا في المبالغة.

من يريد غرفة الطفل المطلية باللون الأزرق الفاتح ومزينة برسومات الدببة؟
الوالدان!
من يريد رداء النوم المزين برسومات ميكي ماوس لطفلنا؟
العمة!
من ابتاع الدمية الضخمة التي يصل طولها إلى متر ليكون للطفل مرافق في غرفة النوم؟
الجدة!
من ابتاع السيارة الإلكترونية التي تتحرك في أنحاء المنزل وتزعج الجيران؟
الجد!
هل يحتاج طفلنا إلى كل هذه الأشياء، ليتعلم؟ وليتعلم ماذا؟
..
وسائل الإعلام والإعلان ترينا الطريق إلى ما هو الأفضل لطفلنا. والأطفال يتعلمون ما هو الأفضل لهم عن طريق الإعلانات التجارية في التلفزيون!

ولكن، ما هو فعلاً الأفضل له؟ الأفضل لنموه ولتطور سلوكياته وفضوله ورغبته في التعلم وإبداعه، وحبه لوالديه وعلاقاته مع الآخرين؟

أين يستطيع الطفل تعلم كل هذه المهارات؟ من الغرفة الزرقاء ذات رسومات الدببة؟ من رداء النوم المزين بميكي ماوس؟ من حصوله على كل شيء يطلبه؟ من جلوسه أمام الكمبيوتر وتصفحه لشبكة الإنترنت من دون حدود؟






محلات بيع لعب الأطفال تنصاع لرغبات الأهل..

لماذا يجب عليه التعلم في المدرسة؟ طالما أنه يستطيع التعلم من الإنترنت؟
لأن ذلك يحوله إلى موهوب! ولكنه لا يتعلم مطلقاً بذلك ما الصواب وما الخطأ.

### ما يحتاجه الأطفال؟

يحتاج الأطفال إلى عناية وإلى الأمان. هم يتعلمون من التقليد، ومن فعلهم للأشياء بأنفسهم، ولهذا، فعلى الآباء أن يمارسوا أمام أطفالهم كل ما يريدون أن يعلموهم إياه. وهذا لا يمكن أن يتم إلا إذا كان الوالدان موجودين لأطفالهما، قادرين على أن يمنحوهم من الوقت الكثير.

يحتاج الأطفال إلى مكان هادئ وصحي للنوم، وليس مكاناً يزينه آباؤهم كما يريدون. يحتاجون كذلك إلى أكل صحي وطازج ليأكلوه، وكذلك يحتاجون مساحة واسعة والانطلاق في الطبيعة تحت أشعة الشمس، وفي الهواء الطلق، وأمام المياه كي يلعبوا ويتعلموا في آنٍ واحد. الطبيعة تعلم أطفالنا النظام والانسجام.

أطفالنا ينبغي أن ينموا، ومعهم تنمو أحلام وأمنيات.
هل نستطيع أن نعطي كل الأعمار كل ما يريدون؟
هل نستطيع أن نعطي الصحة لأمٍ تموت؟
هل نستطيع أن نعطي الأطفال المُحيطين بطفلنا عواطف ليقبلوه بينهم؟
هل نستطيع أن نؤمّن مستقبل طفلنا، فنجد له عملاً، ونتأكد أنه سيعيش في سلام؟

على أطفالنا أن يتعلموا أن هناك أياماً مشرقة، وأخرى صعبة في حياتهم. عليهم أن يعملوا جاهدين للوصول إلى أيامهم المشرقة، وعليه أن يتعلموا كيف يتجنبوا الملل وكيف يجعلون حياتهم مثمرة. على أطفالنا أن يكونوا صادقين مع أنفسهم، مخلصين، وعليهم أيضاً أن يهتموا بأمر الآخرين، لأن البشر لا يستطيعون العيش لوحدهم.

من ناحية أخرى، على الآباء والأمهات أن يتعلموا كيف يمنحوا الحب لأطفالهم، وكيف يعطوهم الوقت، ويمسكوا بأيديهم ليصاحبوهم إلى أي مكانٍ يذهبون إليه. عليهم أيضاً أن يتعلموا كيف يحاورون أطفالهم وكيف يصغون إليهم بانتباه، بآذانٍ منصته، وقلوبٍ مفتوحة لكل مشكلاتهم.

الأسرة المحيطة بالطفل من جديه وأعمامه وأخواله، وكذلك جيرانه ومعلميه هم مساعدو الوالدين في عملية نموه، كي يكبر الطفل في مجتمع محب وبنّاء ويغدو طفل اليوم شاب المستقبل متحملاً لمسؤولياته، محباً لمن حوله، مبدعاً في عمله، صادقاً في تعاملاته.

## 2 في عصر القلق.. هل نحن شديدو الانشغال بأولادنا؟

**مها قمر الدين**

**هل سنظل نتحسّر على أيام زمان؟ ففي أيام زمان كان الأكل صحّياً أكثر وكان الإنتاج طبيعياً أكثر من إنتاج أيامنا هذه، وكانت الناس على درجة من البساطة والطيبة أعلى بكثير مما هي عليه أناس هذه الأيام، حتى الحياة نفسها كانت أقل تعقيداً وأكثر سلاسة من حياتنا الحاضرة.**

ولكن هل يمكننا القول بأن تربية الآباء لأولادهم كانت أفعل وأكثر ملاءمة من التربية الحديثة، ومع ما لدينا من مدارس متطورة مجهزة بأفضل التجهيزات وكل سبل الاتصالات والمعلومات التي يمكن أن تفيدنا في مجال التربية، ونحن الذين نتمتع بدرجة عالية من العلم والمعرفة ؟ والجواب هو التأكيد على أن هناك نواحي عديدة كانت التربية فيها أفضل بكثير مما هي عليه اليوم. فقد أصبحنا شديدي الانشغال بأولادنا، إذ أن هناك قلقاً يلازم الأهل في كثير من المواضع المتعلقة بأولادهم، مثل اختيار الحضانة والمدرسة المناسبة، وكيفية حمايتهم من المخاطر التي قد تصادفهم مثل القضايا المتعلقة بالعنف والمخدرات الخ..، وأيضاً تأمين كل ما هو حديث من ألعاب جديدة وحاسوب متطور وإنترنت إلى ما هنالك من أمور، ناهيك عن الحرص على إدخال الأولاد في نوادٍ ونشاطات لا مدرسية مثل الرسم والسباحة ولعب الكرة وشتى أنواع الرياضة.

يعود هذا الاهتمام المفرط إلى عدة أسباب تعرض إلى بعضها الدكتور اندرغ في كتابه "قلق كل الوقت: التربية الزائدة في عصر القلق وكيفية وقفها".

والدكتور اندرغ هو معالج نفسي للأطفال وأستاذ في علم النفس في كلية بنغتون في الولايات المتحدة الأمريكية. وهو يقول إن السبب الأول يعود إلى أنه مع تقدم المجتمعات وتطورها وازدياد مستوى التحصيل العلمي لدى الشباب، ارتفع عمر الزواج ممّا أدّى إلى نسبة عالية من الآباء الأكبر عمراً من آباء الجيل السابق. ومن الطبيعي أن يكون لدى هذا النوع من الآباء مستوى أعلى

من النضج يولّد لديهم شعوراً بالمسؤولية والحرص على أبنائهم وتقديراً للأمور أكثر بكثير مما قد يحدث في سن أصغر. والسبب الثاني يعود إلى أنه بسبب الأحوال الاقتصادية المتأخّرة وكثرة متطلّبات الحياة العصرية، فقد صغر حجم العائلة من حيث عدد الأولاد إذ أصبح يقتصر إجمالاً، على ولدين أو ثلاثة لا أكثر. أما السبب الثالث فيعود إلى الانفتاح الإعلامي الهائل وكثرة وسائل الإعلام المتداولة التي طالما تسلّط الضوء على مشكلات قد تواجه أولادنا مثل العنف والمخدرات ومشكلات اجتماعية أخرى. وهذا ما أدى بالأهل إلى القلق والخوف وشعورهم بالحاجة إلى حماية أولادهم من كل تلك المخاطر.

## نتائج عكسية للاهتمام المفرط

ولكن كل هذا الاهتمام قد يؤدي في كثير من الأحيان إلى مفعول عكسي قد يضر بالطفل ويولد لديه الشعور بالاتكالية وعدم المقدرة على التقدم ومواجهة الحياة بمشكلاتها ومصاعبها المتوقعة. فبهذه الحماية المفرطة نكون قد منعنا طفلنا من خوض تجارب يمكن أن تمدّه بكثير من الفائدة، جرّاء الخبرة التي تقدمها له مما يؤدي إلى تعزيز ثقته بنفسه. أما المحاولات الكثيرة لإشراك الطفل في نشاطات قد لا يكون له الاهتمام بها وشراء الألعاب الكثيرة له أساساً لمجرّد الظن أنها ذات فائدة وأنها تؤدي إلى زيادة معارفه وزيادة دائرته الاجتماعية وتساعده على تمضية وقته، فإنّه يؤدّي في كثير من الأحيان إلى تحطيم مقدرة هذا الطفل نفسه على استخدام مخيلته من أجل ابتكار ألعاب قد تعطيه المتعة والتسلية والإفادة الضرورية له.

**الاهتمام الزائد يؤدي إلى مفعول عكسي. ودفع التجارب تحت مراقبتنا، يجب أن يؤدي في حال نجاحها إلى توسعة حدود حركة الطفل**

ولهذا السبب، نجد أن الملل والحيرة فيما يفعل الولد في أوقات فراغه يتسربان إليه، مما يؤدّي به إلى التذمر لدى أهله بأن ليس لديه ما يلعب به. وهذه مشكلة متفشية جداً بين أولاد اليوم ويتذمّر منها معظم الآباء، من دون أن يعلموا أنهم هم أنفسهم قد أسهموا في خلق هذا الشعور السلبي لدى أطفالهم.

إلا أن هذا يجب ألا يدفعنا إلى القول بأن نترك الأولاد كي يطوّروا أنفسهم بأنفسهم، وعدم الاهتمام بهم هو الحل. ولكن الحل هو الاهتمام المعقول وتنشئة الأطفال في جو من الاعتدال والحرية. فبدلاً من الحماية المفرطة ومنعهم من خوض تجارب الحياة بمعظمها يمكننا أن نرسم حدوداً لهم قابلة للتعديل مع تقدمهم في العمر. وهذا ما أشار



إليه باحث اجتماعي آخر هو جيم تايلر في كتابه "الدفع الإيجابي: كيف تنشئ طفلاً ناجحاً وسعيداً؟".

يقول تايلر ما ملخّصه إنه بما أن قلة الخبرة لدى الأطفال لا تمكنهم من التمييز ما بين ما هو خطر وما بين ما هو آمنٌ، بل إن فضولهم الطفولي قد يدفعهم إلى وضع أنفسهم في مواقف ليس لهم القدرة على التحكّم بها مما قد يجرهم إلى تجارب فاشلة قد تخلق لديهم العقد النفسية وتضع أمامهم العقبات في المستقبل، الأمر الذي قد يعوقهم في الاندفاع وتحقيق الأهداف. لهذا يجب أن ندفع التجارب أولاً تحت إشرافنا ومراقبتنا، فمثلاً عند زيارة أية حديقة عامة قد يعطي الأب لطفله بعض النقود لشراء الحلوى من كشك قريب ويظن الفتى أنه بمفرده ولكن الأب يراقب من بعيد. يعتقد الطفل أنه قد أتمّ المهمّة بمفرده وتكون هذه التجربة قد أعطته الثقة بقدرته على الاكتشاف وإنجاز الأمور بنفسه. وهكذا، كلما ارتاح الطفل في الحدود التي وضعناها له كلما اضطررنا إلى مراجعة الحدود وتوسيعها قليلاً من أجل إعطاء الفرصة له لخوض تجارب جديدة واكتساب الطاقات والمهارات الضرورية.

وهكذا، بدلاً من أن نرهق أنفسنا وجيوبنا أيضاً في شراء الألعاب الكثيرة وعناء إشراك أطفالنا في النشاطات المختلفة التي قد تدفع بنا إلى أن نقضي قسطاً كبيراً من وقتنا في العمل كسائقين نقوم بخدمتهم، يمكننا أن نسترخي قليلاً ونأخذ الأمور ببساطة أكثر ونترك أولادنا يلعبون بمفردهم أو مع إخوتهم أو مع أصدقائهم؛ لأنهم قادرون على ابتكار ألعاب يمكن أن تنمّي لديهم مخيلة واسعة وتحثّهم على اتخاذ المبادرات والقرارات هم بأنفسهم بدلاً من أن نأخذها نحن إنابة عنهم. وهذا ما قد يساعدهم في التحكّم بحياتهم المستقبلية وتقرير مصيرهم في وقت يمكن ألّا يجدونا نحن بجانبهم.





# 3 اختيار اللعبة.. مسؤولية

رياض ملك

**هذا العام كما في كل عام، ستصرف الملايين في البلدان الغنية كما في الفقيرة، على لعب الأطفال من جميع الأشكال والألوان والأنواع ولمختلف الأعمار. ملايين أخرى ستصرف على تزيين غرف الأطفال من ورق جدران، وصور، ودمى، وديكورات.**

وفي كثير من الدول، نجد أن من النادر أن يشترك الأطفال، من تصرف هذه الملايين لأجلهم، في اتخاذ القرار المتعلق باختيار الألعاب أو زينة الغرف، سواء لاعتبارات السن أو لرغبة الأهل في مفاجأة الطفل بما اشتروه له. ولكن، هل قرارات الوالدين والأقرباء دائماً صائبة في اختيار ألعاب الأطفال؟ هل نعرف فعلاً ما يحب الطفل أو ما يناسبه، أم أننا لا شعورياً نختار من الألعاب ما نفترض من دون تمحيص أنها توافق هوى الطفل، لمجرد ألوانها الجذابة وبهرجة أشكالها؟

**الطفل يعرف بغريزته إن كانت هدية الأهل تهدف إلى إلهائه عنهم، أم هي تعبير عن محبتهم له.. والفارق بين هذا وذاك كبير**

## ألعاب، وقوانين

بفضل الأبحاث التي أجريت في الخمسين سنة الماضية حول سيكولوجية الطفل، فإن ما نعرفه اليوم عن الطفل واهتماماته هو أكثر بكثير مما كان يعرفه أجدادنا وأجدادهم، ويتضمن ذلك الأبحاث التي أجريت حول اللعب والألعاب والتي تساعد الوالدين على تلمس طريقهم للوصول إلى خيار سليم يراعي مصلحة الطفل واهتماماته، ويساعد في نموه الجسدي والنفسي والإدراكي في الوقت نفسه.

فقد أجمع الباحثون على أن اللعب يشكل الباب الواسع الذي يدخل عبره الطفل إلى عالم معرفي ينمي فيه قدراته العقلية ويكتسب الخبرات الاجتماعية. ولهذا، اهتم الباحثون بإصدار توصيات عملية للمربين تتضمن كيفية اختيار الألعاب والنشاطات لأطفالهم، ومن أهمها أن يراعي المربي في اختياره للعبة سن الطفل ومرحلة نموه، فاللعبة المبسطة التي لا تتحدى ذكاء الطفل تصرفه عنها وتتسبب في ملله، بمقدار ما تحبطه اللعبة المعقدة التي تتجاوز صعوبتها قدراته العقلية أو الجسدية في تلك المرحلة.

وينصح الباحثون أيضاً بأن تكون اللعبة المختارة بنّاءة وذات استعمالات متعددة؛ لأن مثل هذه الألعاب تساعد الطفل على تنمية مهاراته الطبيعية بالإضافة إلى كونها مسلية، فمثلاً طفل السنتين يفضل الألعاب التي يستطيع أن يرى في نهايتها ثمرة لعبه، كالمكعبات التي يستطيع من خلالها بناء أشكال مختلفة من البيوت والقلاع، أما تلك الألعاب التي تكرر نفسها في كل مرة كتلك التي تضيء كلما ضغط الطفل على زر معين فيها، فإن الطفل يفقد اهتمامه بها بسرعة نظراً لمعرفته بنتيجتها سلفاً.

ويوصي الباحثون المربين بالالتفات إلى عامل قد يعتبره الكثيرون بديهياً ولهذا لا يمنحوه كثيراً من الاهتمام، وهو أن تكون اللعبة آمنة، خاصة بالنسبة للأطفال في السنوات المبكرة من عمرهم، فهناك دمى رخيصة الثمن لا تتوافر فيها شروط الأمان والسلامة وقد تتسبب في مآسٍ حقيقية يمكن تجنبها، أو تلك الألعاب التي صنعت خصيصاً للأطفال فوق سن الثالثة، وكُتب الفئة العمرية المناسبة للعب بها ضمن الإرشادات التي تتضمنها، ولكن الآباء لا يلقون بالاً إلى هذه النصيحة فتكون العاقبة وخيمة.

والنصيحة الأخيرة التي يتفق عليها الجميع هي أن ينظر الوالدان إلى اللعبة بعيون الطفل لا بعيون البالغين. فهناك لعب معقدة في تركيبها، لا يمكن للطفل أن يستخدمها بمفرده. ومن المفيد في سنوات الطفولة المتأخرة أن يشارك الطفل في اختيار ما يريده من الألعاب، أو أن يعطى خيارات محددة؛ لينتقي منها، ضمن ميزانية الأسرة، فهذا لا يضمن للأسرة أن الطفل راضٍ عن لعبته فقط، وإنما ينمي لديه أيضاً القدرة على اتخاذ القرار، ومعرفة اهتماماته الشخصية، وكذلك تحمل مسؤولية قراراته.

وفي النهاية، لابد للأهل من أن يتذكروا أن الأطفال كالراشدين، لهم شخصيات مختلفة، فما قد يبدو مسلياً ومثيراً لاهتمام طفل ما، قد يبدو مملاً ومعقداً لطفل آخر، وقد لا يلتفت إليه، لذلك فإن عملية اختيار الألعاب يجب أن تُبنى على متابعة الأهل عن قرب لأطفالهم للتعرف المبكر على شخصياتهم ومدى اختلافها. والأهم من هذا كله هو إدراك الأهل أن اللعبة يجب أن تكون دليلاً على محبتهم للطفل لا بديلاً عنها، فالطفل يدرك بغريزته إن كانت هدية الأهل تهدف إلى إبقائه مشغولاً عنهم، أو تعبيراً عن اهتمامهم ومحبتهم له، والفارق بين هذا وذاك، كبير.

# 4 ألعاب وأفكار..

فاطمة الجفري

**أليس من الغريب ألا نجد في حديث علماء سيكولوجية الطفل، من يوصي بباربي وعائلتها، أو بالأنواع المختلفة من الدببة التي تغرق غرف أطفالنا بسيولها، أو بأي من الأنماط التي تسود لفترة في ثقافة الطفل المعلبة؟ ألا تخطر باربي أو صورة التيدي بير برأس غالبية من يسمع عن لعب الأطفال؟ لربما كانت هناك زوايا أخرى ينظر إليها الباحثون، تختلف عن الصورة البسيطة لروعة باربي أو براءة التيدي بير.**

## الدببة و.. بدائل أخرى !

ماذا نتوقع أن نجد في غرفة طفل في الخامسة من عمره، يعيش في جدة مثلاً؟! دببة، ودببة، ودببة.. فوق الرفوف، وبجانب السرير، وتحته، إن لزم الأمر!

إن عدنا إلى الجانب النظري مما يقوله الباحثون، فإن اللعب هو الطريقة المثلى للطفل، كي يتفاعل مع بيئته، يعرف عنها أكثر، ويفهم ما حوله ومن حوله بطريقة أفضل. ماذا سيكون رد باحثة ككارولين برات، التي أمضت عمراً بأكمله في التعلم عن نفسية الطفل عن طريق ملاحظة الأطفال يلعبون بالمكعبات الخشبية، إن وجدت مثل هذه الأكوام من الدببة، بدلاً من المكعبات التي تفترض أنها وحدة اللعب الأساسية؟ ففي مدرسة City Country School في نيويورك، والتي أسستها هذه الباحثة في أربعينات القرن الماضي، يتعلم الأطفال من سن الثانية وحتى الثامنة في مراكز للعب تعتمد أساساً على المكعبات الخشبية. ولا يتعلق الأمر بمجرد وجود دب أو اثنين في متناول يد الطفل فهذا يضفي تنوعاً على نوعية لعبه، ولكنه يتعلق بسيطرة مثل هذه اللعبة البسيطة على بيئة الطفل، كمثال على تبعية الأهل أحياناً للأنماط السائدة في لعب الأطفال، دون أن يضعوا في الاعتبار أهمية اللعبة كرمز أصيل من البيئة المحيطة. كيف نستطيع أن نعلم الطفل كيفية التفاعل مع بيئته والمجتمع المحيط به، إن نحن قدمنا له رمزاً وحيداً كالدببة مثلاً لا يجده إلا على شاشة التلفزيون أو في حديقة الحيوانات، وتركنا ما ينصح به الباحثون في الكتب المتخصصة بسيكولوجية الطفل، أو حتى تلك التي تختص بتصميم غرف الأطفال، كالمكعبات والأحصنة الخشبية؟

لنأخذ مثلاً، الحصان الخشبي كرمز تقليدي ضمن منظومة متعددة الرموز نحيط بها الطفل كي نحرره من قيد النمطية، فالحصان الخشبي يمثل تجسيداً لثقافة عربية نحرص على زرعها في نفوس أطفالنا، ويستطيع أن يقدم للطفل مساحة واسعة من اللعب التخيلي الذي تختلف نتيجته ونوعيته في كل مرة يمارس فيها، والطفل هنا هو مصمم الديكور، والممثل، والكاتب، والمخرج، وصانع القرار، وهو مع كل هذا وذاك، فارسٌ لا يشق له غبار، فأية تعددية تقدمها لعبة كهذه؟ وفي الوقت نفسه، فإن الألعاب الخشبية أياً كان شكلها، تنمي الجانب الحسي لدى الطفل؛ لأنها تقدم سطحاً مختلفاً عن الأسطح البلاستيكية المتشابهة، وقد تنتقل من ملكية جيل إلى جيل آخر في نفس العائلة مع احتفاظها برونقها وعوامل جذبها للطفل.

## قليلاً من التعددية

ربما يستطيع القارئ أن يراها معي.. فتاةٌ جميلة لا تتجاوز السابعة، بعيونٍ سوداء كحيلة، وسمارٍ عربي أصيل، تحاور ألوانها الخشبية كراس تلوين ما.

نقترب أكثر، لنرى بعضاً من صفحات كراسها.

في دفتر التلوين، نجد فتيات لوّنت شعورهن باللون الأصفر الفاتح، وعيونهن بالأزرق أو الأخضر. نقلب الصفحات، نحاول أن نجد فتاةً بعيونٍ سوداء كحيلة، أو سمار عربي أصيل، فلا نجد.

أهؤلاء من يفترض بفتاة السابعة أن تتوحد معهن، وترى انعكاساً لصورتها في صورهن؟

لنترك دفتر التلوين، ولنبحث في خزانة ألعابها عن دميتها المفضلة. لتكن باربي، أو غيرها، ليست هذه القضية، ولكن ما يخشى منه أن تمتلئ خزانة ألعابها بدمى على نمط باربي، عارضة الأزياء الحسناء ذات الجمال الملون، ثم، نطلب من فتاتنا السمراء، أن تحافظ على صورة جسمها من الاختلال، وأن ترضى عن صفاتها وترى الجمال فيها، بدلاً من التوحد مع دمية تراها مثالاً للجمال، وتدرك جيداً مع هذا أنها تختلف عنها في صفاتها الجسمانية كل الاختلاف.

> **الحل في الموازنة بين ما نريد لأطفالنا وما يريده أطفالنا وما تقدمه أدبيات العولمة لنا**

بينما لا نلتفت كأهالي إلى وجوه جديدة ظهرت على ساحة الدمى العربية، منها تلك العلامة المشهورة على قنوات التلفزيون الكرتونية، والتي تشبه في صفاتها الخارجية وتصرفاتها الفتاة العربية.

لا نستطيع أن نمنع الأماني الخفية من أن تولد بداخل تلك الفتاة التي لم يقدم لها سوى نموذج واحد للجمال الملون. لم لا يكون شعري أشقر، لم لا يكون أنعم؟ لِمَ لَمْ أكن بيضاء البشرة، لم، ولم، ولم؟

هناك الكثير من الدمى التي تشبه صفاتها صفاتنا، وفيها جمال وإبداع قد لا نراه في النسخ المتكررة عن باربي وأخواتها. لم لا نضع تلك الدمى، بجانب تلك الدمى الملونة، ونمنح طفلتنا الصغيرة، فرصة في أن ترى أن للجمال أشكالاً متعددة، منها جمالها هي؟

لكل جيل، ثقافة مختلفة يعتز بالانتماء إليها، ولكن البعض يظن أن للطفولة ثقافة واحدة لا تتغير بتغير الزمان، فما زالت بعض القصص والبرامج الموجهة إلى الطفل تتعامل معه على اعتبار أن طفل التسعينيات كطفل القرن الواحد والعشرين، كطفل الثمانينيات والسبعينيات.. لا مشكلة. والواقع النظري والعملي يصر على أنها مشكلة، فالأبحاث تشير إلى أن مفهوم الصداقة ومدلولاتها يبدأ في التكون عند التحاق الطفل بمرحلة رياض الأطفال، وببلوغ الطفل السابعة، يكتمل فهمه لمعنى الصداقة، ويشعر بالنقص إن لم يكن لديه على الأقل صديق واحد من نفس المرحلة العمرية، وكيف لطفل السابعة أن ينشئ علاقة صداقة مع طفل آخر، أو مع جماعة، إن لم تكن لديه الثقافة ذاتها بمفرداتها وخبراتها ليتشاركها مع الآخر؟



pBase

والقارئ ربما يستطيع تذكر ثقافة الطفولة الخاصة به، من أغانٍ كان يكررها مع أصدقائه في الحي الواحد، وألعاب تقليدية، وخبرات في المناسبات الخاصة كالأعياد وغيرها. ثقافة الطفل اليوم تختلف، فأصدقاء الحي قليلون نظراً للانعزالية التي تعيش فيها أسرة اليوم، وأغاني الطفولة امتزجت مع المد الغنائي القادم من كل مكان، ودخلت أشكال جديدة للترفيه في المناسبات الخاصة لتقل رويداً رويداً أهمية العائلة والتقاليد القديمة. انتماء الطفل لثقافة أقرانه اليوم أصبحت تعتمد نسبياً على ما إذا كان الطفل خبيراً بالألعاب الإلكترونية، مطلعاً على المسلسلات الكرتونية الحديثة، وقادراً على أن يمثل في آنٍ واحد دور الطفل والبالغ، لأن الحدود بين تصرفات الطفل والشاب المراهق بدأت تقل تدريجياً بدعوى أن طفل اليوم يختلف.

في الحين ذاته، لا تزال مفردات الحضارة الحديثة غائبة نوعاً عن الخطاب الإعلامي العربي للطفل، فالمهرج الذي تغطي وجهه المساحيق لا يزال يستعمل المواقف المسرحية ذاتها التي لا تعتمد على الحبكة بقدر ما تعتمد على السخرية من غباء المهرج. ففي استفتاء وزع على عينة من طالبات دار الحكمة اللاتي تتراوح أعمارهن ما بين ثماني عشرة واثنتين وعشرين سنة، أجاب 80 في المئة من العينة سلباً عن السؤال إن كن أعجبن بالمهرجين في طفولتهن، وذلك لأن عروض المهرجين التي قدمت لهن كانت مملة وخالية من الإثارة. أما بعض البرامج التلفزيونية الحية الموجهة إلى الطفل فتقدم مهرجاناً من الألوان التي بكثرتها تشتت انتباه الطفل، وتمنعه من التركيز، هذا بالإضافة إلى سيرها في خط مرسوم سلفاً يطلب من المشاركين الطاعة الخالية من التلقائية على عكس نمط الترفيه الذي تجده الطفولة في ثقافتها اليوم.

فالخطاب الإعلامي في مسلسلات الكرتون المدبلجة باللغة العربية، مثلاً، وحتى الألعاب الثلاثية الأبعاد في الألعاب الإلكترونية، تقدم ثقافة رقمية مختلفة، فهي تقدم العنف المبالغ فيه جنباً إلى جنب مع مفاهيم الحق والعدالة، وبدلاً من القصص الإنسانية التي كانت تعزف على أوتار براءة الطفولة في أجيال ماضية، أصبح الإعلام يعزف على إثارة مشاعر الغضب وتبرير العنف بالرغبة في استعادة الحقوق المهدورة، والتركيز على القدرات الجسدية الخارقة كمرادف للقوة والشجاعة.

وبمتابعة بعض هذه المسلسلات والألعاب، يجد المرء نفسه وقد بهرته المناظر المصممة ببراعة، ولكنها لا تعوض فقر القيم والمعاني الإنسانية. وطفلنا الذي يبهره الإبداع المرئي، هو ذاته الطفل الذي يتأثر من الأعماق لرؤية منظر إنساني في مشاهد رواية كلاسيكية من مسلسلات الكرتون القديمة. إذن، هل الحل في أن نمنع عن تلفزيوناتنا المسلسلات الكرتونية المدبلجة التي أنتجت حديثاً، ونكتفي بذات الثقافة التي تربينا عليها قبل عقود، ونمنع عن أطفالنا تعلقهم بالألعاب الإلكترونية، ونجبرهم على الاكتفاء بالحصان الخشبي مثلاً بدلاً من المركبة الفضائية أو سيارة السباق الحديثة؟ الحل، رغم إغرائه، ليس حلاً عملياً، وليس في مصلحة طفلنا العربي أن يظل في قوقعة محمية، بدعوى حمايته من خطاب قد نراه مشوهاً ولا يخدم مصلحته. الحل، في الموازنة، بين ما نريد لأطفالنا، وما يريده أطفالنا، وما تقدمه أدبيات العولمة لنا. مساحة لمسلسلات الكرتون الحديثة، ومساحة للألعاب الإلكترونية، وفي الوقت نفسه، مساحة للعب التقليدي، ومساحة للحوار الحميم مع الأهل، ومساحة لرواية القصص الإنسانية التي تبني جنباً إلى جنب قيم الرحمة والإحساس بالآخر بالإضافة إلى قيم الحق والعدالة.



هل كل ما يفرح أطفالنا هو بالضرورة ملوّن؟









# سلامة الرحلات البرية ومتطلباتها

**خلال فصل الربيع تكثر رحلات الاستجمام إلى الصحراء والبراري. ولكن هذه الرحلات تتطلب جملة استعدادات وتدابير وقائية منها ما يساعد على الاستمتاع بها، ومنها ما يقي القائمين بها من التعرض إلى متاعب غير متوقعة قد تفسد الرحلة، أو تلحق ضرراً بصحتهم. حول هذه التدابير والاستعدادات يحدثنا خالد بن محمد البصري*.**

* باحث بيئي بالهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها

المحترف السعودي

## الملابس

تبدأ الاستعدادات للرحلة البرية باختيار الملابس، ويستحسن ارتداء القميص والبنطلون والجورب والحذاء. كما يستحسن أن تكون ألوانها فاتحة (البيج، الكاكي، الأخضر)؛ لأن الألوان الداكنة تزيد من امتصاص أشعة الشمس وترفع بالتالي حرارة الجسم. أما القبعة فيجب أن تكون بلون صارخ مثل الأحمر أو البرتقالي؛ كي تسهل رؤيتها من بعيد في حال ضياع الشخص.

1 القميص: يجب أن يكون من القطن الخفيف أو الثقيل حسب الأجواء ودرجات الحرارة المتوقعة نهاراً وليلاً. ولا ينصح أبداً باستخدام الحرير أو الصوف أو البوليستر. كما أن اصطحاب قمصان "فنيلة" داخلية يؤمّن مرونة أكبر في ارتداء اللازم والاستغناء عنه حسب تبدلات الحرارة الكبيرة جداً في المناطق الصحراوية بين الليل والنهار.

2 السترة: يفضَّل أن تكون طويلة. ويمكن أن تكون من القطن المبطّن بالنايلون عديم المسام حتى تساعد على الحماية من الرياح الباردة.

3 البنطلون: يفضل أن يكون من القطن واسعاً ومريحاً. وتتوافر حالياً في الأسواق بنطلونات متعددة الجيوب يمكن الاستفادة منها في حفظ الأشياء المهمة مثل الأوراق الشخصية والبوصلة وما شابه.

4 الجوارب: يجب أن تكون مريحة كيلا تعيق الدورة الدموية. ويفضَّل ألاَّ تكون بيضاء اللون، لأن اللون الأبيض تحت أشعة الشمس قد يجذب بعض أنواع الحشرات.

5 الحذاء: يفضَّل الحذاء ذو الساق حفاظاً على القدمين من الالتواء في الأراضي الوعرة، وأيضاً من لسعات الزواحف في المناطق العشبية. وإلا، فلا بأس في الأحذية الرياضية ذات النعال المطاطية للوقاية من الانزلاق خلال السير فوق الأراضي الصخرية.

6 القبعة القطنية: تعتبر ضرورية جداً لحماية الرأس من الشمس.

7 القفازات: إذا كانت الرحلة البرية تتضمن تعاملاً يدوياً مع الطبيعة كجمع الحجارة أو الاحتطاب، فيجب أن يتم ذلك بواسطة قفازين يقيان الكفين من الحشرات والعناكب التي تكون كامنة تحت الحجارة، أو حتى من الأعشاب البرية المؤذية لليدين.

إلى ذلك، يعتبر منديل القماش مفيداً جداً لا لتنظيف العيون والوجه، بل أيضاً لاستعماله كلثام يمنع استنشاق الغبار. كما أن النظارات الشمسية تعتبر بدورها ضرورة لحماية العينين من الضوء الباهر نهاراً في المناطق الصحراوية، ويجب أن تكون بها حماية من الأشعة فوق البنفسجية، وأن تكون عدساتها من البلاستيك لتفادي تحطمها في صدمات خفيفة محتملة.

pBase

## التغذية

يعتمد الكثيرون خلال الرحلات البرية والصحراوية على المعلّبات والمكسرات والمشروبات الغازية، لسهولة نقلها واستعمالها. ولكن لمثل هذا النوع من التغذية آثاراً سلبية على الصحة والجهاز الهضمي إذا كانت الرحلة البرية تدوم أياماً عدة.

لذا يجب التزود على الأقل بالفاكهة المجففة مثل الزبيب والتين والمشمش، إضافة إلى أنواع الفاكهة التي يمكنها أن تعمّر بضعة أيام خارج الثلاجة مثل البرتقال والتفاح. كما أن استخدام حبوب الفيتامينات المركبة بعد استشارة الطبيب يمكن أن يعوّض النقص المحتمل في فيتامين سي وفيتامين بي اللذين يحتاجهما الجسم يومياً.

إلى ذلك، يجب إيلاء ماء الشرب أهمية كبرى خلال الاستعداد للرحلة البرية. فحاجة الجسم إلى السوائل يمكنها أن ترتفع إلى نحو ستة ليترات يومياً في المناطق الحارة والجافة. ولا يمكن الاكتفاء في هذه الحال بالمشروبات الغازية أو الشاي والقهوة. بل يصبح الماء وبكميات كافية ضرورة لا غنى عنها.

## خلال الرحلة

إضافة إلى العادات الصحية اليومية مثل تنظيف الأسنان، وتقليم الأظافر وغسل الأرجل مرة على الأقل بالماء والصابون ووجوب اصطحاب كل مستلزماتها، تستدعي الرحلة البرية بعض التدابير الخاصة وأهمها:

1 حماية البشرة من الحروق، فالهواء يتسبب بجفاف البشرة، الأمر الذي يزيد من مخاطر احتراقها بأشعة الشمس. والمرطبات التي تباع في الصيدليات ودور التجميل يمكنها أن تؤمّن الحماية اللازمة من خلال حماية البشرة من الأشعة فوق البنفسجية، المسببة لسرطان الجلد، وأيضاً من خلال ترطيب البشرة بالزيوت التي تحول دون جفافها في الهواء.

2 تلافي استخدام الروائح العطرية والمواد المعطرة على البشرة والملابس؛ لأن العطور قد تجذب بعض الحشرات مثل النحل، وتنفر بعض الحيوانات البرية. إضافة إلى أنها قد تتسبب في جو حار وشديد الجفاف في تهييج الأغشية المخاطية في الأنف خلاف ما يكون المرء قد تعود عليه في المدينة.

3 إذا كانت الرحلة البرية إلى مكان مزود بإرشادات للتخييم، فيجب اتباع هذه الإرشادات والتقيد بكافة أحكامها.

4 إذا كانت الرحلة إلى مكان يفتقر إلى مثل هذه الإرشادات، فيجب اعتماد الحذر الشديد عند إشعال نيران التدفئة أو الطبخ. خاصة في الأماكن العشبية. ولذا يستحسن اعتماد "غاز التخييم" للطبخ، أو الفحم داخل موقد معدني جاهز. أما إذا استدعى الأمر إشعال الحطب، وهو أمر غير مستحب في كل الأحوال، فيجب أن يكون ذلك بعيداً جداً عن أي شكل من أشكال الحياة النباتية. وفي حال وجود نشاط هوائي ملحوظ، يجب الامتناع عن إشعال أي شيء في الهواء الطلق. كما يجب التأكد من إطفاء النار تماماً عند الانتهاء من استخدامها.



5 عدم الجلوس طويلاً بالقرب من الحطب أو الفحم المشتعل، لتلافي استنشاق جرعات مؤذية من غاز ثاني اوكسيد الكربون.

6 تلافي مد الأيدي داخل الجحور، وعدم التخييم بقربها إذا أمكن. لأن الجحور هي عادة مأوى الزواحف والقوارض والحشرات، والكثير منها قد يكون ساماً أو مؤذياً.

7 على القائمين بأي نشاط في أية رحلة برية أن يعوا إلى أنهم على مسافة بعيدة من المستشفيات والمراكز الطبية، وأن يأخذوا ذلك بالحسبان عند شروعهم بأي عمل يتضمن مخاطر على سلامة أجسامهم.

8 وأخيراً وطالما أن الغاية من الرحلة البرية هي أولاً وأخيراً الاستجمام واستعادة الحيوية بعيداً عن نمط الحياة اليومية في المدينة، يصبح من البديهي والضروري لفت النظر إلى وجوب الامتناع عن إرهاق النفس في المشي لمسافات طويلة، أو المبالغة في استخدام المجهود العضلي. فالمطلوب هو الاستمتاع بالطبيعة والتحرك باعتدال.. الاعتدال في كل شيء.

## مستلزمات لا غنى عنها

يجب على القائم بأية رحلة برية مهما كانت مدتها أن يصطحب معه عدة إسعافات أولية مثل القطن ومعقم الجروح والأدوية العامة المضادة للصداع والمغص، ومخفض الحرارة ومطهر العيون، إلى جانب سكين متعدد الاستخدامات، وبوصلة على أن يجيد استعمالها، وجهاز تحديد المواقع.

أما الحقائب، فيجب أن تكون خفيفة الوزن، من القماش المقوى. وأفضلها تلك التي تُحمل على الظهر. غير أنها يجب أن تكون مزودة بحزام يربط على الخصر كيلا تتخبط على الظهر عند المشي. كما أن الأحزمة التي تشدها إلى الأكتاف يجب أن تكون عريضة لتلافي الألم الذي يمكن أن تتسبب به الأحزمة الرفيعة.

صورة شخصية

# شيلا كولينيت
## صديقة الأزهار البريّة

**عندما وصلت شيلا كولينيت إلى المملكة العربية السعودية لأول مرة في العام 1972م، كانت مثل أية سيدة أجنبية تأتي لزيارة زوجها الذي يعمل في المملكة. ولكن على مدى ربع قرن من الزمن أو أكثر، تركت هذه السيدة البريطانية في بلادنا هدية لا تقدر بثمن هي عبارة عن أول تعريف دقيق لمجمل النباتات الزهرية في المملكة. الزميل أحمد البوق يعرض لنا ملخصاً عن سيرتها.**

لو سأل سائل: ما الذي تعنيه بالنسبة إليك الأعشاب البرية والنباتات الزهرية؟ لأجابته شيلا كولينيت: "إنها حياتي وعمري كله.."

فبعدما حازت كولينيت على دبلوم في علم النباتات في بريطانيا، سافرت في العام 1953م إلى بورنيو في إندونيسيا لتبحث عن أنواع محددة ونادرة من النباتات في غابات صباح والسرواك، وذلك لحساب المتحف البريطاني وحدائق كيو الملكية بعد ذلك بأربعة عشر عاماً، عادت إلى المملكة المتحدة لتعمل في مزرعتها الواقعة في منطقة تدعى الغابة الجديدة، حيث اشتغلت بتربية سلالة نادرة وأصيلة من الأبقار تعرف باسم "شارو لايس".



### بداية رحلتها السعودية

تروي شيلا كولينيت بنفسها كيف بدأت رحلتها إلى المملكة العربية السعودية فتقول: "في ربيع العام 1972م، وصلت إلى المملكة لأول مرة، وذلك لزيارة زوجي الذي كان يعمل مستشاراً فنياً في وزارة البترول والثروة المعدنية..

بهرتني على الفور الأزهار الجبلية والصحراوية في السعودية. وعندما لاحظت أن أحداً لا يعرف أسماءها، اتصلت بأصدقائي في حدائق كيو الملكية في بريطانيا لأستفسر عن أسمائها. فأجابني أحد علماء التجنيس أن هناك القليل جداً من النباتات العربية في كيو. ولذا، وخلال رحلتي الثانية إلى المملكة بعد سنتين، قمت بزيارة المنطقة الواقعة ما بين جدة والطائف، وبدأت بتشكيل مجموعات من النباتات الزهرية التي تنبت هناك".

### ربع قرن مع أزهار المملكة

وتضيف كولينيت: "بحلول العام 1976م، كان جمع النباتات البرية ودراستها قد أصبح اهتمامي الرئيس. ومنذ ذلك الحين كنت أمضي سنوياً أشهراً عدة في المملكة خلال الربيع والخريف. وفي العام 1985م صدر كتابي الأول برعاية "الرئاسة العامة للأرصاد وحماية البيئة" في المملكة، وتضمن تعريفاً لنحو 1600 نوع من النباتات الزهرية، وفي العام 1999م، أضيفت مجموعة كبيرة من النباتات إلى محتوى الكتاب الأول، وصدر في حلة جديدة عن "الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها"، بعنوان "النباتات الزهرية الفطرية في المملكة العربية السعودية".

الكتاب بالإنجليزية (وتسعى الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها حالياً إلى ترجمته)، وهو يقع في 800 صفحة ويتضمن 2250 نوعاً من النباتات الزهرية الفطرية، مع شروحات وصور فوتوغرافية لكل منها.

تضمّن الكتاب 261 رسماً يدوياً توضيحياً لأنواع من الحشائش التي عصت على التصوير الفوتوغرافي (إما لأنها صغيرة الحجم جداً أو غير ذلك). كما تضمّنت هذه الموسوعة الأولى والفريدة من نوعها 66 نوعاً من النباتات التي لم تتمكن كولينيت من تصويرها أو جمعها، ولها نماذج في المتاحف والمعاشب المتخصصة. وبلغ عدد الشرائح المصورة التي التقطتها للنباتات الزهرية في المملكة حوالي 20 ألف صورة.

### نهجها في العمل

تصف كولينيت نهجها في العمل بالقول إنه في البدء كان إلى حد ما عشوائياً. ولكنها سرعان ما عثرت على أفضل أماكن الحياة النباتية في مناطق الصخور الغرانيتية والرمال الحمراء الداكنة وحقول الصخور الكلسية وأعالي الجبال.

وتضيف: "عندما أكتشف نبتة لم أرها من قبل، فإني أصورها، وأدون في كتابي تفاصيل مظهرها، وبيئتها، والموضع الذي كانت فيه، وأعطيها رقماً. بعد ذلك آخذ عينة منها وأجففها لتحديد هويتها. وفي هذا الإطار، فقد تلقيت دعماً لا يقدر بثمن من علماء التجنيس في حدائق كيو وأدنبره والمتحف البريطاني. فأنا لست عالمة تجنيس، ولذا لم أطلق أي اسم على أية نبتة اكتشفتها. ومع ذلك، هناك عشرون نوعاً من النباتات تحمل اسمي، من بينها نوع من الدفلي الوردية، وأوركيديا من بورنيو".

### ذكرياتها عن السعودية

تعبّر شيلا كولينيت عن حنينها إلى المملكة بالقول: "لقد اشتقت كثيراً إلى الصحراء. إنها بلاد يتخذ فيها كل شيء أبعاداً قصوى.. من المساحات الشاسعة الجرداء، إلى الوديان الكلسية المدهشة إلى غابات العرعر التي تمتد ما بين الطائف وأبها".

وعن ذكرياتها المميزة تقول: "إنها أماكن التخييم العديدة في ربوع المملكة.. واحدة منها كانت في تنومة حيث كنت أستيقظ لأرى الندى على الأعشاب والعصافير تغرد ما بينها، تماماً كما لو كنت في المملكة المتحدة، كما قمت بعدة زيارات إلى جبل شدا وأمضيت الليالي على أمل أن ألمح أو أصور الثعلب الصخري النادر، أو النمس أو النيص.. وفي جزر فرسان كنت أستيقظ ليلاً لأسمع زفير الغزلان".

### طاقة لا تنضب

ويبدو أن العيش على مدى عقود في أحضان الطبيعة وبين النباتات والأزهار البرية، أمدّ شيلا كولينيت بهمة لا تفتر وقدرة على العطاء لا تتوقف. فهي اليوم عضو في جمعية "لينيان" و"جمعية المؤلفين البريطانيين".

تزور جنوب إسبانيا سنوياً لاكتشاف نباتات فطرية غير مألوفة وتصويرها. كما أنها تجوب بريطانيا وأوروبا وأمريكا لإلقاء محاضرات وعرض شرائح مصورة لأزهار نادرة. كما أنها تلقّت دعوة إلى زيارة المملكة العربية السعودية قد تلبيها خلال العام المقبل.

فإضافة إلى الهمّة والقدرة على العطاء، يبدو أن العالم الذي عاشته كولينيت أمدّها أيضاً بتفاؤل جميل بالحياة لم ينل منه عمرها المديد. فلدى سؤالها عن آلات التصوير التي استعملتها في عملها الموسوعي قالت: "في الماضي كنت أستعمل آلة "بنتاكس". أما اليوم فإني أستعمل آلة "نيكون" يدوية مع عدسة مقربة. وفي المستقبل قد أستعمل آلة تصوير رقمية..!".



**في عام 1999م كرّمت الجامعة العربية عبدالله الجشي في مهرجان تكريم الروّاد العرب الذي شمل العشرات من أدباء العالم العربي. وفي عام 2002م، حظي الجشي بحفل تكريم شعبي في مسقط رأسه «القطيف» شارك فيه نخبة من مثقفي المملكة العربية السعودية. وقبل أيام وقف الجشي على منصة التكريم في المهرجان الوطني للتراث والثقافة «الجنادرية» بوصفه شخصية العام الثقافية، وواحداً من رُواد العمل الثقافي في هذا الوطن.. الزميل حبيب محمود يُعيد، هنا، قراءة شخصية عبدالله الجشي، دارساً المرحلة الثقافية التي ظهر فيها وانعكاسها على إنتاجه..**

# عبدالله الجشّي

## رائدٌ لم يعرفه أهله..!

**يُشار إلى عبدالله الجشي بوصفه «شاعراً وأديباً». ويصنّفه دارسو الأدب السعودي الحديث ضمن أدباء الجيل الثاني الذين ظهروا منذ الأربعينيات من القرن الميلادي الماضي. ويكاد لا يُعرف، في الوقت الراهن، إلا بهذه الصفة الأدبية التي وضعته بين قائمة طويلة من أدباء ذلك الجيل في المنطقة الشرقية من البلاد السعودية.**

أحمد المبارك، والشيخ عبدالحميد الخطي، وعبدالرحمن المنصور، ويوسف بو سعد، وسعد البواردي، وعبدالله شباط، وعبدالرحمن العبيد، ومحمد سعيد المسلم، ومحمد سعيد الخنيزي، وأسماء أخرى شكلت جيلاً ثقافياً جديداً في مرحلة مفصلية من التنمية الثقافية في البلاد. وقد ظهر هذا الجيل متزامناً مع بوادر ظهور النفط واتصاله بواقع الحياة في المملكة عموماً، وحركة الحياة في المنطقة الشرقية على وجه خاص. فقد أدى اكتشاف هذه الثروة إلى صناعة تغيير تاريخي في المنطقة تغيّرت، بفعله، الحقائق الجغرافية والسكانية والاقتصادية والثقافية؛ لتنشأ مدنٌ جديدة، وتُستقبل موجات بشرية متتالية، وتُستحدث وسائل حياةٍ لم تكن موجودة من قبل، وتُلازم هذه التغيرات أنماط حياة مختلفة ومرتبطة بمتطلبات النمو المتسارع الذي راح يلاحق المدن والقرى، ويعيد صياغة تكوينها العمراني والسكاني.

## الثقافة.. تتأثر بالنفط..!

ولم تكن الأحوال الثقافية بعيدة عمّا يجري بطبيعة الحال. وعلى الرغم من أن حواضر المنطقة التاريخية، كالأحساء والقطيف، كانت تستند إلى تاريخ ثقافي عريق جسّدته أنشطة علمية دينية وأدبية متوارثة في صيَغ أسرية على الغالب، فإن عوائد النفط الاقتصادية سرعان ما انعكست على القاعدة الشعبية من خلال نشوء المدارس وظهور الصحافة التي صنعت طريقاً مُختصراً إلى مصادر الوعي والمعرفة، بعد أن كانت المصادر محصورة في فرص التعليم التقليدي، وهي فرص غالباً ما كانت تُستنفد بمجرد بلوغ الصبيّ. أو الفتاة. واحتياج أسرته إلى مساندتها عبر العمل..!

بطبيعة الحال، كانت فرص التعليم في «الكُتّاب» ضئيلة، ولا يمكن أن تُستثمر إلا من قبل القادرين على الاستمرار في التحصيل العلمي الذي لم يكن ليتجاوز العلوم الدينية والعربية التقليدية، إلا أن مجرد الاستمرار في الدراسة يعني الانضمام إلى (أو البقاء في) واحدة من أكثر الطبقات أهمية في المجتمع، في تلك الحقبة المتواضعة ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً.

## ثقافة مزدوجة

ظهر عبدالله الجشي في الحياة الأدبية أثناء مرحلة مبكرة جداً من مراحل البناء. وعلى وجه الدقة إبان التباشير الأولى لتأثير النفط في حياة المنطقة، أوائل عقد الخمسينيات. كان عائداً للتوّ من دراسته العلمية في العراق التي سافر إليها عام 1935م، برفقة والده الفقيه الشيخ علي الجشي، رحمه الله.

عاد الجشي برفقة والده مُحمّلاً بثقافة مزدوجة الاتجاه. فمن جهة تشرّب الدروس التقليدية المتركزة في علوم العربية، والفقه وأصوله، المنطق وعلم الكلام، وما يُمهد لهذه العلوم من حساب وخط ومبادىء متنوّعة.

وكان كافياً لحصيلة علمية كهذه أن تُبقي عليه «طالب علم» بين عشرات «الشيوخ» في القطيف. إلا أنه جمع إلى ذلك حصيلة ثقافية أخرى حديثة تشكّلت، أيضاً، في العراق، وتمثّلت في اطلاعه على الآداب العربية الحديثة، وخوضه التجربة الصحافية، ومعايشته للأحداث التي شهدتها الأمة العربية معايشة نفسية وأدبية.

غادر عبدالله الجشي البلاد بعد أقل من عامين على اكتشاف النفط، وعاد في وقتٍ كانت فيه البلاد تدشن أولى مراحل النموّ متأثرة بالعوائد الأولية لهذه الثروة التي غيّرت كلّ شيء في مراحل لاحقة. ليكون، بعودته عام 1948م، واحداً من الأصوات الثقافية التي تركتْ أثراً ما في الحياة الثقافية في المنطقة الشرقية، على وجه خاص.

## في مجلس الملك عبدالعزيز

**في عام 1953م أرسلني والدي، بصفته قاضياً للقطيف، بكتاب يحتوي على بعض المطالب العامة، إلى جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، يرحمه الله. وعند هبوط الطائرة في مطار الرياض صعد إليها ضابط وجعل يسأل الركاب عن أسمائهم والقصد من زيارتهم وأين يقيمون.**

**وقد أجبته بأني ضيف على الحكومة، فطلب مني الانتظار حتى يأتي أحد الضباط المكلفين باستقبال ضيوف الدولة وإسكانهم. وبعد قليل حضر الضابط وسألني عن شخصي وغرضي من القدوم، ثم طلب مني النزول إلى قاعة الضيوف. ثم جاء ضابط آخر وأخبرني بحضور سيارة حكومية لنقلي إلى مضافة «أمَ قبيس» بشارع الوزير، وهناك أُنزلتُ في مبنى كبير يشبه القلاع، مربع الشكل ذي ساحة كبيرة وطابق أرضي وفوقه طابق علوي، وحولها غرف واسعة أشبه بالقاعات، لأنها معدة لاستقبال مجاميع الضيوف.**

**وفي أحد الأيام أُبلغتُ بمقابلة الملك عصراً في قصره المعروف بـ «المربع»، وحين أُدخلت على الملك رأيت إلى يمينه طاولة ودفتر، وعن يساره طاولة عليها جهاز هاتف، وخلفه حارسه الخاص الضابط محمد النملة.**

**والمجلس على حرف (L)، ويجلس إلى يساره الوزراء والمستشارون، ويجلس على الأرض أبناء الملك والأمراء، ويجلس الزوار في المقاعد المقابلة عن يمين الملك.**

**وكان أمامه، في الزاوية المقابلة أحد «المطاوعة»، يتلو بعض الأحاديث النبوية، وبعد انتهائه من إلقائها، يبدأ الملك في الترحيب بزائريه، وتُدار عليهم القهوة. ولم يكن موجوداً من الزوار سوى أحد الرجال من السودان الشقيق، وعن يساره أنا.**

**وبعد الترحيب وتناول القهوة توجهتُ إلى الملك وصافحته وعرفته بنفسي، وسألني عن أبي، فحمدتُ الله، ثم سلمته الرسالة التي معي من والدي، فتناولها وأعطاها للنملة، ثم خرجتُ متمنياً له الخير ودوام الصحة والسلامة.**

المصدر: مذكرات شاعر. مخطوط خاص بـ «القافلة».





وإبّان عودته راحت ثقافته «المزدوجة» تتفاعل في جدول يومه. فمن جهة كان إعداده العلمي التقليدي يفرض عليه الاستمرار على النسق الأسري الذي جعل من آل «الجشي» واحدة من الأسر العلمية، خاصة أن والده وصل إلى منصب القضاء الشرعي في القطيف. ومن جهة أخرى كان تطلعه الأدبي والثقافي يستفزّه للمشاركة في إرهاصات الحياة الأدبية الحديثة التي راحت تُعبّر عن نفسها في مشاريع النماء المختلفة، وتجتذب إليها الطاقات الثقافية، من سائر أنحاء البلاد السعودية.

## صحافة وتيارات..!

عقد الخمسينيات شهد نشأة الصحافة في المنطقة الشرقية، رافقتها تيارات فكرية، فأخذت المدارس تتأسس إلى جانب المرافق الحكومية. كانت المنطقة أشبه بـ «ورشة بشرية» يتدفق عليها الباحثون عن فرص العمل في شركة النفط الناشئة آنذاك «أرامكو السعودية»، والأجهزة الحكومية.

وكان بعضهم ممن مُسّ بهاجس ثقافي، مثل الشاعر محمد حسن فقي الذي عُيّن مديراً لإدارة المرور في المنطقة الشرقية قادماً من مكة المكرمة، و القاص إبراهيم الناصر الحميدان من المنطقة الوسطى، والأديب عبدالكريم الجهيمان من القصيم، والكاتب سعد البواردي، والشاعر عبدالرحمن المنصور، وأدباء لا حصر لهم وفدوا إلى المنطقة، برهة من الزمن، لأهداف معيشية، وبعضهم استقرّ فيها، وآخرون انتقلوا إلى غيرها.

هذا التدفق البشري، مضافاً إلى الوجود السكاني في المنطقة، مهد لحيوية حياة ثقافية، فظهرت الصحف على يد أفراد، كـ «أخبار الظهران» التي رأس تحريرها عبدالكريم الجهيمان، و «الفجر الجديد» ليوسف الشيخ يعقوب، و«الإشعاع» لسعد البواردي، و «الخليج العربي» لعبدالله شباط.

كان كل ذلك يعني دخول المنطقة في مرحلة حداثة جديدة تمس كل مناحي الحياة. وأمام تلك المستجدات وقف عبدالله الجشي على قدمين اثنتين: إحداهما في التراث والأخرى في الحداثة، كما يُعبّر البعض. وهذا هو عين ما رآه في إحدى قصائده المعروفة حين أنشد:

هـذي بـلادي وهـي مـاضٍ عـامرٌ
مـجـداً، وآتٍ . بالمشيئة . أعمرُ

عبّر هذا البيتُ عن استشراف لمستقبل البلاد وهي تؤسس برامج تنميتها في مطلع الخمسينيات من القرن الماضي. ووفق هذه الرؤية تفاعل الجشي/ الأديب الحديث (بمفاهيم تلك المرحلة) مع واقعه الثقافي الواعد. وراح


صورة تعود إلى أربعينيات القرن الماضي، برفقة أدباء ومثقفين عراقيين.. وفيها يبدو جالساً، الثاني من اليسار


برفقة أستاذه الأول الشيخ ميرزا حسين البريكي

الثاني من اليمين جلوساً، ضمن وفد أهالي القطيف لمبايعة الملك سعود، رحمه الله، عام 1953م


الثاني من اليسار وقوفاً حين كان طالباً في معهد الإدارة العامة عند تأسيسه أوائل الستينيات

يشارك في بناء مبادىء أدبية حديثة على مستوى المجتمع الثقافي آنذاك.

وانشغل، بمعية عدد من أبناء جيله، في تشكيل تيار أدبي مختلف عن التيار التقليدي السائد. ففي الوقت الذي كان شعر المناسبات، مثلاً، يراهنُ على تكرار اللغة وإعادة تقديم المضمون على الشكل المتوارث في المدائح والمراثي، اعتنى الجشي بجعل شعر المناسبات أكثر واقعية وأشد التصاقاً بالقضية التي يتناولها. لقد أفاد من خبرته العراقية ذات الحس الخطابي والحماسيّ الرنّان، ونقلها إلى الشعر المنبري سواءً في ذلك الشعر الذي قدمه في مناسبات مسقط رأسه، القطيف، أو الذي كتبه متفاعلاً مع الأحداث.

## بين الواقعية والرومانسية

كانت الواقعية تياراً أدبياً صنع لنفسه جمهوراً مهمّاً في المجتمع العربي، وبالطبع، غلب الصراع العربي الإسرائيلي على كثير من نتاج الشعراء العرب. والجشي واحدٌ من أوائل الشعراء العرب الذين أهمّتهم هذه القضية. وحين صدر قرار التقسيم عام 1948م؛ واجه الشعراءُ السياسات الدولية بالكلمات.. وقال الجشي:

أيـهـا الـتـاريـخ حــدّث عنّـها
تفقد الأفـئـدة الصـمّـاء قولا
إن يـوم الـرعـب قـد أيقظنـا
فـإذا بـالـقـدس أشـلاءٌ وقتلى
وعـصـابـات رمـى الـغـرب بها
مهد عيسى ساخراً ثـمّ تخلّا
أحــيـــاداً ومُـــداهـــم فـوقـنـا
ترتوي من دمنا علاً ونهْلا.؟
أيـهـا الـغـربُ إذا لـم تستطع
نُصرة الحق، فدع للسيف أهلا

وفي موضوعات الحب والوجدانيات جرّب الجشي اللغة المهجرية في تعبيريتها الهامسة، الرقيقة والعذبة. وهي لغة عرفها الشعر السعودي منذ بزوغ فجر الحداثة على يد محمد حسن عوّاد ورفاقه من شعراء الجيل الأول، وقد صمدت هذه اللغة الحميمة عقوداً طويلة. وعلى الرغم من ظهور حداثة جديدة، مطلع السبعينيات، فإن شعراء التيار الرومانسي لا يزالون يتكاثرون على نحو واضح في الساحة الثقافية السعودية.

## من بعيد

**اتجهت بنا السيارات إليها في الطريق الصحراوي المعبّد من ميناء الدمام ونحن نرنو في تأمل صامت إلى الصحراء الممتدة، وقد أذابت شمس الأصيل فيها أشعتها الذهبية الغاربة. ولاحت لنا «القطيف» من بعيد، واحةً ناضرة على حدود الصحراء، وجنة خضراء على حافة القفر المجدب.. وإذ ذاك بدأت السيارات تتعثر في دروب ضيّقة تحف بها البساتين عن يمين وشمال، وتجري فيها الغدران فياضة بمياه العيون والآبار.**

**.. لم نكد نفيق إلا على هتاف أهل «القطيف» وقد خرجوا بمشاعلهم يستقبلون ضيوفهم أبناء الكنانة.. ولم يكتفوا منا بحفلة الاستقبال في دار «الأمير حمود، أمير القطيف» أو جولة عابرة في المنطقة، بل دعونا إلى مجلس حافل أُعد لنا في مجلس الوجيه «السيد عبدالله إخوان»..**

**وكانت أمسية لا تُنسى..!**

**........**

**كم تألمتُ وأنا أصغي إلى حديث أدباء القطيف عن معاركنا النقدية ومذاهبنا الفنية؟؟ كم خجلت وأنا أرى في أيديهم كتبنا ومجلاتنا، نحن الذين لا نشعر بهم أو نلقي إليهم بالاً؟**

**كم تأثرتُ وأنا أسمع الشاعر عبدالله الجشي يعرّفنا ببلده الذي هو قطعة من وطننا الشرق العربي:**

هـذي بـلادي وهـي مـاضٍ عامرٌ
مـجـداً وآتٍ . بالَمشيئة . أعمرُ
ألـقى عصاه على فسيحٍ ضفافها
وعلى الجزائر عالم متحضرُ
وأذلّت التيار تحت شراعها
فلها عليه تحكّمٌ وتأمّرُ
والنخلُ وارفة الظلال كأنها
جيشٌ كثيفٌ بالخليج معسكرُ
تُهدي لها الصحراء في السحر الصبا
فتمر كالحلم اللذيذ وتخطرُ
والبحر يهديها اللآلىء زينة
وتجارة فيها الغنى يتوفر
وكصفحة المرآة جو مشرقٌ
وكلوحة الفنان ريفٌ مُزهرُ

**على مثل هذا كان يدور السمر في أمسيتنا تلك، والآن وقد رجعتُ إلى مصر، أرى حقاً عليّ أن أنقل إلى قومي بعض أصداء ذلك المجلس الأدبي، ليعلموا أن على ساحل الخليج، في أقصى الشرق من جزيرة العرب، علماء مجتهدين وأدباء موهوبين..**

د. عائشة عبدالرحمن «بنت الشاطىء»

أرض المعجزات







هذا النوع من الشعر استطرب الألم المخبوء في الذات، وحوّل الجراح والإحباطات الخاصة إلى صور معبّرة بإحساس لذة شفاف.. يقول الجشي:

غـرسـتُ عـلـى ضـفـتـيَّ مقلتيَّ
مـروجـاً مـن الـشـوك لا تـذبلُ
تـسـيـل دمـوعـي بـأعـراقـهـا
ويُثمر، من غرسها، الحنظلُ
ربـيـع حـيـاتـيَ خـصـبُ الشجون
يـغـازلـهُ الـفـأسُ والـمـنـجـلُ
كما أخصبت بالضحايا رُبىً
وسال، بفيض دم، جدولُ
إذا ما أطلّ عليه الخريفُ
ولاح له المشهدُ المُعولُ
أحس بخيبة آماله
وأبصر أحلامه تُمحلُ..!

وحتى حين يُحب الشاعر، فإنه يحبّ بحزن، وحين يسألُ فإن القلق يستحوذ على تأمّلاته في خطاب الحبيبة:

لا تسأليني كيف مات الحبُّ في حجر الأصيل..؟
وتسللت للعطر، في أكمامه، أفعى الذبول..؟
وسلي جفونك كيف أطفأ سحرَها عصفُ الذهول..؟
وتحجرتْ في روض قلبك زهرة الأمل الخضيل..!

المعنى في ذلك، هو أن عبدالله الجشي أسهم، بوضوح، في خروج الأدب السعودي، في المنطقة الشرقية، من شكله الكلاسيكي القديم إلى شكل ملائم لمرحلة النهضة الثقافية، ومن ثم أسهم في التمهيد للأجيال اللاحقة لصناعة تطلعاتها بنفسها. وإسهامه الواضح يضعه بين جيل الرواد بالتأكيد، ذلك أن تنوعه الأسلوبي والموضوعي، وكثافة مشاركاته، وتعدد اهتماماته الثقافية.. كل ذلك يكشف عن دور رياديٍّ في مرحلة ثقافية كانت تفتقر إلى مبدعين متنورين، وقادرين على تجاوز المألوف.

ولعلّ ذلك ما دعا عبدالرحمن العبيّد، حين وضع أول مصنّف تناول الأدب في المنطقة الشرقية (الأدب في الخليج العربي 1957م - 1377هـ) ، إلى الاستعانة بعبدالله الجشي في كتابة مقدمة الكتاب، والتنبيه، في المقدمة، على إشكالية تطوير الأدب والحياة.

## رائد تاريخي..!

فضلاً عن ذلك؛ لم يكن الجشي رائداً في أدبه وشعره فحسب، فعلى نحو جازم يمكننا القول: إنه أول باحث سعودي اهتمّ بتاريخ المنطقة الشرقية وحضارتها. وفي بحوثه التي نشرتها «الغري» العراقية، و«صوت البحرين» البحرينية، و«الخليج العربي»، ولاحقاً «العرب»


مع محمد القاموسي ومحمد علي نصرالله


مع عبدالكريم الجهيمان وعبدالعزيز السنيد 2002م


في حفل تكريم الروّاد العرب، القاهرة 1999م


في رفقة بعض الأدباء بمصر


في حفل تكريم الروّاد العرب، القاهرة 1999م

السعوديتان، قدّم أولى التحقيقات التاريخية التي تناولت حضارة المنطقة وأحداثها وآدابها.

ومن المدهش، حقاً، ألا يعرف الكثيرون هذه الحقيقة التي لا يعترف بها حتى أولئك الباحثون الذي أفادوا من خطواته البحثية المبكرة ومراجعه الأولى، وطوّروا منهجيتهم في البحوث والدراسات التاريخية؛ فملأت كتباً ومصنّفاتٍ في مراحل لاحقة.

وقبل أن ينشر الجشي أبحاثه التاريخية والأدبية، لم يكن أحد يذكر «الفينيقيين» أو «الجرهائيين» أو«عبدالقيس» أو «القرامطة» على النحو البحثي الذي حدث بعد نشر أبحاثه. وهذا جانبٌ رياديٌّ لم يلتفت إليه أحد من دارسي حياته وأدبه حتى يومنا هذا. والغريب أن الجشي، نفسه، لا يهتمّ بهذا الواقع في سيرته الذاتية، ويكتفي بالحديث عن نشره بحوثاً تاريخية في بعض المطبوعات العربية..!

اهتمام الجشي بالتاريخ واحتفاله بدراسة حضارات «بلاد البحرين» أملى عليه استغلال مهاراته في الشعر؛ فأعدّ أراجيز تلخص بعض المعلومات التاريخية مدفوعاً بحماسة أفقدت التجربة الفنية كثيراً من قيمتها.. ومن ذلك هذه القطعة التي تمثل نموذجاً من مطوّلة:

قد كانت البحرين مذ كان الزمنْ
وقبل أن تأهلَ نجدٌ وعدنْ
كذا ذوو الآثار طراً قرروا
من بعدما قد نقبوا وفكروا
وأوردوا من بعد ذاك أنها
أصل الحضارات فكل دونها
ففي شواطيها الحياة ازدهرت
وفي شواطيها القلاعُ نُشرت

## تكريس منعطف

وعبر الممارسة الثقافية والنشاط الاجتماعي والوظيفة الحكومية حدثت الانعطافة في حياة الشاعر الرومانسي/ الواقعي الذي اتجه، خاصة بعد وفاة ولده، إلى مسرح الحياة مشاركاً في البناء كفرد من المجتمع الذي كان يخطو صوب التحديث والتطوير..!

وحين حصل خرّيج «الحوزة» على وظيفته الحكومية في «مصلحة العمل» وجد في هذا الحقل ميداناً للاستفادة من مواهبه المتعددة. كانت مقالاته في «أخبار الظهران» تتناول قضايا العمل والعمّال، وتبحث في مشكلات العمالة على نحو جريء، مستفيداً من اتساع هامش الحرية الشائع في الخمسينيات. وأثناء ذلك مثّل جهة عمله في بعض جلسات مجلس الشورى، في تلك الفترة؛ ليحض المشرّعين، في المجلس، على تحسين أوضاع العمّال في الشركات التي يعملون فيها.

كان متنوّراً بما يكفي للفت النظر إلى تطلعاته في هذا الميدان. الأمر الذي دفع برؤسائه إلى انتدابه للمشاركة في وضع التصورات والأفكار لتطوير «مصلحة» العمل إلى «وزارة» أواخر الخمسينيات. وهو السبب نفسه الذي فتح أمامه فرصة التطوير الذاتي عبر دراسة الإدارة في معهد الإدارة العامة أول تأسيسه، ومن ثمّ يحقق تقدماً وظيفياً لافتاً، تمثل في حصوله على ترقيتين، دفعة واحدة، من مجلس الوزراء بتوصية وزير العمل عبدالرحمن أبا الخيل، عام 1963م، ويشغل، لاحقاً، منصب مدير إدارة القضايا بالوزارة، وقد أمضى أحد عشر عاماً في العمل الحكومي.

لقد فتح له العمل الحكومي أفقاً واسعاً لخدمة المجتمع، وبات على الأديب المشغول بالكلمة أن يشارك، أيضاً، بالفعل: موظفاً أو متطوعاً، في مجتمعه الكبير، ومجتمعه الصغير.

في مجتمعه الصغير، القطيف، انتُخب مرتين لعضوية المجلس البلدي. وقبل أن تتأسس الرئاسة العامة لتعليم البنات، شارك نفراً من أفراد مجتمعه في تأسيس أول مدرسة بنات في القطيف. كانت مدرسة أهلية، متواضعة الإمكانيات. وقد خصصوا لها مجلساً خاصاً، واستفادوا من زوجات بعض المعلمين العرب ليكنَّ معلمات..!

## متطوع ثقافي..!

مارس عبدالله الجشي العمل التطوّعي منذ شبابه الأول. كان يحمل قدراً من الفضول المثمر والمطوّر. حين كان في النجف قادته الصدفة إلى الصحافة.. يقول: «كان بعض أبناء الخليج يلتقون يومياً بعد إنهاء واجباتهم الدراسية في مجلس الشيخ ياسين أبو خمسين، وكان بعضهم يشتري إحدى الصحف اليومية البغدادية ويعكفون على قراءة المهم من أخبارها.. يومذاك عرفت شيئاً جديداً اسمه الصحافة»..!

يضيف: «بعد انتسابي إلى الرابطة القلمية (جماعة أدبية) ارتقى اهتمامي من مجرد التعرف على الأحداث إلى الاهتمام بالشؤون الثقافية، ومنها متابعة الصحف الأدبية، وكانت مجلة «الغريّ» البداية في الانعطاف إلى ممارسة الصحافة».

وقد تطوّرت علاقة عبدالله الجشي من «قارئ» يشتري المجلة أسبوعياً إلى «محرر» ولكن «من دون اسم ولا راتب»..! إلا أنه كان مستمتعاً بعمله التطوّعي «وصار صاحب المجلة يسافر لشؤونه الخاصة ويترك لي الإشراف على أعداد المجلة.. وبذلك أتيح لي حق نشر ما يتوافر لديّ من أبحاث»..

هذا ما قاله الجشي لـ «القافلة»، مضيفاً: «مما أعتز به في مجلة الغري أنني استطعت احتضان الشاعرين العراقيين نازك الملائكة وبدر شاكر السياب في بداية توجههما للشعر» الحر. «وكانا آنذاك طالبين في كلية المعلمين العليا ببغداد».

التطوّع الذي مارسه الجشي في «الغريّ» كرره، أيضاً، في شهرية «الاعتدال» العراقية أيضاً، ثم «صوت البحرين»، و«العرفان» اللبنانية، و «الفجر الجديد» السعودية إضافة إلى «أخبار الظهران»، وغيرها من المطبوعات التي تعامل معها، محرراً أو كاتباً أو شاعراً، مستمتعاً بالعمل الثقافي المحض..!

وفي حقيقة الأمر لم تكن الـ 79 عاماً التي عاشها الجشي مفعمة بالعمل والكتابة فحسب؛ بل كانت أيضاً مليئة بتجارب النجاح والفشل. وفي سيرته الذاتية المخطوطة يسجل اعترافات بتجارب لم يُكتب لها النجاح على الرغم من اجتهاده فيها. إنه ينحو باللائمة، أحياناً، على عداوات مغلفة، وأحياناً على قدراته الشخصية، وأحياناً على الظروف.

«في 1950م افتتح متجراً لبيع الأغذية من أرز وطحين وسكر وشاي وقهوة وغيرها». لكن المتجر الذي سماه «الفجر الجديد» ويستورد سلعه من البحرين، كان يبيع، أيضاً، «المجلات المصرية» التي يشتريها من «متجر بايزيد بالخبر». وهذا الخلط لم يكن المشكلة.. «ولكني لم أوفق في التجارة لأن رأس مالي تحوّل إلى ديون دائمة على زبائني»..! و «ذهب رأس مالي وهو خمسة آلاف ريال أدراج الرياح»..!

كان «الفجر الجديد» تجربته التجارية الأولى، وقد تكررت عام 1967م، وعام 1993م.. لكنها مُنيت بإخفاقات موجعة. وليس من السهل على صاحب موهبة إبداعية أصيلة أن يحقق نجاحاً مماثلاً في ميدان مثل ميدان التجارة..!!

هذه هي حياة عبدالله الجشي: شاعراً وأديباً ومؤرخاً.. وموظفاً، وتاجراً. 79 عاماً من الركض في حياة صاخبة، قاسية، وتختلط فيها الآمال بالآلام، والصمت بالضجيج.. تسعة وسبعون عاماً ربما لا تكفي لقول كل شيء.. لكنها حياة عبدالله الجشي..!

## عشرون عاماً

كنتُ يا وطني.. بها خلف الحدودِ
حتى نسيتُ بك القديمَ، ولستُ أعلم بالجديدِ
حتى التمنّي صار يثقُل في لساني كالحديدِ
هل من كتابٍ لي يذكّرني بأهلي يا بريدي؟
لا شيء إلا أعينٌ تجري ورائي من بعيدِ
قل للهلال: متى تهلُّ وراءه أيامُ عيدي..؟

يا ذكريات الأهل عودي، يا ذكرياتي لا تعودي..!
ما عاد لي أملٌ، لقد سقط التمنّي من قصيدي..!
أنا لهفةٌ لكنها اختنقت بدمعٍ من جليدِ..!
ولكم سهرتُ مع النجوم تمرّ بالوطن المجيدِ
وسألتها عن فيء سدرتنا، وعن لُعَبِ «الجَريدِ»
وعن العيونِ ومن يعوم بها، وعن جارٍ نديدِ
وعن البنات اللاهبات، عن الخلال، عن المديد
عن كل ما في الحلم، ما في الوهم.. عن أمسي الفقيد

يا ذكرياتي إن تعودي، رشّي الدموع على خدودي
لم تبقَ لي من رغبةٍ إلا ضريحٌ في صعيدِ
علّ الترابَ يلفّني لفّ البراعم للورودِ
علّي أعودُ مع الصباح كنظرة في جفن رُودِ
علّ التواصل بيننا يبقى على رغم القيود
إن القلوب وإن تناءت فهي دائمة الشهود

أهديك يا وطني رصيدي، في رحلة الألم العنيد
عشرين عاماً بَرّةً، ما شَانَها إثمُ الجُحود
فيها حملتُ سلاح حبي مثل باقات الورود
وعبرتُ آلافاً من الأيام حُبلى بالوعود
رأسي على كفي كلؤلؤة بمحّار رغيد
إني أحس بغربتي تزداد في الدم والوريد

من قصيدة "العشرون" التي كتبها الشاعر بعد غربة عشرين عاماً

ديوان الأمس ديوان اليوم



# سيد العقلاء.. الهمّ..!

**كل إنسان قابل لأن يعاقر الهم ويشكو منه.. الحياة، كلها، هموم.. وحين يكون «الهم» همَّ شاعر؛ فإن القضية تتحول إلى حس شعري جميل.. عماد بو خمسين ينتقي من التراث العربي شيئاً من شعر الهموم..**

الهم.. ذلك الشعور المثقل بالعناء والتعب والوجع. واحدٌ من رفقاء الطامحين والطامعين والمتطلعين. إنه النتيجة النفسية التي تستقرّ كلما طالع المبدعُ رغباته مقابل إمكانياته. وهكذا لخص الشعراء العرب هذه المسألة؛ حين اكتشف كلٌ منهم أن خلواته الخاصة إنما هي منطقة تأمل لاستعادة الألم، وتذكر الأوجاع.. برفقة الهم..!

لعل أحد الجوانب المميزة لتراثنا الشعري؛ هو امتزاج الحكمة بالألم، وهروب النفس المتعبة بالهموم إلى قراءة الحياة عبر نظرة وجدانية، ربما تتجاوز الحالة الذاتية إلى صناعة شيء من الحكمة. وكثيراً ما ذكر الشعراء همومهم وحاولوا تعليل أسبابها، وشكوا للنجوم طول السهد والسهر والتعب والوجع.. كان الهمّ الذاتي وراء هذه القائمة، وأحياناً لا يعرف الشاعر - أو لا يفصح عن - أسباب همه.. وهذا طرفة بن العبد يشكو ويعلن:

خَليليَّ لا واللهِ ما القلبُ سالمُ
وإنْ ظهَرَتْ منّي شمَائلُ صاح
وإلا فما بالي ولم أشْهَدِ الوَغَى
أبيتُ كأني مُثقَلٌ بجراح

ليس في هذين البيتين سبب واضح للهموم، فقد اكتفى ابن العبد بوصفِ حاله معها، فلم نعلمْ هل هي بسبب هجر حبيبٍ أم فقد قريب، أو خسارة في تجارة..!

ومثله امرؤ القيس الذي ألقى اللوم على الليل، وادّعى، على الرغم من براءته، أنه هو المسببُ لهذه الهموم:

وليلٍ كَموجِ البحر أرخى سُدولَهُ
عَليَّ بأنواعِ الهُمُومِ ليَبْتَلي

وقد تبعه البحتري في هذا المعنى إذ يقول في الوصف:

لو تراهُ علِمْتَ أنّ الليالي
جَعَلتْ فيه مأتماً بعدَ عُرْس

وكأن الشاعر إذا رأى أن همومه لا تهيجُ عليه إلا إذا جَنّ الليل وسَكنَتْ الدنيا من حوله، توهّمَ أن الليل هو المسؤول عنها والمسبب لها.

وقد وجد الشعراء فنوناً في التفجع على أحوالهم.. وأسامة بن منقذ يرى عمره كله «زمن الهموم» باستثناء ساعة ولادته:

وإذا عَددتُ سِنِيَّ ثم نَقَصْتُها
زمنَ الهُمُومِ فتلكَ ساعةُ مَولدي

## سيد الهموم

المتنبي من أكثر الشعراء ادعاءً للهموم والمعاناة الداخلية، وبالتأكيد كان من أكثرهم تأثيراً وإتقاناً لتوصيف الهم وتعديد أسبابه... وكثيراً ما صرّح:

كيفَ الرجاءُ من الخطوبِ تَخَلُّصاً
منْ بعدِ ما أنْشَبْنَ فِيَّ مَخالِبَا
أوْحدنَنِي، ووَجَدْنَ حُزنَاً واحِداً
مُتَنَاهِياً فجَعَلْنَهُ ليَ صاحِبا
ونَصَبْنَني غرَضَ الرُّماة، تُصيبُني
مِحَنٌ أحدُّ منَ السيوفِ مَضاربا
أظْمَتْنِيَ الدنيا فلمّا جئتُها
مُسْتَسْقِياً مَطَرَتْ عَليَّ مَصائبا

بالنسبة للمتنبي كانت الأسباب واضحة والتبريرات ممكنة، وانطلاقه من ذاته الشاعرة فيه الكثير من اللوم والشكوى والتعب:

رَمَاني الدهرُ بالأرزاءِ حتى
فُؤادي في غِشاءٍ منْ نِبَالِ
فَصِرْتُ إذا أصابتني سِهَامٌ
تَكسَّرَتِ النّصالُ على النصالِ

وهَـــانَ، فـمَـا أبَـالـي بـالـرزايـا
لأنّـي مـا انْـتَـفَـعْـتُ بـأنْ أبَـالـي

ويقول:

لم يتركِ الدّهْرُ منْ قلبي ولا كبدي
شيئاً تُـتَـيِّـمُـهُ عَـيْـنٌ ولا جِـيْـدُ

ثم مخاطباً الدنيا:

جَـرَحْـتِ مُـجَـرّحـاً لـم يَـبْـقَ فيـهِ
مـكـانٌ لـلـسـيـوفِ ولا الـسـهـامِ

## ابن العبقرية

ولكن يا ترى هل المصائب والخطوب هي السبب الوحيد لهذه الهموم، أم إن هناك أسباباً أخرى؟

ابن المعتز لديه تعليل واضح:

وحَـــلاوَةُ الـدنـيـا لِـجَـاهِـلـهَـا
ومَـــرارةُ الـدنـيـا لِـمَـنْ عَـقَـلا

والمتنبي، أيضاً، لديه التعليل نفسه:

ذو العَقلِ يَشقى في النعيم بعقلهِ
وأخـو الجهالـةِ بالشقاوةِ يَنْعَمُ

ويؤكد:

يخلو منَ الهمِّ أخْلاهُمْ منَ الفِطَنِ
أفاضِلُ الناسِ أغْراضٌ لدى الزمنِ

إذاً فهناك سبب آخر، فصاحب العقل هو الذي يعيش في بحر من الهموم، ويتجرع مرارة الدنيا بسبب مشكلة التفكير والتأمل في الأمور، أما الخالي من الهم فهو الخالي من الفطنة، أو المحروم من العقل.

ولكن ما ذنب صاحب العقل ليكون ذا هم..؟ وأي ذنب اقترفه العقل ليقترن ذكره بذكر الشقاء والهموم؟ لعل الطموح هو السبب، والطموح مرتبط بالهمة العالية وعدم الرضا بالواقع، بل السعي إلى ما هو أفضل دائماً. ولذلك يتطرق المتنبي في قوله:

لَحَا اللهُ ذي الدنيا مُنَاخاً لراكبٍ
فكلُّ بعيدِ الهَمِّ فيها مُعَذبُ

## والدنيا سبب

يبدو أن الشعراء الذين ادّعوا أنهم من أصحاب العقول، قد سئموا من حالة الشقاء هذه ومن كثرة الهموم، فأخذوا في هجاء عشوائية الحظوظ التي تكرم من لا يستحق وتظلم المستحقين، كبعض ما ورد من أشعار عمر الخيام.

وهكذا نكون قد رأينا كيف انتقل وصف الهموم، على مر العصور، من شاعر إلى آخر، وكيف تناوله كل واحدٍ منهم بأسلوبه الخاص، حسَبَ سِعَة خياله أو قريحته الشعرية. فبعضهم ادعى أن الليل هو سبب الهموم، وآخر وضع اللوم على المحن والخطوب، وقال آخر إن العاقل هو من يشقى بالهموم، بينما الجاهل أو الغافل هو السعيد. ورَبطَ بعضهم الهموم بالهمة العالية والطموح البعيد، ثم وصل بهم الأمر إلى ذمّ الدنيا. والأمثلة على وصف الهموم كثيرة ومتنوعة لا يمكن حصرها في هذا المقال، ولا يكاد يخلو ديوان شعري منها.

ولعل القارئ يقف لحظة تأمل مع نفسه، ليسأل أين هو من هذا كله، وإلى أي فريق ينتمي؟ مع العقلاء المَهْمُومين، أم الجُهلاء المُنَعَّمِين؟ أم أن هذا من مبالغات الشعراء فقط، وطريقتهم في تضخيم المعاني، حتى قال الناس: أعذب الشعر أكذبه... ختاماً، لا بأس بالتذكير بقول الشاعر:

نَعِيبُ زمَاننا والعَيبُ فينا
ومـا لـزمَـانِـنـا عَـيـبٌ سِـوَانـا
ونَهْجُوا ذا الزمانَ بغير ذنب
ولو نطقَ الزمانُ لنا هجانا



ديوان الأمس ديوان اليوم

## انكســـار

شعر / يحيى السماوي*

ما كان لي أن ألتقيكِ بمستراحٍ من
خريف العمرِ
لا نارٌ،
فتُذكي المَبْخرهْ

تعبتْ صباحاتي
فألقيتُ العصا في الغابة الحجرية
الأشجارِ
منتظراً بشارة هُدهدِ الرؤيا
وحين غفوتُ أيقظني صداكِ
ذُعرتُ...
كان الماءُ من حجرٍ
ولا عشْبَ فيُنبىءُ عن طحينٍ في رحى
وجعي
حزمتُ بقيَّتي..
لكنّ بابَ البحرِ موصدةٌ
وأرصفة الموانىء مُقفرهْ..!

ما كان لي أن أخبز الأحلامَ في ماعون
صحوي..
أن أمدّ يديْ إلى العرّافِ،
كاذبةٌ خطوط يديْ
وأكذَبُ منهما ما كانَ يرسمه خيال
المحبَره..!

* * *

ما كان للشيطان يغويني
فأدخل فيكِ مملكة الظنونِ..!
فدعي البقية من يقيني

خذل التشرّدُ خيمتي
وأتت رياحُ الغرُبتين على سفيني

أزف الإيابُ... فهاتِني حبل البصيرةِ..
أنقذيني من جنوني

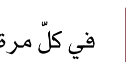
ما كان للأقمار في عينيك تضحك ليْ
وللريحان بين يديك يغوي نحْلَ ثغري
أطلقيني

من أسر أعنابٍ وتينِ
تاقت جمالي للرمال
ونخلتي تاقت لطيني

* شاعر عراقي مقيم في أستراليا

# لمسة يد

**"لمسة يد" قصة قصيرة حول بيت أقفلته سيدته المطلقة على بناتها الثلاث. ولم يكتف الأديب السوري فاضل السباعي من خلالها باختراق الباب لتصوير الداخل، فجال على كل ما فيه من أمنيات محطمة وخواطر صامتة، وأحاسيس لم يقض عليها الزمن الذي حنّط كل شيء من حولَها.**



في كلّ مرة توعز أمُّها إليها، وإلى أختيها، بالعمل المنزلي، فإنهنّ يُبادرن إليه غير متوانيات، وأما هي فإنها، في هذا اليوم، تُشارك في العمل وهي أكثر رغبة ورضا، وقلقاً أيضاً.

أعوامٌ وأعوام... وليس لها أن تظنّ أنها انقضت مثل غمضة عين، فذلك يكون في حالة الفرح والسعادة، وهو ما لم يتحقق لها فيما مضى من أيام وأعوام، كانت أشبه بجبال جثمت على صدرها وخُبال سكن في عقلها، فخابت الآمال، وضاعت المنى، وولّت السعادة إلى غير رجعة!

إنها تسمع:

– أنت، يا نسرين، ألم تَفْرغي من دقّ "الهَبْرة"؟ وأنت، يا ياسمين، "البُرْغُل" المنقوع في "الغدارة" ينتظرك!

ولم تر أمَّها ترفع صوتها لتسألها ما إذا كانت قد أتمّت "قَلْط" الحمّام.

فكّرت: ما تعلمه أنّ الناس هجروا منذ دهر دقَّ الهبرة في الجرن، وعدلوا عن جَبْل البرغل في الغدارة، وأمهنّ لا تزال واقفة عند ما كانت تراه من جدتها في الزمن الغابر، متباهية بأن عندها بناتاً "شاطرات"! ومع أنّ الشقيقات الثلاث يتعاونّ في أداء الأعمال المنزلية بمختلف أشكالها، فإنّ تخصصاً ما قد ساد البيت: فـ"نسرين" أكثر انشغالاً بالطبخ، و"ياسمين" للعناية الصحية بالأم العليلة بالدرجة الأولى، ولها هي ـ المسمّاة "فُلّة"! ـ شؤون النظافة، من غسل وكنس ومسح وخلافه!

– أنت، يا فُلّة! أما زلت تعملين في الحمّام؟ كأني أراه أصبح بين يديك مثل الفلّ. تحوّلي إلى "أوضة" السفرة، يا بنتي.

تذكّرتْها، وما كان لها أ ن تنساها. أوامر وإيعازات، تعوّدنَ تلقّيها، ولكن بدا أنها تُخالطها اليوم "خفّة دم": الحمّام نظيف مثل الفُلّ، الذي منه اشتُقّ اسمها!

فكرت وهي تعمل في تلميع مغسلة الحمّام: أمُّنا "قائدة عسكرية"! لو أنها خُلقت رجلاً لوصلت إلى رتبة "جنرال"، وعندئذ لن نكون نحن بناتاً لها بل مجنّدات في اللواء الذي تقوده! أمٌّ طاب لها أن تستبدّ ببناتها الثلاث. ولكنها سيطرت، قبل ذلك، على زوجها. ظلت تنُقُّ قبل رحيله: "اكتبْ لي البيت والرزق، يا أبا البنات، حتى لا يشاركنا في الإرث أهلُك، وليس لك صبيٌّ يمنع توريثَهم!". وكتب لها الأول والآخِر، فكان أن أحكمت القبضة – قبل وفاة الأب وبعده – على الأسرة وعلى بناتها الثلاث.

بعد وفاة الأب رفعت أمهنّ شعاراً: "ليس عندي بنات للزواج!". ثم أخذت تسحبهنّ من المدرسة كلما وصلت إحداهنّ إلى الدراسة الثانوية: "ليس عندي بنات يتبخترنَ في الشوارع. أبوكنّ مات، وليس في الأسرة رجل!".

وكم من مرة وجّهت من الأوامر: "ابتعدي عن النافذة، يا نسرين!"؛ "ماذا يريد منّا ذلك "الغليظ" المتسمِّر في الشرفة هناك، يا ياسمين؟"؛ "اسحبي الستارة حتى آخرها، يا فُلّة!".

وأغلقت عليهنّ النوافذ.

ولكنها أغلقت الأبواب أيضاً، ثم برعت في صَفْقها في وجوه "طالبي القُرْب"!

طلب يدها "مختار" ابن خالها: "عمّتي! أريد بنتك فُلّة، أحبّها!"؛ فصدّته: "دخلك لا يطعم خبزاً!"؛ جادلها: "صحيح أنا موظف، ولكنّا لم نسمع، يا عمّتي، أنّ أحداً في بلدنا مات من الجوع!".

ضربتهنّ واحدة بعد الأخرى. عَضَلَتْهنّ. وما كنّ بالبنات اللائي تستحقّ أيٌّ منهنّ أن تقعد في بيتها "بائرة". كان أهل الحيّ قد أطلقنَ عليهنّ "الزهرات الثلاث"، ليس بسبب الأسماء التي استوحاها أبوهنّ من حبّه للطبيعة، ولكن لأنهنّ كنّ الأجمل بين صبايا الحيّ: بياض، وشُقرة شعر، وزرقة عيون، وقامات ممشوقة، وأناقة، ورقّة، تستاهل كلّ منهنّ أن تكون ملكة جمال أو مذيعة في "الجزيرة"!

عوّدتهنّ على الطاعة. كسرت شوكتهنّ. "كسرت عظمهنّ"، وما تركت لهنّ مجالاً للتمرّد أو العصيان! مقدَّراتُهنّ في يدها. تعطيهنّ بالقطّارة. وفُلّة ـ بعد أن انخذل ابن خالها مختار وتزوج بمن تعذّر عليهنّ معرفتها – أمست تتنابها تصوراتٌ سخيفة وتمنياتٌ غريبة: ماذا لو رحلت أمهنّ مثلما رحل الوالد الكريم! وتعود تستغفر ربّها.

**عودّتهن على الطاعة. كسرت شوكتهن. كسرت "عظمهن" وما تركت لهن مجالاً للتمرد أو العصيان! مقدراتهن في يدها. تعطيهن بالقطّارة...**

**إنها تقف إلى جواره، مادة ساعديها يحتضنان "البشكير" مطوياً... تحتضن بعينيها رأسه، أذنه اليمنى. الشيب بدأ يشتعل...**

ضاقت دنياهنّ. وما كانت تتّسع إلا لسهرات دورية تقام في البيت، تقتصر على صُوَيحبات الأمّ وعلى من أنجبنَ من بنات. قليل من الطرب، فبعض هؤلاء يعزفنَ على العود وينقرنَ على الدربكّة. ولا شيء ألبتّة من عطر الرجولة. وتحيطهنّ الأمّ بكامل "رعايتها"، في السهرات التي تُعقد في بيوت الأخريات. وغير مرة سمعنَ منها همسات تُلقيها في الآذان: "قد ادخرتهنّ لشيخوختي!"، وإيّاهنّ، الشقيقات الثلاث، تعني... كيف نسامحك يوم القيامة، يا أمي!

أعوام كثيرة تقضّت، تضخّم خلالها الحلم، حتى ليصبح في حجم نجم، ولكن في السماء هنالك بعيدَ المنال، قبل أن يَهوي من علٍ مثل شهاب يحترق. ومختار أنجب. سمعنَ وما رأينَ. لم ينجب إلا بنتاً واحدة، شبّت عن الطوق، ولم يقف في وجهها عائقٌ يحول بينها وبين متابعة الدراسة، لا ولم تَجُعْ أمُّها ولا جاعت هي... وهنّ، الشقيقات الثلاث، ظللنَ في جوع وفي ظمأ. وفي الحيّ، تبدّل اللقب - واحسرتاه! - إلى... "العانسات الثلاث"!

فرغت قُلّة من الحمّام، وعملت في الممرّ، ثم انتقلت إلى غرفة الاستقبال، وهي الآن في أوضة السفرة، تنحني على الطاولة تمسحها بخرقة ناشفة. روائح الطبيخ تتسرّب إلى أنفها. والأختان هناك، بقيادة الأمّ التي نسيت اليوم أوجاعها، منهمكاتٌ في العمل.

- لاحظي القِدْر على النار. وأنت، يا نسرين، آن أن تضعي الصينية في الفرن... أقراص كُبّة تؤكل الأصابع معها (ونادت) قُلّة، هل فرغتِ من...؟

لم تدعها تُكمل:
- اطمئنّي، يا أمي. قاربتُ أن أنجز كل شيء. أنضمّ إليكنّ حالاً.

بعد عشرين سنة أو ثلاثين، تراءى لأمها أن تدعو ابن أخيها مختار إلى وليمة غداء. أجل، فقد زال الخطر: البنات أُحِلْنَ "على التقاعد"، ليس من ناحية العمل، فإنهنّ في هذه بناتٌ بارّات ومستخدماتٌ مطيعات!

- اهيّا نقلي صحون "المقبِّلات" إلى المائدة، يا قُلّة... وزّعيها إلى يمين وشمال... هم ثلاثة، ونحن أربع... لا تنسَي الأزهار، ضعيها في الجام ونسّقيها جيداً، يا قُلّة... يا قُلّة...

ابتسمت قُلّة، وكان ينبغي أن تبتسم: أزهار! أمّها تتحدث عن الأزهار، ونحن ثلاث زهرات ذابلات... أذبلَهنّ تعنُّتُ الأمّ، أم تعسُّفُ الأيام؟! وليت أمّها تتذكّر ما بات أهل الحيّ يقولون. إنها لا تدري، أو هي تدري ولكنها لا تريد لهذه الكلمة أن تجري على لسان أو تمرّ عبر أذن!

لسوف يجلس "الخطيب" الذي كان، هنا، وعلى يساره زوجته، وابنتُه عن يمينه. آداب مائدة تعلّمنَها في هذا البيت. تقابلهم أمُّها، والأختان الكبريان على جانبيها. ويبقى لها هي أن تنفرد برأس المائدة قريباً من الشابة، ذلك يُتيح لها أن تُطيل التحديق إليها، بعيداً عن الأعين... قالوا إنها جميلة، قد ورثت جمالها عن أمّها، وقالوا إنها تتابع دراستها في الأدب الإنجليزي في الجامعة بنجاح.

كانت قُلّة تدرك أنّ الاضطراب سوف يعتري الأخوات الثلاث لحظة تطأ قدم مختار عتبة البيت: رجلٌ، كان مرشّحاً لأن يأخذ إحداهنّ، يدخل بيتهنّ بعد تلك السنين المديدة. وأما الأمّ، فإنّ ما سوف تستشعره من عاطفة لن يتعدى شوقاً إلى ابن أخ لها قد نبذتْه يوماً ما، والآن تحاول أن تُصلح ذات البين!

لحظة قُرِع جرس الباب، وقُلّة على مقربة منه، لم تُهرَع إلى فتحه. عراها اضطراب، فالتمست، بنظرة إلى أختها، أن تفعل ذلك.

كانت قُلّة، كنّ جميعاً، في كامل زينتهنّ. حاولنَ جاهداتٍ أن يستحضرنَ كلّ ما تبقّى لهنّ من جمال، ململماتٍ شتاته من هنا وهناك. إلا أنّ عتمة كانت قد استوطنت في العيون، وتغضّنات غير رحيمة غزت الجبين وتموضعت حول العينين، هابطة إلى الوجنتين، والعنق، وإلى النحر الذي كان يَسبي العقول!

وطئت قدم مختار عتبة البيت. رجلٌ - على سنّه اليوم - منتصبُ القامة ممتلئٌ رجولة. إنه "فتى الأحلام" الذي كان، قبل أن يتحوّل إلى "رجل أحلام" قديم!

مصافحة، ومعانقة للضيفتين. وهي بادرت إلى أخذ معطفه، الذي ساعدته في خلعه، مستنشقة في ذلك رائحته، قبل أن تعلّقه على المشجب بيدين ترتعشان.

- هكذا الأيام، تُبعِد وتقرِّب!

قالت أمُّها ذلك ثابتة الجَنان، وكأنها ما وجَّهت هي الأيام ولا سيَّرتْها!

وأما هي، فقد احمرّت، ثم اصفرّت واخضرّت... ولكنها بدت لنفسها سعيدة بأن تراه، وأن تستمع إليه، بعد السنين التي اغتُصِبت من عمرها. تُرى، هل يُضمر لها الآن، من المشاعر والعواطف والخواطر، مثلما تُخبِّئ هي له؟ ولكنّ حياته قد امتلأت، وحياتها هي امتلأت، ولكن بأكداس من الذكريات، تتأجّج، ثم تخبو، ثم تنتعش، ثم..... والآن، وهي تحظى برؤيته، تتمنّى... تتمنّى لو تلمس يده - في غير مصافَحة - لو تعانق كفُّها كفَّه ثوانيَ خمساً، أربعاً، ثانيتين اثنتين... لمسة واحدة ترتسم في يدها كالوشم!

تعاونت الأختان في أن تسكبا له وللزوجة، وعُنيت هي بالشابة، ما أجملها! أخذت من أمها ومن أبيها أيضاً... فكرت: كان يمكن لهذه الفتاة الرائعة أن تكون ابنتي أنا، لو أنّ لسان أمي لفظ يوماً كلمة: نعم! ولكنها الآن بنتٌ قد تكوّنت في رَحِم امرأة غيري! وأمّها، هل تعرف أنّ زوجها قد طلب يدي وألحّ في الطلب؟ وأنّ الباب صُفق في وجهه؟ وعندما غلبه اليأس خطبها وتزوجها؟ واليوم، اهنئي به، أيتها الزوجة الصالحة.

تحدثوا على المائدة، بما له معنى وبما خلا من أيّ معنى.

وقام الرجل. قام يبغي غسل يديه. فنهضت، هي التي اعتنت بالحمّام، تصحبه إلى الحمّام.

رصدت خطواته. يسير صامتاً مطرقاً: أهو خَجِلٌ من نفسه لأنه لم يناضل من أجل الحصول عليها؟ انهالت عليها دنيا من الذكريات، في هذا المكان الضيّق الذي يجمعها به بعد... ذلك العمر!

قدّمت إليه قطعة الصابون المعطر بيدها، فتناولها دون أن يتطلّع في عينيها.

إنها تقف إلى جواره، مادّة ساعديها يحتضنان "البَشْكير" مطويّاً. يسعدها أن تقوم بدور "الجارية" في حضرته. تحتضن بعينيها رأسه، أذنَه اليمنى. الشيب بدأ يشتعل، إنه شيب الرجولة. قميصه ناصع البياض. ربطة عنقه المدلاة يُحاذر أن تبتلّ بالماء. يتمضمض.

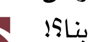
تتابع حركاته. تستسنح الفرصة لتلمس يده. أخذ منها البشكير، يُنشّف به اليدين والوجه. حاول أن يعلّق البشكير، ترقبه.

لمّا تحرّرت يداه، أرسلت نظرها إلى عينيه. واتتها الجرأة، فمدّت يدها لتأخذ يده! رأته يستسلم لحركتها. وبكلّ عواطفها الهائمة، القديم منها والمتجدّد، رفعت يده إلى فمها! حدّقت إلى عينيه. الذي فعله أن رفع يدها هو الآخر إلى فمه يقبّلها! همّت بأن تبكي. أحست الدموع تتقاطر على خديها... ثم رأت - والكفّان متعانقتان - دمعاتٍ تتلألأ في عينيه.

..... وترامت إلى مسامعهما خطواتٌ تقترب.

* * *

في الليل، بدت لنفسها سعيدة جداً بهذا القدر من الحبّ، تقتات به بقية العمر.

ولكن... لماذا فعلتِ ذلك بي، يا أمي؟ لماذا فعلتِ ذلك بنا؟! 

قول آخر

# حتى لا تشيخ الجنادرية..!

خالد الخليفة *

المهرجان الوطني للتراث والثقافة "الجنادرية" أعطى الكثير والكثير لثقافة هذه البلاد وتراثها ومنجزها الحضاري. وعلى مدى عقدين من الزمن كانت فعالياته وبرامجه جزءاً من الأعمال الثقافية المضيئة التي وثقت المسيرة الثقافية، وفتحت أبواب التحاور الفكري البناء الذي كشف عن ملامح مهمة في الوجه الحضاري في هذه البلاد.

ومهما يكن؛ فإن هذا المشروع الثقافي الكبير لا يُنتظر منه ـ بطبيعة الحال ـ أن يكون غاية في الكمال؛ ولن يبلغ عملٌ بشري مرتبة الكمال مهما أخلص المخلصون...!

ومشروع ثقافي بمستوى الجنادرية شأنه شأن أي نشاط بشري؛ قابل للمرور بمواسم قوة وضعف، وتجدد وتكرار. وليست هذه هي المشكلة في جوهر العمل. إن المشكلة تكمن فيما لو لم يكن القائمون على إنجاز هذا المشروع في موقع الاستعداد لتخطي مراحل الضعف إلى مراحل قوة، وتخطي مواقع التكرار إلى مواقع تجدد.. ففي حالة كهذه؛ تفقد الجنادرية وهجها، وربما عشاقها ومجاليها..!!

إن عشرين عاماً من العمل كافية لوعي التجربة التي يمكن أن ترقى من كونها فعلاً مبرمجاً على نحو موسمي إلى مستوى أكثر امتداداً وأشمل عطاءً وأوسع أبعاداً، لكي تكون عملاً ثقافياً متصفاً بشموليته واتساع قاعدة المتعاملين معه. وإذا التفتنا إلى التوقيت الزمني لهذه الأنشطة والبرامج؛ فإننا نلاحظ المحدودية في الزمان والمكان معاً، وهو ما يضع حاجزاً بيّناً بينها وبين جمهورها الذي ينحصر في الزائرين "الموسميين"، في حين يقف الآخرون، مواطنين ومقيمين، من وراء الشاشة الفضية أو تغطيات الصحافة.. والإنترنت..!

إنها ثمار موسمية يبقى قاطفوها محدودين ومضغوطين في هامش أيام تمرّ سراعاً وملأى بالأمسيات والندوات والفعاليات التي لا يتمكن أكثر زائريها نشاطاً من اللحاق بما يجري في القاعات والمعارض..!

وقياساً بما تمتلكه أرض الجنادرية من استعداد لتحقيق الاستمرارية على مدار العام؛ فإنه بات من الجدير التفكير في تحويل الأنشطة الموسمية إلى سلسلة برامج متواصلة على مدار العام، بحيث تبقى الجنادرية نابضة وحيوية، ومفتوحة الأبواب لمن أراد تصفح الواقع الحضاري لهذه البلاد، على ما هو عليه من تباين واختلاف وانفتاح، سواءً من خلال الأنشطة المنبرية أو من خلال المعارض التراثية.

ولعلّ في مدينة "أصيلة" نموذجاً ناجحاً لالتقاء الماضي بالحاضر، والثقافة بالتراث. وفوق ذلك؛ فإن النشاط الثقافي في تلك المدينة المغربية لا ينحصر في أعمال موسمية، ولا يحتاج منظمو فعالياتها إلى جهود مضاعفة وميزانيات كبيرة لاستقبال الضيوف والسياح والأيدي والعقول المبدعة.

لقد أنجزت الجنادرية الكثير وقدمت العديد من البرامج، وأكدت هوية هذه البلاد الثقافية القائمة على تفعيل دور الملتقيات الفكرية وصناعة فعل ثقافي شاركت فيه عقول عربية وعالمية، ناهيك عن العقول المحلية. إلا أن ذلك لا ينفي حاجة هذا المعلم الثقافي إلى تطوير جديد يتناسب مع تطور الحياة، واحتياجات الثقافة والتراث في عالم متجدد. وفي مقدمة أعمال التطوير ضخ دماء جديدة في أوردتها وأفكار جديدة.

لقد حظيت الجنادرية بمن يعمل بجد وإخلاص وتفانٍ، وهذا كافٍ لأن تواصل الارتقاء والارتقاء.

* إعلامي سعودي



# الترس
# المحرك في كل محرك

الملف

إعداد فريق التحرير

ما الذي يدعونا إلى التوقف أمام الترس في هذا الملف؟

أمن الضروري حقاً أن نتعرف إليه عن كثب ونحن نادراً ما نلحظ وجوده من حولنا؟

وما الذي يمكن أن يُقال بشأنه وصورته تقتصر على قرص بسيط مسنن عند حافته؟

والجواب هو أن العلم يقوم على مجموعة عملاقة من المبادئ البسيطة في شكلها الأولي، ومن مهمات الثقافة استكشاف أهميتها وجاذبيتها.

وعندما نتطلع اليوم إلى ما هو أبعد من النتائج والفوائد التي تعود بها علينا التطورات التقنية؛ لنصل إلى تفاصيلها وما قامت عليه، نجد الترس أو العَجَلْ الصناعي، كما يسميه البعض، في صميم المسيرة التي أوصلت حضارتنا إلى مستوى من التقدم والرفاهية لم يكن يخطر على البال قبل مئة عام فقط. وأكثر من ذلك، يمكن القول إن الترس هو الجوهرة الأساس في تطور الآلة والصناعة، ويختصر أكثر من أي شيء آخر قدرة الإنسان على الملاحظة والتحليل واستكشاف قوانين الطبيعة للاستفادة منها في السيطرة على المادة وإنتاج ما يعود عليه بالفائدة.

فمع فريق التحرير وهذه الرحلة إلى عالم الترس الصناعي.

David Ridge@pBase

الترس

# نادراً ما نلحظ وجوده

ولكن الأمر لا يعود إلى أنه نادر الوجود.

فهو حاضر في كل آلة ميكانيكية أو كهروميكانيكية من ساعة اليد، إلى موجه الدفع في محركات ناقلات النفط العملاقة. هو نفسه وإن كان بأحجام أو مواد مختلفة، فهو حاضر في كل مصنع مهما كانت السلعة التي ينتجها، وفي السيارة والدراجة الهوائية والمكوك الفضائي ومحرك الثلاجة والطابعة الإلكترونية ومفتاح معلبات الأطعمة وفي كل شيء متحرك من جمادٍ صنعه الإنسان، حتى ولو كان لعبة أطفال.

ولتفسير قلة ما نلحظ وجوده لا يكفي القول إنه غالباً ما يكون موضباً ضمن الآلة بعيداً عن الأعين. فصورته تقفز أمامنا مرات عديدة في اليوم من دون أن نعيرها الانتباه اللازم. إذ نراه ضمن شعارات وزارات الصناعة، والشركات الصناعية، والمصارف وعلى أعلام بعض الدول، وطوابع البريد وبعض العملات المعدنية والورقية، ومقدمات البرامج الاقتصادية على شاشة التلفزيون.. إنه حاضر من حولنا أكثر من أي شيء آخر ابتكره الإنسان على مر العصور، وكأنه العمود الفقري لحضارتنا وما نحن عليه، وهو بالفعل كذلك.

## ما هو الترس؟

رغم تعدد أنواع التروس وأشكالها والمواد التي تُصنع منها في العصر الحديث، يمكن القول إن أساس الترس واحد وبسيط بقدر ما هو عبقري. إنه مجرد قرص أو عَجَلٍ من مادة صلبة يحمل نتوءات على طول حافته تسمى "أسنان". والغاية منه نقل الحركة الدائرية والقدرة من جزء من الآلة إلى جزء آخر.

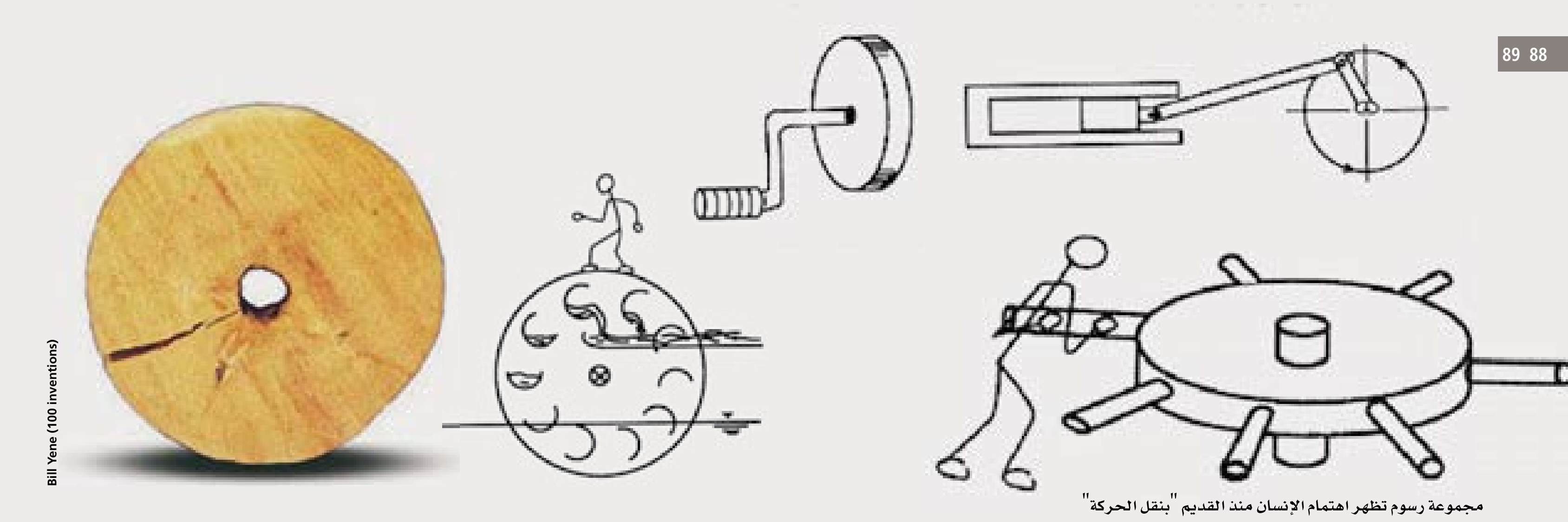
ولنقل هذه الحركة يجب أن يكون هناك ناقل ومنقول إليه، وبالتالي فإن التروس تعمل دائماً بازدواج. فيكون الترس الأول مثبتاً في وسطه على محور متصل بمصدر الحركة كالماء أو المحرك الكهربائي أو النابض المعدني، وعندما يدور هذا المحور يدور الترس معه. ولكن أسنان هذا الترس تكون متشابكة مع أسنان ترس آخر فيدور هذا بدوره في اتجاه معاكس وبسرعة وقدرة محددتين سلفاً للقيام بمهمة نافعة.

وبشكل عام يمكن القول إن استخدام التروس يكمن في نقل الحركة في اتجاهات مختلفة عن اتجاه مصدرها الأولي، وأيضاً في تغيير سرعة الدوران بين الأجزاء المختلفة من الآلة؛ لتتمكن من العمل بسرعات مختلفة عن سرعة الدوران الأولية المنطلقة من المحرك. وكلما ازدادت الآلة تعقيداً وتعددت مهماتها، فلا بد وأن يزداد عدد التروس التي تضمها.

ويُقاس أداء زوج من التروس بما يعرف بـ "القيمة النسبية"، وهي نسبة عدد الأسنان في الترس الصغير مقارنة مع عددها في الترس الكبير. وهذه النسبة هي التي تحدد بدقة مقدار عزم التدوير المنقول ما بين الترسين. فإذا كان عدد الأسنان في أحد الترسين 20 والآخر 80، فإن القيمة النسبية هي 1 : 4. أي أنه عندما يدور الترس الكبير دورة واحدة، فإن الترس الصغير يكون قد دار 4 دورات. وبالتالي، عندما يكون الترس الصغير هو الذي يدير الكبير، فإنه يسمّى "ترس التخفيض" لأنه يقلل سرعة الدوران بمقدار ثلاثة أرباع. وعندما يكون الترس الكبير هو الذي يُدير الصغير فإنه يُسمّى "ترس التضعيف"؛ لأنه يضاعف سرعة الدوران أربع مرات.

والتروس أنواع. أقدمها وأبسطها الترس المهمازي الذي تكون أسنانه موازية للمحور. وهناك الترس اللولبي الذي تكون أسنانه غير موازية للمحور، وميزته في أنه يجعل الترس يصدر ضجيجاً أقل عند الدوران بسرعة كبيرة، ولكنه يبدد الطاقة أكثر من الأول، وهو




Bill Yene (100 inventions)

مجموعة رسوم تظهر اهتمام الإنسان منذ القديم "بنقل الحركة"

kedzierski2005
pBase archive
Howard Passman
pBase archive
m Anderson

لا حدود لاستعمالات الترس: نواعير، بكرات، دراجات، وعدادات ميكانيكية صغيرة

بالتالي أقل فاعلية منه. وهناك أنواع أخرى، مثل ترس عظم الرنجة الذي تكون أسنانه على شكل V، والترس الدودي الذي يدير ترساً أصغر له شكل "قلاووظ" ملتف حول محور، والترس المخروطي، وترس الجريدة المستخدم في بعض السيارات والذي يتألف من ترس مهمازي، وجريدة مسننة على إحدى جهتيها يحركها الترس ذهاباً وإياباً. وأخيراً هناك الترس الكوكبي المستخدم في السيارات الأوتوماتيكية وهو يتألف من مجموعة تروس مهمازية تدور حول ترس مركزي يُدعى الترس الشمسي.



# الترس تاريخه

حتى القرن الثامن عشر، كانت التروس تُصنع إما من الخشب إذا كانت كبيرة؛ لاستخدامها في الطواحين والنواعير والرافعات على سبيل المثال، وإما من البرونز أو النحاس إذا كانت صغيرة معدّة للاستخدام في الآلات الدقيقة. ولكن مع تطور صناعة التعدين بدءاً من القرن الثامن عشر، صارت تُصنع من مواد عديدة منها الحديد والفولاذ والفولاذ المقوّى بالماس وحتى البلاستيك. إذ ان دراسات احتساب الأداء المطلوب من الترس أصبحت سهلة ومتطورة إلى درجة مكّنت من الاستغناء عن المواد الثقيلة، حيث لا ضرورة لها، والصلابة الزائدة عمّا تتطلبه المهمات المنوطة بالترس.

إلى ذلك تجدر الإشارة إلى أنه لكل ترس عمر محدد مهما طال. فنقل الحركة من ترس إلى آخر يتم عبر احتكاك الأسنان ببعضها وتشابكها، وهذا الاحتكاك يؤدي إلى تآكل الأسنان بمرور الوقت، خاصة في تروس المصانع التي تنقل مقادير كبيرة من عزم الحركة. ولإطالة عمر الترس لجأ الإنسان إلى تشحيمه بالمواد اللزجة التي تسهّل انزلاق الأسنان على بعضها عند تعشيق ترس آخر. في الماضي، كانت هذه المواد عبارة عن شحوم الحيوانات والزيوت النباتية. أما اليوم، فقد تطورت صناعة زيوت التشحيم البتروكيميائية، وخصّت التروس الصناعية بمجموعة كبيرة من زيوت التشحيم.

على الرغم من تحوله رمزاً للصناعة والحداثة في عالمنا المعاصر، فإن الترس ليس حديث العهد على الإطلاق.

إنه ابن العجلة، وظهر بعدها ببعض الوقت، ولكن المراجع التاريخية لا تزال عاجزة عن تحديد عمره بدقة. كما أنه ما استطاع أحد حتى الآن الجزم بتاريخ اكتشاف العجلة. وإن كانت غالبية المؤرخين ترد هذا الاكتشاف إلى بلاد ما بين النهرين. إذ ان أقدم إثبات ملموس وصلنا عن وجود عربة متحركة على عجلات جاء في نص مسماري من حوض الفرات يعود إلى العام 3500 ق.م. كما أن أقدم دولاب لصناعة الخزف عُثر عليه في العالم يعود إلى المنطقة نفسها وإلى العام 3200 ق.م. ولذا يمكن القول إن السومريين لم يكونوا فقط أول من اكتشف العجلة بشكلها الدائري، بل أيضاً أول من نجح في استنباط مفهوم الحركة الدائرية المستديمة للاستفادة منها.

يفتقر المؤرخون وعلماء الآثار إلى الأدلة القاطعة حول مسيرة تطور العجلة في ذلك الزمن.

ولا يوجد في هذا الشأن أكثر من النظريات والترجيحات التي تقول إن العجلات الأولى المستخدمة للنقل لم تكن أكثر من جذوع الأشجار.

ولأن هذه الأشجار كانت في البداية غليظة وعلى قدر كبير من الاحتكاك بالأرض، وتتطلب بالتالي جهداً كبيراً من الذي يجر حمولتها (أو يدفعها)؛ راح المستفيدون منها يطورونها بإضافة أقراص مستديرة من الخشب أو الحجر عند طرفيها لرفعها عن الأرض ومن ثم تمّ تخفيف غلاظة الجذع حتى الحد الأدنى الذي يمكنه أن يبقي العجلتين ملتصقتين به ويحمل الوزن المطلوب نقله. ومن ثم، بالملاحظة والتجربة، اكتشف الإنسان أن من الأفضل للعجلة أن تدور بشكل حر حول محور ثابت، لأن ربط العجلتين بمحور متحرك يمنعهما من الدوران بسرعات مختلفة مطلوبة عند المنعطفات. واستغرقت هذه التطورات البطيئة نحو ألف وخمسمئة عام تقريباً، فحوالي العام 2000 ق.م. فقط ظهرت العجلة المفرّغة أي المؤلفة من إطار دائري مثبت إلى نقطة الوسط بمجموعة شعاعات. كما أن



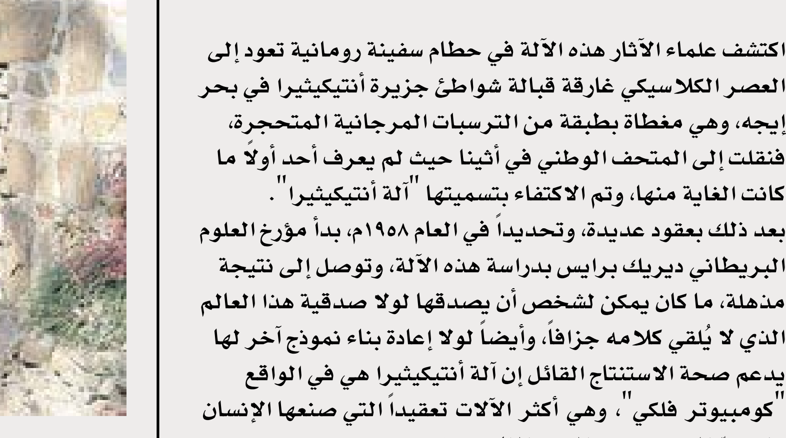
Joe Kiselis(early inventions)

الرافعة والعربة الخشبية.. بدايات الحاجة إلى الترس واستعمالاته









## آلة أنتيكيثيرا.. الكمبيوتر الأول

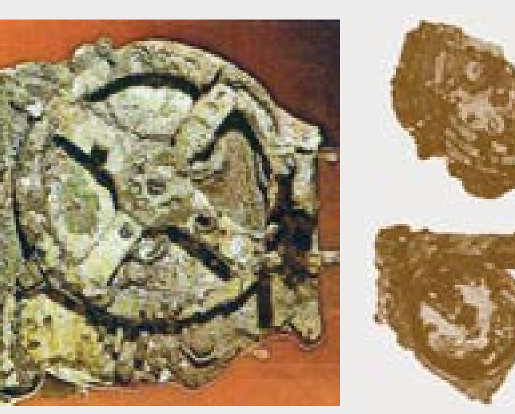
اكتشف علماء الآثار هذه الآلة في حطام سفينة رومانية تعود إلى العصر الكلاسيكي غارقة قبالة شواطئ جزيرة أنتيكيثيرا في بحر إيجه، وهي مغطاة بطبقة من الترسبات المرجانية المتحجرة، فنقلت إلى المتحف الوطني في أثينا حيث لم يعرف أحد أولاً ما كانت الغاية منها، وتم الاكتفاء بتسميتها "آلة أنتيكيثيرا".

بعد ذلك بعقود عديدة، وتحديداً في العام ١٩٥٨م، بدأ مؤرخ العلوم البريطاني ديريك برايس بدراسة هذه الآلة، وتوصل إلى نتيجة مذهلة، ما كان يمكن لشخص أن يصدقها لولا صدقية هذا العالم الذي لا يُلقي كلامه جزافاً، وأيضاً لولا إعادة بناء نموذج آخر لها يدعم صحة الاستنتاج القائل إن آلة أنتيكيثيرا هي في الواقع "كومبيوتر فلكي"، وهي أكثر الآلات تعقيداً التي صنعها الإنسان على مرّ العصور حتى القرن الثامن عشر.

كانت هذه الآلة في الأصل ضمن علبة خشبية تشبه علب الساعات القديمة التي كانت توضع على الطاولة، أما داخلها فكان يتألف أساساً من مجموعة تروس تتضمن ثلاثين ترساً من أحجام مختلفة، إذا تحرك واحد منها تحركت التروس كلها دفعة واحدة؛ ليشير كل منها إلى معلومات فلكية عديدة مثل المراحل القمرية ومواعيد الخسوف والكسوف، ومواقع الأبراج، وحركة الشمس وباقي الكواكب التي كانت معروفة من المجموعة الشمسية آنذاك، وذلك استناداً إلى معلومة واحدة ملقمة في موضع واحد من الآلة وتتعلق بكوكب واحد.

آنذاك.. أي في العام ٨٠ ق.م. والتاريخ الدقيق لا يعود إلى تحليلات علماء الآثار لحطام هذه الآلة أو لحطام السفينة الغارقة، بل لما ثبتت عليه مؤشرات هذه الآلة عند غرقها والتي تشير إلى معلومات فلكية محددة، عرف برايس من خلال مقارنتها بالجداول الجاهزة أنها كانت صحيحة كلها دفعة واحدة في العام ٨٠ ق.م. فقط.

فبعدما كانت المصادر اليونانية والرومانية قد أشارت إلى وجود آلتين في صقلية خلال القرن الثالث ق.م. لمعرفة مواقع الكواكب ومتابعة حركتها (من دون تأكيد على أن أرخميدس كان مخترعها)، وبعدما شكك الكثيرون في صحة مثل هذه الأخبار، جاء الاكتشاف في العصر الحديث مؤكداً صحة الأمر، ودليلاً لا مثيل له عما يمكن لمجموعة تروس صغيرة أن تقوم به.. ألا وهو تحركها كلها وفق برنامج محدد يشير إلى كل المتغيرات في نطاق معين فور تغيير المعطيات في مكان آخر. وهو المبدأ الأساس الذي يقوم عليه برنامج الكومبيوتر الحديث.

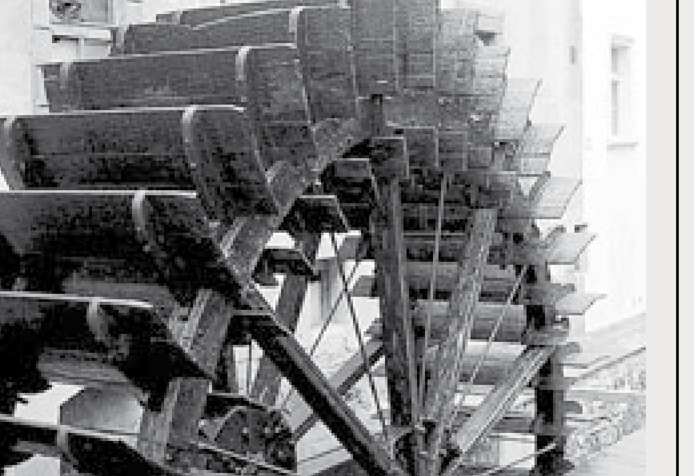




pBase archive



Howard Passman



pBase archive

استنباط المحور الأمامي للعربات القابل للتحرك بعجلتيه في الاتجاهين (يميناً ويساراً) للانعطاف، لم يظهر إلا بعد ذلك بنحو ألفي عام أيضاً.

أما بالنسبة إلى الترس، فيبدو تاريخه القديم أشد غموضاً من العجلة. وهناك فجوة هائلة في معرفتنا لتطوره ما بين الألف الثاني والقرن الثالث قبل الميلاد.

المؤكد أن الفراعنة استنبطوا الرافعة، وربما في وقت واحد مع بلاد ما بين النهرين. وإن كان استخدام الرافعات في بناء الأهرامات لا يزال مجرد تكهن يفتقر إلى الإثبات، فقد وصلتنا من مصر الفرعونية "البكرة" المستخدمة في رفع الماء من الآبار من الألف الثاني ق.م. والبكرة كما هو معلوم، قرص يدور حول محور ثابت يحرك عند دورانه حبلاً مشدوداً إلى حافته.

## ولكن ما علاقة البكرة بالترس الصناعي؟

المبدأ هو نفسه: نقل الحركة من مكان إلى آخر وبشكل آخر. فبنية ذراع الإنسان تسمح له بتحريك شيء ضمن دائرة كاملة، أي 360 درجة. وعندما كان هذا الإنسان يلف حبل البكرة من أحد طرفيه حول أسطوانة: ليرفع الماء من البئر، فإن ذراعه تكون عاملة بشكل دائري، والبكرة أيضاً، ولكن الحبل الذي يحمل الماء يتحرك صعوداً في خط مستقيم.

لا شك في أن المعضلة المتمثلة في إبدال الحبل الذي يدور حول البكرة بجسم صلب لتلبية حاجة معينة، هو التحدي الذي نجح الإنسان في مواجهته عندما خطرت له فكرة حفر أسنان عند حافتي قرصين خشبيين تسمح للواحد أن يدير الآخر من دون أن ينزلق عليه.

## عصر أرخميدس وما حوله

ينسب بعض المؤرخين إلى عالم الرياضيات والمخترع الإغريقي أرخميدس (287 – 212 ق.م.) اكتشاف البكرة والرافعة والترس المسنن من جملة ما اكتشفه واخترعه في عصره. والأمر غير دقيق تماماً. غير أن أرخميدس كان في الواقع أكثر من أنجز أشياء مذهلة بتطويره لهذه الابتكارات ودراسة القوانين النظرية التي تتحكم بأدائها. حتى يُقال إنه صنع رافعة مكنته من جر سفينة إلى اليابسة بواسطة واحدة!؟

معظم ما نعرفه اليوم عن منجزات أرخميدس العلمية يعود إلى ما وردنا عنه في كتابات العالم الروماني فيتروفيوس الذي عاش في القرن الأول ق.م. وترك لنا كتاباً من عشرة أجزاء يؤكد أن الترس الخشبي كان معروفاً في عصر أرخميدس، وذا استعمالات كثيرة في الآلات كالرافعات والبكرات. أما العالم الروماني الآخر هيرو الإسكندراني الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد أيضاً، فقد اختبر الترس بنفسه عندما اخترع أول آلة لقياس المسافات استناداً إلى عدد دورات العجلات في عربية بين مكان وآخر. وابتكر لهذه الغاية جهاز نقل الحركة من عجلة العربة بواسطة التروس إلى صندوق يحوي حبيبات معدنية كروية الشكل. وعند كل دورة عجلة تسقط حبة في صندوق آخر. وهكذا يمكن تحديد المسافة من خلال الاكتفاء بعد الحبّات في الصندوق عند توقف العربة.

### الترس في اللغة

لا تفيدنا المعاجم العربية عن تاريخ تسمية العَجَلِ الصناعي بـ "الترس". ولكن من المرجح أن ذلك يعود إلى تشابهه الشكلي مع أداة الدفاع العسكرية التي تحمل الاسم نفسه، خاصة عندما كان العجل الصناعي قرصاً كاملاً غير مفرّغ إلى عجلة وأشعة.

وبسبب قيام الثورة الصناعية في بريطانيا وأمريكا أولاً؛ لم تتطور فقط المفردات اللغوية الخاصة بعالم الترس بحد ذاته، مثل كلمة "Pitch" التي تعني المسافة بين سن وآخر من الترس، و"Ratio" التي تقيس أداء ترس مقارنة مع آخر، بل دخل الترس الذي يسمّى بالإنجليزية "Gear" في تعابير مجازية لا علاقة مباشرة لها بالصناعة، ومنها على سبيل المثال:

– In Gear: منضبط، شخص نظامي في عمله.
– Out of Gear: مختل، مشوش، متوقف عن العمل.
– Got out of gear: تقال للساعة التي تتوقف عن العمل.
– Gearing the economy to: توجيه الاقتصاد وضبطه لغاية معينة.
– Hunting gear: مستلزمات الصيد.

ومن باب الاستعارة، بات من الممكن تسمية مجلة وبرنامج تلفزيوني مختصين بشؤون السيارات "توب غير" أي "الترس الأعلى".

وبتجاوز "آلة أنتيكيثيرا" التي نفرد لها مساحة خاصة في مكان آخر من هذا الملف نظراً إلى فرادتها في التاريخ، يمكن القول إن الرومان كانوا أول المستفيدين بعد الإغريق مما توصل إليه هؤلاء من تطوير في استخدامات الترس، خاصة في مجال بناء النواعير والطواحين المائية والرافعات التي كانت تستخدم في أعمال البناء وتفريغ السفن من البضائع. ثم جاء الدفع الأكبر في العصر الوسيط لتطوير استخدامات الترس على أيدي العرب.

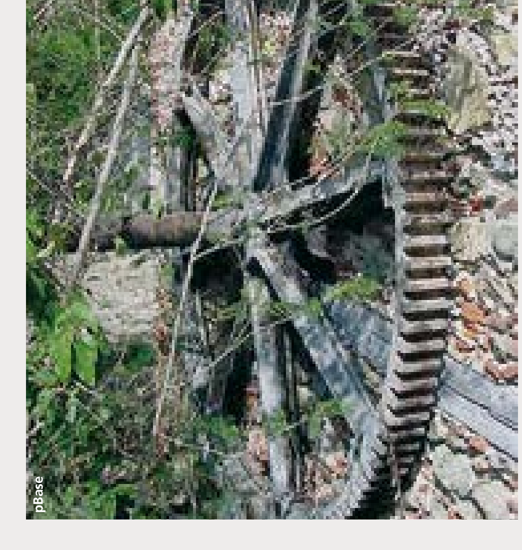
## عصر بني موسى بن شاكر

بنو موسى هو الاسم الذي يعرف به أبناء موسى ابن شاكر الثلاثة الذين عاشوا في القرن التاسع الميلادي وتربّوا في عهدة الخليفة المأمون بعد وفاة والدهم. وبرعاية مستمرة من الخليفة، أصبح محمد وهو أكبر إخوته عالم فلك ورياضيات، وبرع أحمد في الميكانيكا، والحسن بالهندسة الأوقليدية.

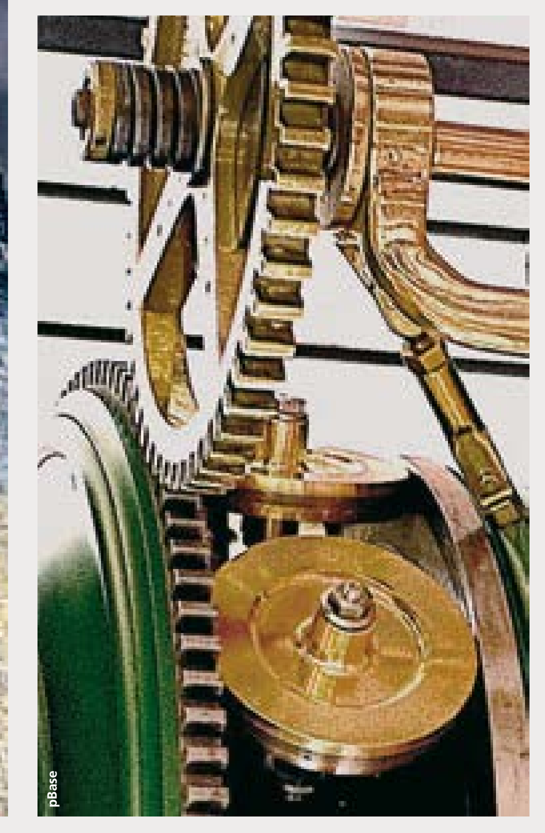
وبعدما انطلق الإخوة الثلاثة من دراسة وهضم كل ما سبق أن اكتشف واخترع على أيدي الإغريق، حققوا من الإنجازات العلمية والاختراعات الميكانيكية ما تجاوز إلى حد بعيد كل ما اكتشفته حضارات العلم حتى أنذاك. وقد وضع الأشقاء الثلاثة مجموعة من الرسائل العلمية منها ما هو حول موازين الحبوب، وقياس المسطحات والمساحات الكروية، وتقسيم الزوايا، والحركة الأولى للكرة وبداية العالم وحول الذرّة.

وينسب إلى أحمد وحده كتاب "الحيل" الذي تُرجم مؤخراً إلى الإنجليزية، لما يحتويه من ابتكارات ونظريات في علم الميكانيكا لم يستطع علماء العالم من التوصل إلى ما يشبهها لقرون طويلة من بعده. ومن ابتكارات أحمد التي نذكرها على سبيل











pBase

المثال لسهولة قراءتها ولأنها وصلتنا مصورّة، فانوس آلي التلقيم، يعمل بكرة عائمة تتحرك نزولاً كلّما انخفضت كمية الزيت الباقية فيه، فتحرك بواسطة مجموعة تروس الفتيل صعوداً نحو الهواء ليستمر الاشتعال لأن النار تأكل الفتيل بمرور بعض الوقت، ويحتاج إلى سحب من داخل الفانوس.

وفي القرن التالي وضع أبو عبدالله الخوارزمي موسوعته العلمية "مفاتيح العلوم" التي تضم قسماً خاصاً بالمكوّنات التي استخدمها "صنّاع الآلات العجيبة"، وتؤكد أن الترس كان في صلب هذه المكونات، وتدعم صحة الأخبار التي وردتنا عن صناعة أدوات زينة متحركة مثل شجرة من معدن ثمين تتحرك عليها دمى تمثل الطيور.

ومن أهم تطبيقات الترس التي برع فيها العرب استناداً إلى أبحاث بني شاكر، كانت صناعة الساعات كبيرة الحجم. فقد وصلنا من رضوان ابن الساعاتي كتاب ضخم وضعه لوصف الإصلاحات التي أجراها للساعات التي أنشأها والده عند بوابة جيرون في دمشق في العام 1160م، ويتضمن حديثاً عن مجموعة كبيرة من التروس ناقلة الحركة.

سراج آلي الحركة من تصميم أحمد بن موسى بن شاكر في القرن التاسع الميلادي

ومن القرن الثالث عشر الميلادي، وصلنا كتاب "الآلات" لابن الرزاز الجزري، الذي أنجزه في ديار بكر عام 1206م. وكان هذا العالم الذي انشغل لمدة ربع قرن في خدمة الأسرة الأرتقية الحاكمة، قد أبدع العديد من الأدوات الدقيقة لاستعمالات أسياده، إلا أنه ترك أيضاً مجموعة دراسات تناولت مشروعات كبرى ذات منفعة عامة. وأهمها النواعير وسواقي المياه، التي وصلت على يديه كما تدل الرسوم التي تزين مخطوطاته إلى مستوى فائق التطور والتعقيد

Arabic Inventions

من تصاميم تقي الدين محمد ابن معروف في كتابه "الكواكب الدريّة"

لجهة استخدام التروس الكثيرة في ضبط حركة السواقي والنواعير والطواحين.

ومن ألمع علماء العرب في الميكانيكا، وربما آخرهم، تقي الدين محمد ابن معروف عالم الفلك الذي وُلد في دمشق أو القاهرة وتوفي في اسطنبول عام 1585م. فمن بين مؤلفاته العلمية الكثيرة، وصلتنا نسختان من كتابه "الكواكب الدرية" الخاص بصناعة الساعات الميكانيكية. ويتضمن هذا الكتاب العائد إلى العام 1559م، ثلاثة وستين رسماً لآليات الساعات بكل ما فيها من تروس ناقلة للحركة.

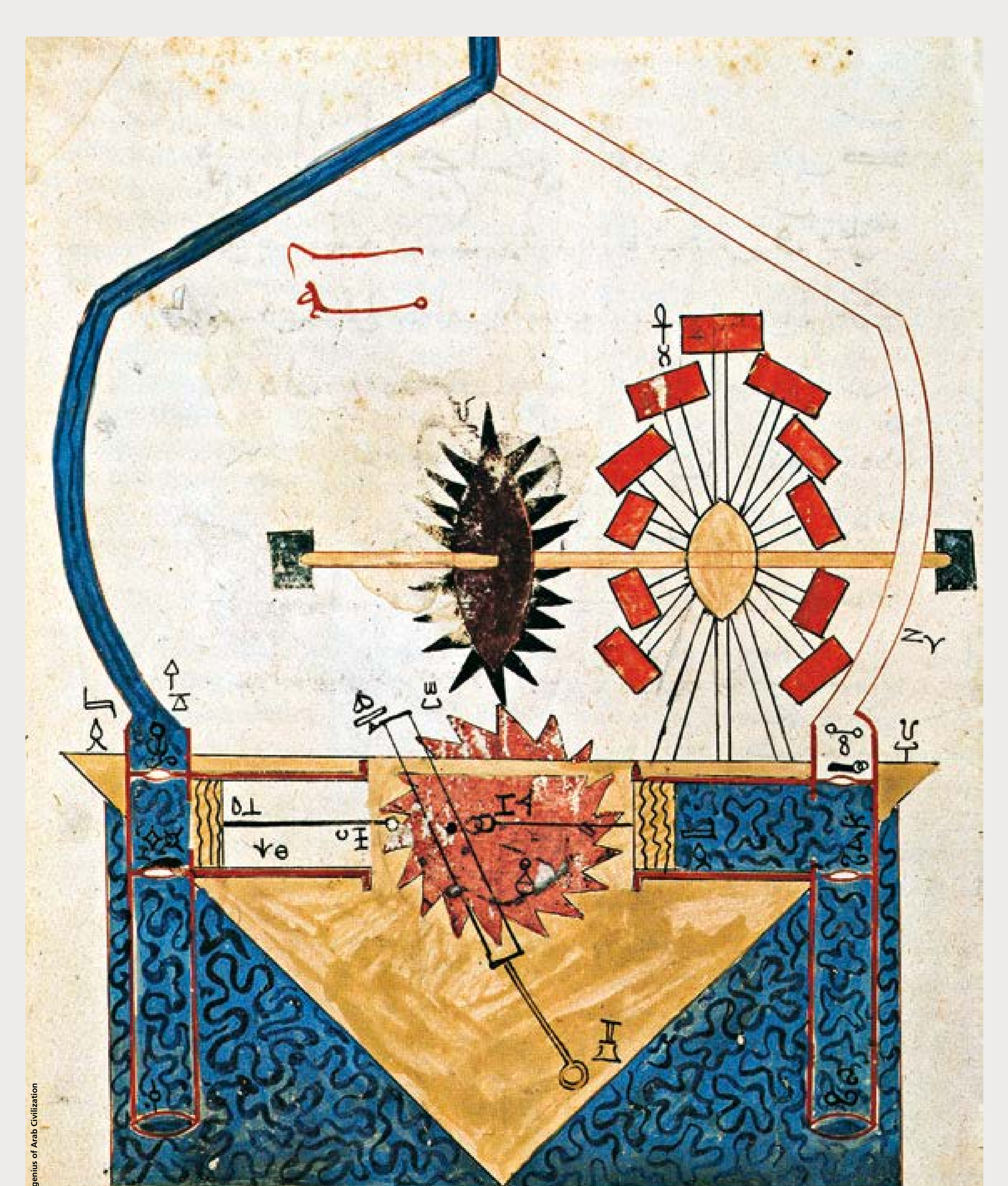
في ذلك العصر كانت أوروبا تصوغ نهضتها. غير أنها لم تضف آنذاك الكثير على ما أنجزه العرب، إلا إذا استثنينا محاولات ليوناردو دي فينشي اختراع آلات جديدة، تؤكد رسومه لها أن التروس بقدراتها الحركية تحتل مكانة أساسية فيها.

وببطء أولاً، راحت الآلة تتطور في أوروبا، وتكاثر استعمال الترس ولكن بالبطء نفسه، حتى كانت الثورة الصناعية في القرن السابع عشر.

## الترس والثورة الصناعية

يُطلق المؤرخون اسم "الثورة الصناعية" على العصر الذي تسارعت فيه التطورات التقنية والعلمية، وتحديداً ما بين العام 1712م تاريخ اختراع أول محرك بخاري في بريطانيا على يد توماس نيوكومن، والعام 1913م تاريخ ظهور أول سكة تجميع في معمل هنري فورد للسيارات في أمريكا. وصحيح أن كل حقول المعرفة الإنسانية تطورت بشكل هائل في هذه

the genius of Arab Civilization



الفترة بما فيها الطب وعلم الأحياء والرياضيات، ولكن الآلة الميكانيكية كانت وبقيت ولا تزال في قلب هذه التطورات؛ لأنها تشكل حاجة إلى تطوير باقي الميادين، كما أنها بحد ذاتها هدف دائم للتطوير كي تصبح أفضل وتؤدي المزيد من المهمات.

ولهذا جمع المؤرخون كل تطورات ذلك العصر تحت اسم "الثورة الصناعية"، وقسّم هؤلاء هذا العصر إلى مرحلتين: المرحلة الأولى (1712 - 1830م) وسموها مرحلة النسيج والبخار، ومرحلة ثانية (1830 - 1912م) وهي مرحلة الكيمياء (خاصة في مجال التعدين) والكهرباء. وفي المرحلتين كانت الآلة الميكانيكية في الصميم، والترس في صميم الآلة.. كل آلة، سواء أكانت هذه الآلة مخصصة للإنتاج الزراعي، أو صناعة النسيج أو النقل البري والبحري (والجوي بدءاً من العام 1903م)، أو لتوليد الطاقة، أو الاتصالات، وصولاً إلى الآلة صانعة أدوات الآلات الأخرى.

منذ ذلك العصر، صار كل اختراع يؤدي إلى مجموعة اختراعات، وكل واحد من



matt@pbase

هذه الاختراعات يحتاج إلى ابتكارات جديدة وأدوات تسمح بتنفيذه.. وما من شيء مشترك بين أول السلسلة وآخرها غير الترس الحاضر دائماً في كل آلة متحركة.

مبدأ عمل الترس كان هو نفسه وبقي كذلك، ولكن إنتاجه واجه تحديات جديدة. فمتطلبات الصناعة الجديدة من التروس أصبحت أكبر من أن تتمكن الأيدي الحرفية من تلبيتها. كما أن الدقة في المقاسات أصبحت مسألة بالغة الأهمية.

في العام 1775م اخترع البريطاني جون ويلكنسون أول آلة ثقب بالغة الدقة، (وهو ويلكنسون نفسه الذي نقرأ اسمه على شفرات الحلاقة اليوم)، الأمر الذي مكّن جيمس واط في العام نفسه من صناعة أول محرك بخاري فاعل عملياً بعد المحرك الأولي الذي كان نيوكومين قد اخترعه قبل ستين عاماً. بعد ذلك بقليل صمّم بريطاني آخر يُدعى هنري مودسلي أول مخرطة دقيقة للمحركات، وطوّر جهاز القياس الدقيق المعروف باسم "الميكرومتر". وبلغ الهوس بالدقة ذروته عندما اخترع جوزف ويتورث آلة قياس دقيقة حتى جزء واحد من مليون من البوصة.

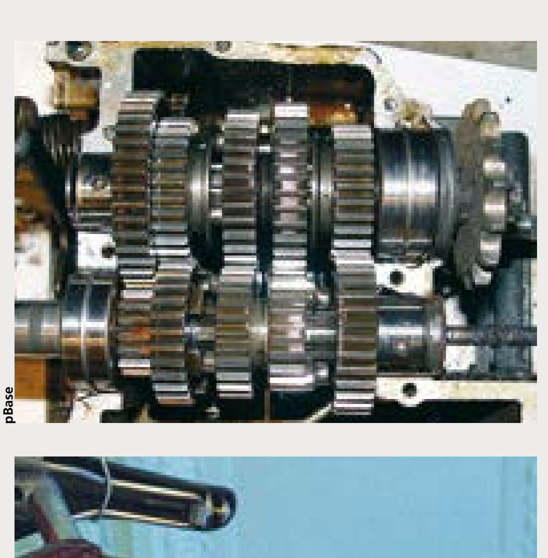
تضافرت هذه الابتكارات مع غيرها من الاحتياجات إلى دفع ريتشارد روبرتس إلى تطوير مخرطة المعادن بحيث أصبحت أقوى، ولاحقاً إلى اختراع أول آلة لقطع التروس. وكان إنتاج التروس بالجملة وبمواصفات ومقاييس دقيقة للغاية، هو ما جعل بناء الآلات بالكثرة المطلوبة أمراً ممكناً، وبالتالي من الثورة الصناعية ككل واقعاً ملموساً غيّر معالم الحياة على الأرض جملة وتفصيلاً، بدءاً من الشرائح الاجتماعية في المدن وصولاً إلى الفلسفة والأدب مروراً بالسياسة والاقتصاد والتجارة والرفاهية وحتى استعمار بعض الشعوب لبعضها الآخر.

وعلى مدى القرن العشرين بأكمله استمرت الصناعة في تقديم آلاف المنتجات التي سهّلت أمور الحياة وزادت من رفاهية الإنسان (وربما في بعض الأحيان من شقائه). ولم يقتصر دور الترس على الإنتاج، بل شكّل جزءاً أساساً من مئات التطبيقات الميكانيكية التي دخلت بيوتنا، بدءاً بكسّارة الجوز اليدوية البسيطة، مروراً بكل ساعة يد ميكانيكية وأي جهاز كهربائي يؤدي أصغر الحركات وأبسطها، وصولاً إلى وسائل النقل من الدراجة

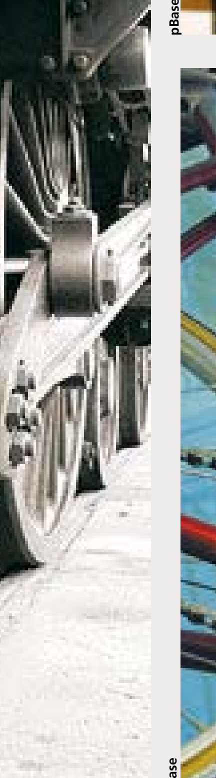
abbeyclock

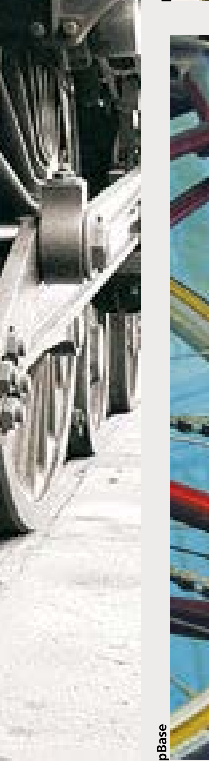
التروس الدقيقة في الساعات..





pBase





pBase

pBase



pBase

.. والمتوسطة والغليظة في المعدات الصناعية

إلى الطائرة النفاثة من دون أن ننسى السيارة التي تدين بالفارق بين ما هي عليه اليوم وما كانت عليه عربات الخيل في الماضي من حيث سلاسة القيادة والسرعة والقدرة على صعود المنحدرات ليس فقط إلى المحرك العامل بالاحتراق، بل أيضاً إلى دور مجموعات من التروس أشهرها تلك التي تتولى نقل الحركة وتعرف باسم "الفيتاس" أو "صندوق التروس".

## شعار الصناعة في صناعة الشعارات

كانت الثورة الصناعية قد امتدّت في أواخر القرن الثامن عشر من بريطانيا إلى أمريكا، وفي مطلع القرن التاسع عشر إلى فرنسا وهولندا وألمانيا وباقي الدول الأوروبية. وحمل المستعمرون الأوروبيون ما تيسّر لهم (أو ما شاءوا) من صناعتهم لزرعها في مستعمراتهم في الشرق الأقصى في الهند والصين واليابان، وسعت روسيا جاهدة أن تنضم إلى هذه المنظومة منذ مطلع القرن العشرين.

وفي العام 1918م، انتهت الحرب العالمية الأولى، وخرج العالم منها بقناعة مشتركة واحدة: القوة والغلبة هما لمن يملك الصناعة المتطورة. وترسّخت هذه القناعة في الحرب العالمية الثانية التي حُسمت بالشكل المعروف بفضل ما كانت الصناعة الأمريكية قادرة على توفيره من منتجات عسكرية وغيرها آنذاك. وهنا ظهرت وظيفة جديدة للترس: الدعاية السياسية. فلبساطة شكله وسهولة قراءته ووضوح ما يرمز إليه، تحول رسم الترس إلى شعار للصناعة. احتلّ بشكل واضح شعارات معظم وزارات الصناعة في دول العالم، وأيضاً شعارات غرف التجارة والصناعة.

والواقع، وإن تساوى العالم في الشرق والغرب على تلقف الترس الصناعي رمزاً وشعاراً، فإن الإقبال عليه في الدول النامية غير الصناعية كان أكبر مما هو عليه الحال في مهد الثورة الصناعية أو حيثما بلغت ذروتها. وكأنه تحوّل إلى عنوان لطموح المجتمعات وتطلعاتها أكثر بكثير مما هو تعبير عن واقع الحال. وأكثر من ذلك، تحوّل على أيدي حكام الدول الفقيرة إلى ما يشبه الوعد السياسي بمستقبل أفضل.

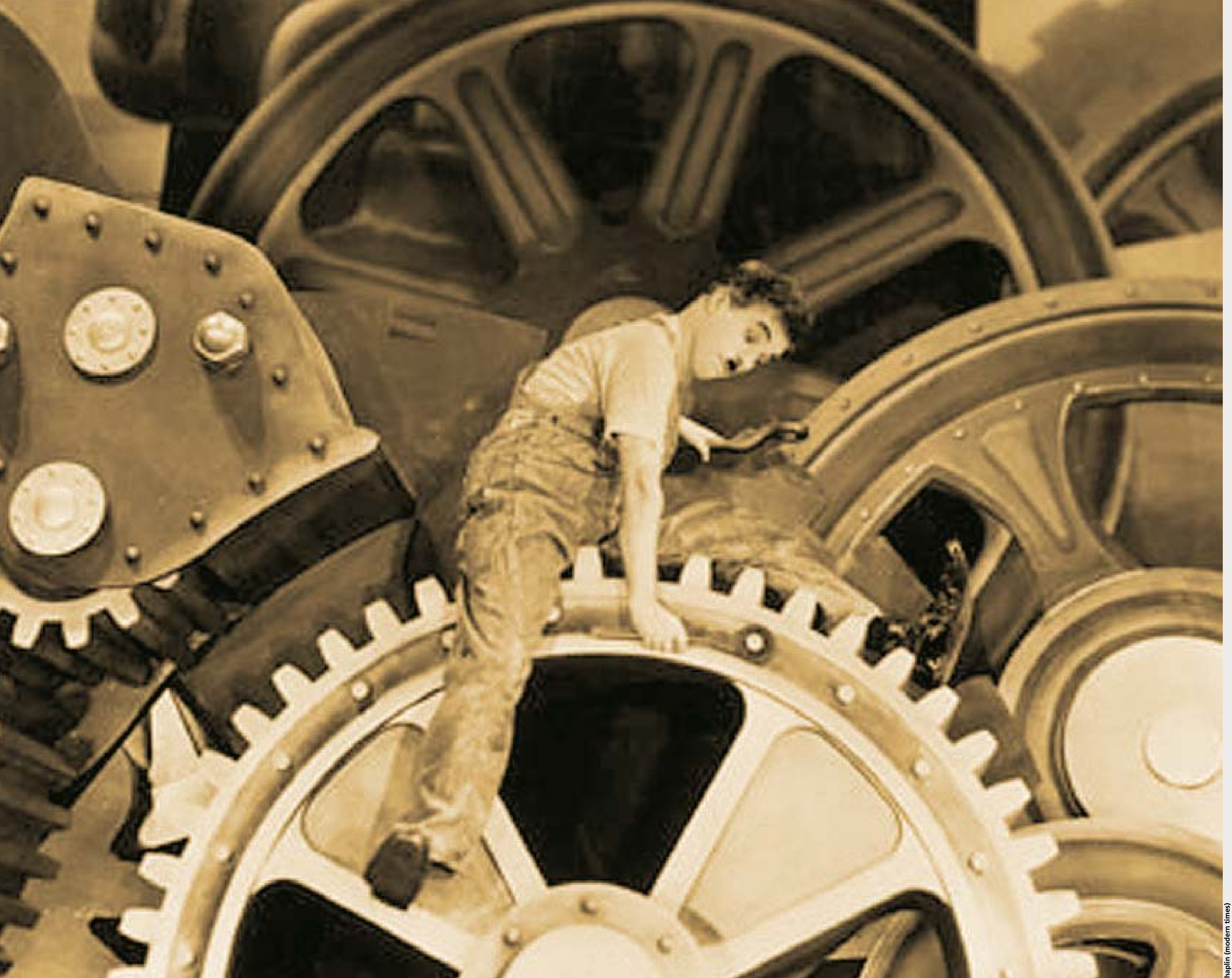
فبإضافة صورة قصر تيانانمين وأربع سنابل قمح وخمس نجوم إلى الترس الصناعي تشكّل شعار جمهورية الصين الشعبية، وبإضافة سكين عريض النصل رمزاً لحصاد المزروعات إلى الترس تشكّل الرمز الذي احتل علم أنغولا، ووضع رأس الثور داخل ترس صناعي شكّل علم حزب الشعب الماليزي.. وصولاً إلى علم أفغانستان الذي احتفظ بالترس الصناعي في الثمانينيات والتسعينيات رغم التعديلات التي طرأت عليه أكثر من مرة.

وفي مثل هذه الدول الطامحة إلى التصنيع أكثر من غيرها (من دون أن يعني ذلك استثناء هذا الغير) خرج الترس من شعارات المؤسسات الحكومية ليحتل مكانة لافتة على الأوراق النقدية والعملات المعدنية وطوابع البريد، والميداليات التذكارية، خاصة إذا كانت لمناسبة إنجاز مشروع صناعي على الصعيد الوطني.

وفي العقد الأخير من القرن العشرين، وبتفكك الاتحاد السوفياتي ومنظومته الاشتراكية، تفكك النهج المحدد في الدعاية السياسية والإعلام الذي كان متبعاً في هذه المنظومة، والذي كان قائماً على المباشرة في الخطاب واستخدام الرمز الواضح توكيداً للوعد.. فتراجعت صورة الترس الصناعي من على الأوراق النقدية وحتى من شعارات بعض الدول والأحزاب، كأنغولا التي تخلت عن الترس كشعار على علمها في العام 2003م، وأحلت محله رسماً للشمس مستوحى من رسم أثري عثر عليه في أحد كهوف البلاد. ولكن ذلك لم يؤد إلى تراجع مكانة الترس في شعارات شركات القطاع الخاص ومصانعه والمؤسسات الاقتصادية في معظم دول العالم.

فتطور فن التصميم وتعددت مذاهبه وتنوع العاملون فيه المشبعون بثقافات مختلفة خلال النصف الثاني من القرن العشرين، أعطى لرسم الترس الزخم الذي خسره من جرّاء خسارته لدور الواعد في البلدان الفقيرة.

وهكذا استمرت هذه الأداة الصناعية البسيطة في فرض نفسها على الشعارات عند تصميمها، حتى أن عدد الشعارات التي تحملها في بلد واحد ذي وضع اقتصادي متوسط، أصبح أكبر من أن يُحصى. أما القطاعات التي تنتمي إليها هذه الشعارات فتتراوح ما بين المصانع على اختلاف منتجاتها، والمؤسسات الحكومية الراعية للصناعة، والمصارف، وصولاً إلى البرامج الاقتصادية على شاشات الفضائيات. فالترس هو الشعار الذي اكتسح كماً وتنوعاً واستعمالاً أي شعار آخر كسنبلة القمح رمز الزراعة والخير، أو الحمامة رمز السلام.




Charly Chaplin (modern times)

شارلي شابلن بطل "الأزمنة الحديثة" فوق ترس/هل تسحق الصناعة الانسان؟

# الترس محركاً للفن

لم تقتصر صورة الترس الصناعي فنياً على الفنون الغرافيكية وتصميمات الشعارات، بل كان أثره أبلغ من ذلك على أعمال العديد من الفنانين، وربما على مسيرة الفن في القرن العشرين.

ففي تفسير للعوامل التي أدت إلى نشوء التجريد الهندسي في فن الرسم خلال العقد الثاني من القرن العشرين، تُجمع المصادر على أن الصناعة بكل ما فيها من آلات وأدوات صناعية ذات أشكال هندسية بسيطة مثل الدائرة أو المربع أو المستطيل، كانت من أهم المؤثرات التي ألهمت الفن التجريدي القائم على التعامل مع هذه الأشكال والأحجام والمساحات.

وأكثر من ذلك، هناك فنانون لم يكتفوا بالتعبير غير المباشر عن أثر الصناعة في عالمهم، بل تناولوها مباشرة في لوحات فنية حافلة بالتروس والعجلات والعتلات ومقروءة بسهولة رغم ملامستها في بعض النواحي التجريد الهندسي. ومن هؤلاء نذكر فرانسيس بيكابيا ودييغو ريفيرا وبشكل خاص فرنان ليجيه الذي يدين بحيز مهم من شهرته إلى لوحاته المستوحاة بوضوح من المصانع والأدوات الصناعية.

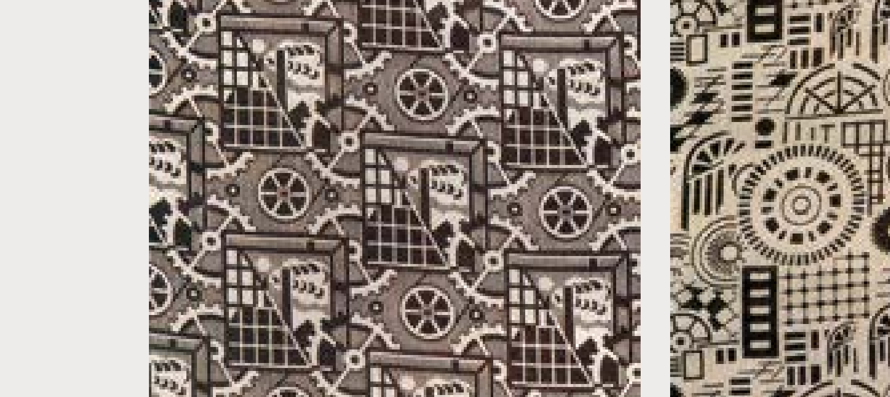
ولكن من جملة ما أخذه النقاد على لوحات فرنان ليجيه، هو ما جاء على لسان الناقد الأمريكي الدكتور فرانسيس أو. كونور لمناسبة المعرض الاستعادي الذي أقيم لهذا الفنان عام 1998م في نيويورك، ومفاده أن هذه اللوحات التي تمكنت من التقاط صرير الترس غير المشحّم وضجيج الحفّار الكهربائي وارتجاجاته، بقيت سطحية إلى حد بعيد، ومجرد تلاعب أشكال هندسية بألوان أولية، وكأن الترس والحفّار والآليات ككل هي الاهتمام الأول والأخير للرسام الذي عجز عن التقاط ما هو أبعد منها. ويقارن الناقد أعمال هذا الرسام الفرنسي بلوحة أخرى رسمها المكسيكي ريفيرا في أحد مصانع السيارات، وتمكن فيها من رسم العمال إلى جانب التروس في جو تتلمس العين حرارته المرهقة، وصخبه المشبع بالحركة الإنسانية التي لا مكان للهدوء فيها.

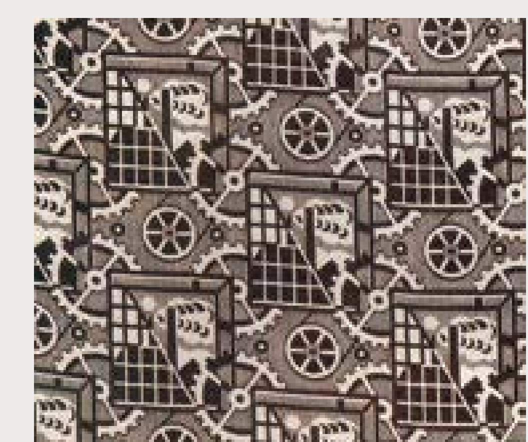
ولكن هذا لا ينفي كون ليجيه فنان الصناعة بامتياز. فإضافة إلى لوحاته العديدة في هذا المجال، أنجز الرجل فيلماً سينمائياً صامتاً عام 1924م، بعنوان "الباليه الميكانيكي".

ونرى الترس الصناعي في هذا الفيلم بطلاً مكملاً لأداء الممثلة، التي نراها في المشهد الأول من الشريط جالسة على أرجوحة، أما المشهد الثاني فكان ترساً صناعياً ضخماً يدير ترساً آخر. ومن ثم عودة إلى الممثلة.. ثم إلى منفاخ صناعي وخفاقة بيض تدور والخ.. وينتهي الشريط لاحقاً بمجموعة مشاهد سريعة تظهر: رأس امرأة، ساقين مبتورين، ساعة، قبعة، وحذاء... وقد زجّ ليجيه باسم شارلي شابلن وصورة ظله في هذا الفيلم في مطلع الفيلم مع العنوان، وفي نهايته أيضاً.

وشارلي شابلن نفسه كان حسّاساً تجاه متغيرات الحياة نتيجة طغيان النشاط الصناعي في عصره، وخصّ الموضوع بفيلمه الشهير "الأزمنة الحديثة" (1936م). فرأيناه في الصورة الدعائية لهذا الفيلم جالساً فوق ترس ضخم، وكأن الترس أصبح رمزاً لا للصناعة فقط، بل للمعاصرة والحداثة ككل.

أما اليوم، فقد تراجع دور الترس في الأعمال الفنية، وعلى الأرجح؛ لأن الحياة الحديثة ألفت وجوده، فصار جزءاً من الواقع، بعدما كان رمزاً للتحول والتغيير. ولهذا فإننا لم نعد نراه على سبيل المثال، إلا في بعض أفلام العنف الرخيصة، حيث تدور المواجهات ما بين الأبطال والأشرار في أحد المصانع، حيث يسقط أحد الأشرار على ترس متحرك، ويقتصر دور الترس على سحقه.

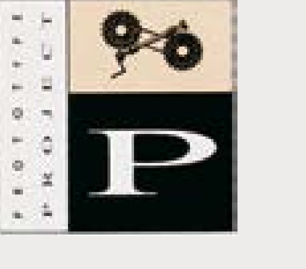


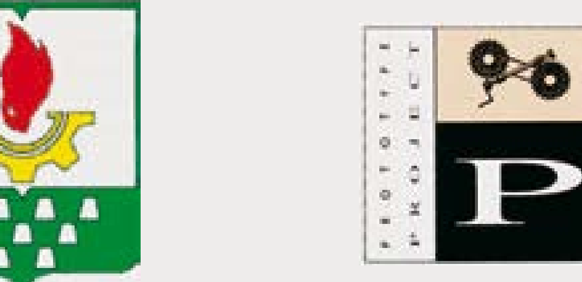
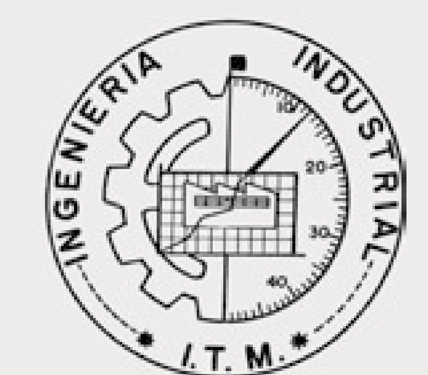


العَجَلُ الصناعي على مجموعة من الأقمشة صممت في المراحل الاولى من العهد السوفياتي














الترس الصناعي في شعارات المؤسسات الرسمية والشركات الخاصة من شرق الأرض إلى غربها

الترس

# التأمل بصمت أمام آلة صافية

بين تعقيدات الآلات والمصانع الكبيرة وبساطة شكل الترس تناقض..

وبين تنوّع آلاف المنتجات الصناعية وتبدلها يوماً بعد يوم، وبقاء الترس كما كان عليه في التاريخ القديم، تناقض آخر.

وهناك تناقض ثالث بين الضجيج الصادر عن المصانع والصناعيين والمستهلكين في العالم بأسره من جهة، وصمت الترس الذي يقف وراء كل هذا الضجيج. وتناقض رابع ما بين مهمة وأداء كل آلة على حدة التي يحتاج تحديدها إلى صفحات عديدة، ومهمة الترس التي حددت بكلمات قليلة منذ القدم، وتقول "نقل الحركة من مكان إلى آخر بين أجزاء الآلة".

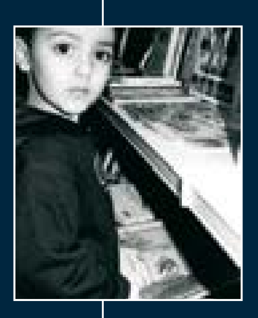
فهل الترس حقاً مجرد أداة صناعية أم غير ذلك؟ كل ما اكتشفه الإنسان أو اخترعه يعود في جذوره إلى وقفة أمام ما وضعه الخالق في الطبيعة والقوانين التي تسير بموجبها. وفي هذه الوقفة تثمر الملاحظة فكرة. والفكرة غالباً ما تكون بسيطة جداً. ولكن ما بين الفكرة البسيطة التي هي مجرد عمل ذهني والتطبيقات الملموسة والمطورّة هناك مراحل مختلفة. وما بين فكرة "نقل الحركة" من جهة، ومصانع بناء الطائرات من جهة أخرى، ظهر الترس في مرحلة متقدمة جداً، هي أقرب إلى مرحلة الوقوف أمام الطبيعة منها إلى عصر المكوك الفضائي. وبشيء من المبالغة لإيضاح الفكرة، يمكننا القول إنه ينتمي إلى الطبيعة وقوانينها أكثر مما ينتمي إلى الصناعات الحديثة.

ولهذا، وفي حين لا تحرك المصانع الكبرى ككل أي مشاعر في نفوسنا على الصعيد الجمالي والعاطفي، نرى أن بعض مصممي الساعات السويسريين أبدلوا صحن المينا الذي يحجب آلة الساعة برقاقة من البلور الشفاف، دعوة إلى الاستمتاع بالتروس الصغيرة تدير بعضها بوداعة أرقّ من وداعة الفراشات.

ولهذا أيضاً، ومع الاعتراف بأن الترس ليس كل شيء في الصناعة، والتأكيد على أن لا غنى عنه في أية صناعة، ورغم محدودية دوره في كل الصناعات، يبقى الترس مدعاة لوقفة تأمل.. لا تنتهي.

Lichtenstein

الحضارة الصناعية بتروسها في لوحة للفنان روي ليختنشتاين




**القافلة**

مجلة ثقافية تصدر كل شهرين
عن أرامكو السعودية
مارس - أبريل 2005
المجلد 54 العدد 2

ص . ب 1389 الظهران 31311
المملكة العربية السعودية
www.saudiaramco.com